سيرة الحسين عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

المركز الإسلامي للدراسات
لبنان - بيروت - الضاحية الجنوبية - أوّل حي ماضي
بناية حجازي - ط1 - تلفاكس: 00961.1.274519
البريد الالكتروني: alhadi@alhadi.org

المنشورات: بيروت - بئر العبد - سنتر الانماء 3 - 00961 70995421

سيرة الحسين عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الخامس عشر

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل السابع:

هل قتل الشيعة إمامهم؟!..

مما سبق:

عرفنا أن الإمام الحسين «عليه السلام» بقي في مكة من اليوم الثالث من شعبان، إلى أن خرج منها إلى العراق في اليوم الثامن من ذي الحجة.. وذلك خوفاً من اغتيال بني أمية له في مكة. وحين كان في مكة أرسل مسلم بن عقيل إلى الكوفة، فقتلوه في نفس يوم خروج الإمام «عليه السلام» من مكة أو قبله بيوم، أو بعده..

وبلغه استشهاد مسلم في زرود، والتقى بالحر في ذي حسم، فحال الحر بينه وبين دخول الكوفة إلا مخفوراً، ليسلمه إلى ابن زياد، فأبى «عليه السلام» أن يدخلها إلا حراً..

وفي الثاني من شهر محرم نزل «عليه السلام» كربلاء. وبقي هناك إلى أن استشهد في العاشر من شهر محرم سنة ستين ـ كما هو المروي عن النبي: يقتل الحسين على رأس ستين من مهاجري(١).

---

(١) المعجم الكبير (ط دار إحياء التراث العربي سنة ١٤٠٤هـ) ج٣ ص١٠٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١٩٨ومجمع الزوائد ج٩ ص١٩٠ عن الطبراني، ولم يُطعن في سنده إلا في سعد بن طريف، وليس ذلك إلا لتشيعه حسبما صرحوا به، وترجمة الإمام الحسين «عليه السلام» من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ص١٨٥ و (ط٢ مجمع إحياء الثقافة

وهذا منسجم مع كون أول السنة الهجرية هو شهر ربيع الأول.. وأما بناء على جعل أول السنة الهجرية هو أول شهر محرم ـ لأن عمر بن الخطاب قد تصرف في مبدأ التاريخ ـ فيكون استشهاده «عليه السلام» في سنة ٦١ للهجرة.

وقد أظهرت النصوص: أنه «عليه السلام» لم يزل يخبر الناس: أن بني أمية سوف يقتلونه.. وأن الكثيرين من بني أمية وأتباعهم، ومن ذوي النوايا الحسنة من محبيه كانوا يصرون عليه بأن يعدل عن السفر إلى العراق. وإن كانت دوافع هذا الفريق تختلف عن دوافع ذاك. فالأمويون يريدون اغتياله، ويخشون من انفلات الأمور من يدهم، لو وصل إلى العراق.

ولكن المحبين له ينصحون بعدم الذهاب إلى العراق، لأنهم كانوا

الإسلامية سنة ١٤١٤هـ) ص٢٧١ وفي هوامشه عن مصادر أخرى، وتاريخ بغداد ج١ ص١٤٢ و (ط دار الكتب العلمية سنة ١٤١٧هـ) ج١ ص١٥٢ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٦٥٨ والإلمام ج٥ ص٢٩٩ وكنز العمال (ط حيدرآباد) ج١٣ ص١١٣ و (ط مؤسسة الرسالة) ج١٢ ص١٢٨ وميزان الإعتدال ج١ ص٢١٢ عن الطبراني، والخطيب، وابن عساكر، ومنتخب كنز العمال (هامش مسند أحمد) ج٥ ص١١١ ومقتل الحسين «عليه السلام» للخوارزمي ج١ ص١٦١ وذوب النضار ص١٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٣٥٤ وج٢٧ ص٢٤٩ و ٢٥٠ و ٤٥٤ عن بعض ما تقدم، وعن مفتاح النجا (مخطوط) ص١٣٦ وعن المعجم الكبير للطبراني (مخطوط) ص١٤٤.

يظنون أن بني أمية لا يجرؤون على قتله «عليه السلام» في مكة.

ولكنه «عليه السلام» لم يستجب لهذا الطلب. لأن كتب أهل الكوفة قد تواترت عليه، فوجب عليه أن يجيب طلبهم. وليس له أن يتذرع بما فعلوه بأبيه، وأخيه، وابن عمه مسلم، لأن على الإمام أن يكون رحيماً برعيته، مهتماً بإصلاح شأنهم، وتعليم جاهلهم، والصفح عن مسيئهم، ودفع الظلم عنهم..

مع ملاحظة: أنه «عليه السلام» لم يطلب منهم القيام ضد أحد، بل طلب منهم أن يبايعوه على معونته في طلب الإصلاح في الأمة، وأن يمنعوا عدوه من العدوان عليه، ومن النيل منه..

تشيع أهل الكوفة إلى أي مدى؟!:

هذا.. وقد شاع عن أهل الكوفة أمران يحتاج كل منهما إلى تأمل وتمحيص.

الأمر الأول: إن أهل الكوفة كانوا شيعة للحسين «عليه السلام»، ولأهل البيت «عليهم السلام»..

الثاني: إن هؤلاء الشيعة هم الذين قتلوا الحسين وأهل بيته في عاشوراء. لأن الجيوش التي خرجت إلى قتال الحسين «عليه السلام» كان مصدرها الكوفة، ومحيطها..

ولنا كلام حول هذين الأمرين معاً، فنحن نجمله كما يلي:

الشيعة لم يقتلوا الحسين ×:

هناك من يزعم: أن أهل الكوفة كانوا شيعة، وأن هؤلاء الشيعة هم الذين قتلوا الحسين «عليه السلام».. وكأن الهدف من هذه المقولة هو تبرئة بني أمية من دم الحسين «عليه السلام».

غير أن هذا الكلام لا عبرة به.

أولاً: إن القاتل هو من يأمر فيطاع، ويعاقب كل من يخالف أمره، ثم يجمع العساكر، ويهيء لها كل ما تحتاج إليه، ويأمرها بملاحقة وصي النبي «صلى الله عليه وآله»، وسيد شباب أهل الجنة ليرغمه على الانصياع لإرادته، فإن لم يستجب يأمرها بقتله، هو ومن معه من أصحاب وأبناء، وأهل وأقرباء. ثم يسبي من معه، من النساء والأطفال، ثم يطوف بهم وبرؤوس الشهداء في البلاد.

وهذا لا يعني أن لا تتحمل تلك العساكر أية مسؤولية، بل هم شركاء في الجريمة أيضاً، وهم منحرفون وقتلة، وطلاب دنيا، وقد ارتضوا أن يكونوا هم مجرد أدوات بيد أولئك المجرمين الطغاة..

وليس تشيع هؤلاء، ولا تسننهم ولا سواهما هو الذي دعاهم للقتل وممارسة الإجرام، والارتطام بالرذائل والآثام، بل هي الروح الشريرة، والنفس الخبيثة الأمارة بالسوء، وحب الدنيا، ونسيان الآخرة..

ثانياً: إذا رجعنا إلى كلمات الإمام الحسين «عليه السلام»، فسنجد ما يلي:

ألف: إنه «عليه السلام» يقول لجيش يزيد في يوم عاشوراء:

«تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً، وبؤساً لكم، حين استصرختمونا ولهين، فأصرخناكم موجفين..

إلى أن قال: وأنتم ابن حرب وأشياعه تعتمدون»(١).

فيدل هذا الكلام على:

ألف: أن الذين جاؤوا لحربه كانوا يعتمدون، ويتولون يزيد بن معاوية وأشياعه.

ب: أنهم قد استصرخوه. أي استغاثوا به، فأغاثهم، وأجاب صرختهم، وليس بالضرورة أن يكون المستغيث يدين بدين المستغاث به، أو يوافقه بالولاء السياسي، أو في غيره.. بل قد لا تكون له أية معرفة به، كما لو كان المستغاث به عابر سبيل..

ثانياً: إنه يقول عن هؤلاء القوم: إنهم بقية الأحزاب، ونبذة الكتاب.

وفي نص آخر: شذاذ الأحزاب(٢).

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٦ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٢١٦ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٨ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٥٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٦٢٤ وراجع: الإحتجاج ج٢ ص٣٠٠.

(٢) راجع: تحف العقول ص٢٤١ ومثير الأحزان (ط المكتبة الحيدرية) ص٤٠ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٨ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٥٢ وتاريخ

وشذاذ الأحزاب هم: بقايا أهل الشرك الذين حاربوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» في معركة الخندق.

ثالثاً: لقد قال الحسين «عليه السلام» للجيش الذي جاء لحربه:

«ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم، إن كنتم عرباً كما تزعمون»(١).

فشيعة آل أبي سفيان كانوا أعداء لعلي «عليه السلام»، وأبنائه، وأهل بيته، وشيعته أيضاً. وليسوا من شيعته، ولا من شيعة الحسين «صلوات الله وسلامه عليه».

مدينة دمشق ج١٤ ص٢١٩ والتذكرة الحمدونية ج٥ ص٢١١ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج٦ ص٢٥٨٧ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٣١٨ والملهوف ص٥٩ وإبصار العين ص٣٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٦٢٤ و ٦٢٦ وج١٩ ص٤١٧ وج٢٧ ص١٣٦.

(١) راجع: الملهوف ص١١٩ و (نشر أنوار الهدى) ص٧١ ومقتل الحسين للمقرم ص٣٣٥ عنه، ومقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٣٣ ومطالب السؤول ص٤٠٢ والبداية والنهاية ج٨ ص٢٠٣ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٥١ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٩٣ وعمدة الطالب ص٧ ولواعج الأشجان ص١٨٥ وإبصار العين ص٣٧ والمجالس الفاخرة ص٢٤٧ و ٣١١ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص١١٧ وكشف الغمة ج٢ ص٢٦٢.

تشيّع أهل الكوفة:

أما ما يقال عن تشيع أهل الكوفة، فيحتاج إلى بعض التوضيح مع مراعاة الاختصار، والإقتصار على الحد الأدنى مما يفي بالغرض، فنقول:

إن الكوفة قد تأسست في عهد عمر بن الخطاب سنة ١٧ للهجرة، لتكون معسكراً تنطلق منه الجيوش لفتح بلاد فارس. وقد اختار موقعها سلمان الفارسي «رحمه الله»(١).

وسكن الكوفة رؤوس العرب وأعلامهم، كما روي عن علي «عليه السلام»(٢).

وسكنها علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقد علمهم وثقفهم، وكان له أثر ظاهر فيهم بالرغم من قصر فترة مقامه في ذلك البلد، وانشغاله بالحروب، والتهيئة والإعداد لها، والذود عن حياض ذلك البلد، وصونه، وما إلى ذلك..

وقد قال «عليه السلام»: «ركزت فيكم راية الإيمان، وعرفتكم

---

(١) راجع: الكامل في التاريخ ج٢ ص٥٢٧ وتاريخ الكوفة ص١٤٨ عنه، وأعيان الشيعة ج٤ ص٦٠٤.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٤ ص١٦ وتاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٤٧٧ و (ط الأعلمي) ج٣ ص٤٩٣ والفتنة ووقعة الجمل للضبي ص١٣٥.

حدود الحلال والحرام»[١].

وألمح إلى ذلك أبو أيوب الأنصاري في كلمات له مع أهل الكوفة[٢].

وقد قال معاوية لعكرشة بنت الأطرش، وغيرها ما معناه: هيهات يا أهل العراق، لقد نبهكم علي بن أبي طالب، فلن تطاقوا[٣].

ولكن أحوال الكوفة قد تغيرت بعد استشهاد أمير المؤمنين «عليه السلام»، واستيلاء معاوية على العراق، فإن عماله، ولاسيما زياد بن أبيه، قد قتل وسجن الكثير من الشيعة، ونفى العديد من شخصياتهم المؤثرة إلى بلاد الشام، بل يقال: إنه قد رحَّل خمسين ألف شخص من

---

(١) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج١ ص١٥٤ وبحار الأنوار ج٣٤ ص٢٠٩ والمراجعات ص٦٦ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص٧١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص٣٧٣ و ٣٨٠ وينابيع المودة ج١ ص٨٤ وج٣ ص٤٣٢ وأعلام الدين للديلمي ص١٢٨ وغاية المرام ج٢ ص٣١٧.

(٢) راجع: الإمامة والسياسة ج١ ص١٥٢ و ١٥٣ و (تحقيق الزيني) ج١ ص١٣١ و ١٣٢ و (تحقيق الشيري) ج١ ص١٧٣.

(٣) العقد الفريد (ط سنة ١٩٧٢م) ج٢ ص١٠٨ و ١١١ و ١١٢ وبلاغات النساء ص٧١ و (ط دار النهضة) ص٤٠٤ و (ط سنة ١٩٧٢ م) ص١٠٤ ومحادثة النساء ص٨١ وقاموس الرجال للتستري ج١١ ص٢ وصبح الأعشى ح١ ص٣٠٠.

أهل الكوفة والبصرة إلى خراسان أيضاً[١].

كما أن عبيد الله بن زياد قد سجن اثني عشر ألف شخص من شيعة الكوفة حين جاءها مسلم بن عقيل. وبعد ذلك جاءهم الحجاج، فقتل منهم مئة وعشرين ألفاً، ومات في سجنه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة[٢].

حال البلدان الرئيسية:

تقول النصوص التي بين أيدينا ما يلي:

١ ـ عن الإمام السجاد «عليه السلام»: ما في مكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا[٣].

٢ ـ ويقول محمد بن علي بن عبد الله بن عباس: أما الكوفة وسوادها، فهناك شيعة علي وولده.

---

(١) الكامل في التاريخ ج٣ ص٤٨٩ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٢٩.

(٢) التنبيه والإشراف ص٢٧٥ والكنى والألقاب ج١ ص٢٥٩ عنه، وتاريخ مختصر الدول ص١١٣ والمستطرف للأبشيهي ج١ ص١٠١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٣٤٦.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٤ ص١٠٤ وبحار الأنوار ج٣٤ ص٢٩٧ وج٤٦ ص١٤٣ والغارات للثقفي ص٣٩٣ و (تحقيق السيد جلال الدين الحسيني) ج٢ ص٥٧٣ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٩٨ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٥٧٩.

وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف.

وأما الجزيرة، فحرورية مارقة، وأعراب كأعلاج، ومسلمون أخلاقهم كأخلاق النصارى.

وأما الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان، وطاعة بني مروان، عداوة راسخة، وجهل متراكم.

وأما مكة والمدينة، فغلب عليهما أبو بكر وعمر الخ..(١).

ونقل عن الأصمعي كلام قريب من هذا(٢).

وقال الأصمعي أيضاً: البصرة عثمانية من يوم الجمل(٣).

وعن الإمام الصادق «عليه السلام»: والله لوددت أن يكون بالكوفة خمسة وعشرون رجلاً يعرفون أمرنا الذي نحن عليه، ولا

---

(١) البلدان للهمداني ج٢ ص٣٥٢ و (ط عالم الكتب سنة ١٤١٦هـ) ص٦٠٤ ومعجم البلدان ج٢ ص٣٥٢ وأحسن التقاسيم للمقدسي ص٢٩٣ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج١ ص٢٠٤ و (ط دار الكتب العلمية سنة ١٤٢٤هـ) ج١ ص٣٠٣ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٧ ص٥٦ والسيادة العربية، والشيعة والإسرائيليات ص٩٣ ولا بأس بمراجعة: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج١ ص١٠٢.

(٢) روض الأخيار، المنتخب من ربيع الأبرار ص٦٧ والعقد الفريد (طبع دار الكتاب العربي) ج٦ ص٢٤٨.

(٣) روض الأخيار، المنتخب من ربيع الأبرار ص٦٧ والعقد الفريد (طبع دار الكتاب العربي) ج٦ ص٢٤٨.

يقولون علينا إلاّ بالحقّ(١).

ماذا أراد الكوفيون من الحسين ×:

وقد قلنا: إن أهل الكوفة، قد كتبوا ألوف الرسائل إلى الإمام الحسين «عليه السلام» يطلبون منه القدوم عليهم، فاستجاب لهم، وأرسل إليهم مسلم بن عقيل.

وبالرغم من أنهم خذلوه، وقتلوه، فإنه «عليه السلام» بقي مصراً على دخول الكوفة.

ويبدو لنا: أن ما أراده أهل الكوفة من الإمام يختلف عما كان يريده الحسين «عليه السلام» منهم..

فقد كان «عليه السلام» يريد أن يصلح شأنهم، ويعلم جاهلهم، ويبث فيهم روح الإيمان، ويهذب أخلاقهم، ويضبط سلوكهم وتصرفاتهم، ومواقفهم ليكونوا في خط الطاعة لله. كما أراد أن يكونوا أعواناً له على الإصلاح في الأمة، ومن الآمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر..

أما أهل الكوفة، فكانت قلة قليلة منهم تؤمن بهذا النهج، وهي مستعدة للسير في هذا الخط، أما الأعم الأغلب منهم، فكانت لهم أهداف أخرى، ولم تكن قضية الحسين «عليه السلام» تعنيهم، أو حتى تستوقفهم.. بل لعلهم كانوا يرون أن معونة الحسين ونصرته، ودفع

---

(١) صفات الشيعة ص١٤ و ١٥ وبحار الأنوار ج٦٤ ص١٥٩ وألف حديث في المؤمن ص٢٥٥.

عدوه المعتدي عليه لا يتعدى دائرة القضايا الشخصية، والمنافع الخاصة به.

إنهم يريدون من الحسين أن يكون وسيلتهم لنيل المقامات، والحصول على الرياسات، وتكديس الأموال، والوصول إلى الحسناوات، والتمتع بالملذات: حلالها وحرامها، والاستئثار بالإقطاعات، وما إلى ذلك..

فإن وجدوا أن الحسين «عليه السلام» يريد منهم أن يضبطوا حركتهم، ويملكوا أنفسهم، ولا ينغمسوا بالشهوات، وألا يركنوا إلى الدنيا، وملذاتها، وأن يزهدوا فيها، وينسلخوا منها، وينغمسوا في كوثر الرضوان الإلهي، فإنهم سوف يتخلون عن الحسين «عليه السلام»، وينحازون إلى أعدائه ضده، ليكونوا من أعضاد الباطل، ومن وسائل بطشه.

القيادات العشائرية:

ولأن الكوفة قد استحدثت في سنة ١٧ للهجرة، لتكون معسكراً للجند، فإن الزعامات القبلية كان لها أثرها العميق في تجنيد الناس، ودفعهم للحرب هنا، أو الامتناع من المشاركة فيها.

وفي عهد معاوية سعى عامله زياد إلى إحداث تغييرات في هذه الطبقة من الرؤساء، حيث اشترى ولاء الكثيرين منهم بالأموال والمناصب. وعودهم على أخذ الرشى، وبيع المواقف، وأفسد نيات أهل الصلاح والنوايا الحسنة منهم، واستبدل من لم يتمكن من إفساده

بغيره. ممن هو على شاكلتهم، ومن فصيلتهم، واستبد بالكثيرين منهم حب الدنيا، وفقدوا الكثير من سمات النبل والرجولة، ولم يعد للقيم والمثل العليا تأثير يذكر على مواقفهم..

ومن لم يتمكنوا من إفساده، أو من استبداله، سعوا إلى إضعاف موقعه، وتوهين أمره، ولو بإيجاد المنافسين له، ليفسدوا عليه تدبيره، ويربكوا مواقفه، وربما تسببوا بقتله أيضاً..

وهذا ما جرى لهاني بن عروة مع أخي زوجته عمرو بن الحجاج، فإن هانياً الذي كان يركب في أكثر من ثلاثين ألفاً، قد اختلق له الأمويون عمرو بن الحجاج. الذي قام بدور خياني أدى إلى صرف مذحج عن إنقاذه حين اعتقله ابن زياد، فكان ذلك مما سهل على ابن زياد قتله وقد تقدم بيان ذلك في موضعه من هذا الكتاب.

الكوفة هي الخيار:

عرفنا: أنه كان لا بد للإمام من مغادرة مكة حفاظاً على قدسيتها، لكي لا تنتهك حرمتها بقتله «عليه السلام».

وعرفنا: أن الإمام «عليه السلام» كان مصراً على تلبية طلب أهل الكوفة بالقدوم عليهم، لأنه لو لم يفعل ذلك لكانت لهم الحجة عليه.

وليس له أن يستند في رفضه تلبية طلبهم إلى خذلانهم أباه، وأخاه، ومسلم بن عقيل، وذلك لما ذكرناه من أن على الإمام أن يفسح المجال للناس للتوبة من ذنوبهم، والتراجع عن أخطائهم.

ولأن ما جرى لمسلم إنما هو يقع في معظمه على عاتق الرؤساء.

وأما عامة الناس فلعل خوفهم من بطش السلطة بهم، وخوفهم من تخلي رؤسائهم عنهم قد أضعف عزائمهم، ودعاهم للانسحاب من الساحة، والانكماش في بيوتهم.

ولأن من خذل علياً والحسن «عليهما السلام»، قد لا يكون ممن بايع مسلماً ثم خذله، بل لعل أكثرهم كان قد مات، أو انتقل إلى بلد آخر، أو عجز عن القتال، أو نحو ذلك.

والسبب الآخر لاختيار الكوفة هو: أن أهلها هم الذين كاتبوه ليقدم عليهم، فاختيار أي بلد آخر لم يكاتبه أهله، سيكون غريباً ومستهجناً، ومثيراً للريب، وموجباً للطعن في حكمة وحنكة الإمام «عليه السلام»، وسلامة قراره.

الإخبار بالشهادة سياسة صحيحة:

وقد كان «عليه السلام» يخبر الناس بأن بني أمية يتحينون الفرص لقتله، ولكن ذلك لم يكن يمنعه من العمل على إصلاح الأمة؛ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعوة الناس لنصرته ومعونته، لأن الإخبار بنوايا العدو لا يعني أن ما يريده الإمام الحسين «عليه السلام» ويدعوهم لمعونته فيه سوف لا يتحقق.. فقد كان النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي يخبران عن استشهاد علي «عليه السلام»، ولم يمنعه ذلك من خوض حربي: الجمل وصفين، ثم النهروان.. ولم تكن هذه الأخبار تصلح ذريعة لعدم معونته..

كما أنه «عليه السلام» كان يعلم أنه مقتول، وأن عليه أن يختار

الموقع المناسب، وأن لا يعطي لقاتليه الفرصة في فرض خياراتهم عليه، لأنهم سوف يختارون منها ما يمكنهم من التملص من مسؤولية قتله، أو إثارة الشبهة حوله.

وإذا كان علمه «عليه السلام» بأن بني أمية سيقتلونه قد استند إلى إخبار النبي «صلى الله عليه وآله» له. فهذا يدل على أن المطلوب بهذا الإخبار النبوي هو امتحان الأمة فيما أوجبه الله تعالى عليها من حفظ الإمام، ومعونته في طلب الإصلاح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وإخبار النبي «صلى الله عليه وآله» بما يصيب الإمام بسبب تخاذل الأمة عن القيام بواجبها. لا يجعلها معذورة في تخاذلها، ولا يجيز لها ترك ما أوجبه الله عليها.

بل يكون هذا الإخبار الصادق من أسباب إقامة الحجة عليها، ومن موجبات تأكيد اليقين لديها بمعنى الإمامة، وبما يجب على الناس تجاهها.

وبغض النظر عن هذا وذاك، فإن الإخبار بشهادته «عليه السلام» على يد بني أمية لا يعني حصول هذه الشهادة في غضون هذا التحرك أو في غيره. أو أنه سيتحقق في غضون سنة أو سنوات. فلعله يحصل بعد عشرين أو ثلاثين سنة.

أما الحسين فيريد أن يجعل من هذا القتل سبباً لارتكاس الباطل، وبواره، من خلال هذه الفضيحة المدوية لبني أمية وأشياعهم، ولتكون

هذه الفضيحة مصدر هداية للناس إلى الحق، وسبيل فلاح ونجاح لأهل الإيمان. ولتسهم في إزاحة الشبهات عن حقائق الدين، والكشف عن بصيرة المؤمنين.

التركيبة السكانية للكوفة:

ولا نريد أن نسهب في القول حول التركيبة السكانية في الكوفة، التي كان فيها عرب يمانيون، وهم الأكثر عدداً، ونزاريون، وهم الأقل عدداً، وحين تأسست الكوفة خُصِّصَ اثنا عشر ألف منزل لليمانيين، وثمانية آلاف للنزاريين(١).

وكان في الكوفة الموالي، وهم من غير العرب، وهم من الكثرة بحيث كان من يدخل أسواق الكوفة يشعر أن اللغة الفارسية هي المهيمنة، إلى حد أنه قد يتوهم: أنه في بلد غير عربي.

وقد استعان المختار بغير العرب في حربه لابن الزبير، إلى حد أن العرب كانوا حوالي سبع مئة مقاتل أو أكثر بقليل. أي أنهم أقل من ربع جيش المختار(٢).

وكان في الكوفة شيعة معتقدون بإمامة علي وولده، وفيها محبون

---

(١) الحياة الإجتماعية والإقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري ص٤٧.

(٢) تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٥٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٨ ص٢٣٨ وتجارب الأمم ج٢ ص١٨٤ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٧٧ و ٢٧٨ ونهاية الأرب ج٢١ ص٣٦.

لعلي وولده، متعاطفون معهم.

وفيها طلاب لبانات، وأهل دنيا.

وفيها شيعة لبني أمية. وقد كثر هؤلاء خلال العشرين سنة التي تلت موت علي «عليه السلام».

وفيها أيضاً خوارج، قاموا في سنة ٤٣ للهجرة على المغيرة بن شعبة. وكانوا بقيادة المستورد العجلي(١). ثم قاموا سنة ٥٨ هـ بقيادة حيان بن ظبيان، فقضى عبيد الله بن زياد على حركتهم(٢).

فظهر: أن الشيعة في الكوفة لم يكونوا على حال واحد. ويشير إلى هذا المعنى ما روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» من تقسيم الشيعة إلى عدة طبقات، هي:

١ ـ طبقة يحبونا في السر والعلانية، وهم النمط الأعلى.. ثم يذكر

(١) تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص١٣٣ وج٥ ص١٨١ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٢١ والأعلام للزركلي ج٧ ص٢١٥ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٢٩٠ والكامل في التاريخ ج٣ ص٤٢١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٤ ص١٣٤ وج٥ ص٩٧ وقاموس الرجال ج١٠ ص١٥٥ وأنساب الأشراف (ط سنة ١٤٠٠هـ) ج٥ ص١٦٩ وراجع: الإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص١٢٦٠ وأسد الغابة ج٤ ص١٧٩ وتجارب الأمم ج٢ ص٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٠٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٢٩ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٢٩٠ والكامل في التاريخ ج٣ ص٥١٥.

خصائص هذه الطبقة إلى أن يقول: وهم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً وخطراً.

٢ ـ الطبقة الثانية: النمط الأسفل، أحبونا في العلانية، وساروا بسيرة الملوك، فألسنتهم معنا، وسيوفهم علينا.

٣ ـ الطبقة الثالثة: النمط الأوسط: أحبونا في السر، ولم يحبونا في العلانية. ولعمري لئن كانوا أحبونا في السر دون العلانية، فهم الصوامون النهار القوامون بالليل. ترى أثر الرهبانية في وجوههم، أهل سلم وانقياد(١).

وقد وصف الإمام الحسين «عليه السلام» الطبقة الثانية: بأنهم:

«عَبيدُ المالِ [الدُنْيَا]، وَالدّينُ لَغوٌ [لَعقٌ] عَلى ألسِنَتِهِم، يَحوطونَهُ ما دَرَّت بِهِ معايِشُهُم، فَإذا مُحِّصوا لِلإبْتِلَاء [بِالبَلاءِ] قَلَّ الدَّيّانونَ»(٢).

وعن الإمام الباقر «عليه السلام»:

الشيعة ثلاثة أصناف:

ـ صنف يتزينون بنا.

---

(١) تحف العقول ص٣٢٥ وبحار الأنوار ج٦٨ ص٢٧٥.

(٢) كشف الغمة ج٢ ص٢٤٤ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص٢٤١ و ٢٤٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٩٥ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٦١ والمحجة البيضاء ج٤ ص٢٢٨ والحدائق الوردية ج١ ص١١٣ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج٦ ص٢٦١٣ وبستان الواعظين ص٢٦٢ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٣٢٧.

ـ وصنف يستأكلون بنا.

ـ وصنف منا وإلينا(١).

المكرهون على القتال يهربون:

وقد حدثنا التاريخ عن كراهة الكثيرين من أهل الكوفة المشاركة في قتال الإمام الحسين «عليه السلام»، وقد تقدم: أن عبيد الله بن الحر الجعفي قد خرج من الكوفة فراراً من هذا الأمر، وتقدم أيضاً كتاب الوليد بن عتبة لعبيد الله بن زياد، محذراً إياه من الوقوع في هذا الخطأ.

وسيأتي: أن الحر الرياحي، وهو القائد المبجل، قد انحاز في يوم عاشوراء إلى الإمام الحسين «عليه السلام»، واستشهد معه..

بل إن عمر بن سعد قد تردد في البداية في قبول ولاية الري مقابل قتل الحسين، باعتبار أن قتله «عليه السلام» يوجب دخول النار، ولكنه عاد فقبل بقتل الحسين ودخول النار، ليحصل على ولاية الري، فحرم من الري، ولم يبق أمامه سوى دخول النار والخلود فيها.

بل يقول البلاذري: كان الرجل يبعث في ألف، فلا يصل إلا ثلاث مئة، أو أربع مئة، وأقل من ذلك، كراهة منهم لهذا الوجه(٢).

---

(١) مشكاة الأنوار للطبرسي ص٦٣ و (ط دار الحديث سنة ١٤١٨هـ) ص١٢٧ والمحجة البيضاء ج٤ ص٣٥٦.

(٢) أنساب الأشراف ج٣ ص٣٨٦ و (ط دار التعارف) ج٣ ص١٧٩.

ويقول أبو حنيفة الدينوري: كان ابن زياد إذا وجه الرجل إلى قتال الحسين «عليه السلام» في الجمع الكثير، يصلون إلى كربلاء، ولم يبق منهم إلا القليل. كانوا يكرهون قتال الحسين «عليه السلام»، فيرتدعون، ويتخلفون(١).

وحديث التوابين الذين استشهدوا في عين الوردة يشهد بأن جماعة من أهل الكوفة، من محبي أهل البيت قد تخلفوا عن نصرة الحسين، ولم يحضروا كربلاء، وهؤلاء قد ندموا، وتابوا، وأرادوا أن يكفروا عن ذنبهم بحربهم لبني أمية بحزم وشراسة وتصميم إلى حد الاستشهاد..

وقد ظهر مما تقدم: أن في الشيعة من يحب الدنيا، وزينتها، ويرضى بارتكاب المآثم من أجلها، والناس في حبهم للدنيا على دين ملوكهم، وإن خالفوهم، في المذهب والاعتقاد. وكثير منهم يرضى بأن يجعل نفسه آلة في يد الظالمين، والجباريين، وينقض كل العهود والمواثيق وهذا النوع من الناس موجود في مختلف الطوائف، وإن اختلفت حالاته شدة وضعفاً، وتضاءلت أحجامه تبعاً للمستوى الثقافي، والجهد التربوي الذي يبذل في تقويم السلوك، وبناء شخصيته، وتكوين أخلاقياته.

ولكن ذلك لا يعني أن يكون الشيعة هم الذين قتلوا الإمام الحسين

---

(١) الأخبار الطوال ص٢٥٤ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج٦ ص٢٦٢٦.

«عليه السلام»، فالقاتل هو يزيد، وشيعة آل أبي سفيان، لا شيعة علي
وأهل بيته «عليهم السلام»، وهذا ما دلت عليه القرائن واللفتات

الباب التاسع:

حتى اليوم التاسع..

الفصل الأول:

الجهاد والثورة.. للتمهيد فقط..

الحسين × مجاهد أم ثائر؟!:

هناك من يتحدث عن حركة الإمام الحسين «عليه السلام» الإصلاحية، ويصفها بأنها «ثورة»..

ولعل هناك من يرى أنها محض جهاد في سبيل الله، بالمفهوم الديني الدقيق، ولا يصح وصفها بالثورة، بل يكون إطلاق وصف الثورة عليها إهانة للإمام الحسين «عليه السلام» لا يجوز أن ترتكب في حق هذا الإمام العظيم.

وقد نتوسم في حركة الإمام الحسين «عليه السلام» أن توصيفها بأنها حركة «جهاد وإصلاح» هو الأليق. فإنه «عليه السلام» هو الذي قال: «خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي»..

وقد تجلى هذا الإصلاح في أن حركته «عليه السلام» كانت هي السبب في تجلي حقائق هذا الدين، وظهور معالمه، وترسيخ دعائمه في ضمير ووجدان الأمة، وفي تساقط الأقنعة الخادعة، للباطل، وافتضاح حماته ودعاته، وأهله. وأسفر الصبح لذي عينين، فـ: **(لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ**

اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى)(١). و **(فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)**(٢).

ولم يكن «عليه السلام» حين سار إلى العراق، قد جهز عسكراً، ولا جمع أنصاراً، بل جاء مصطحباً معه حرمه وأطفاله، وأهل بيته، وكان معه ـ كما قالوا ـ خمسون رجلاً، بل أقل من ذلك بكثير، وقد التحق به كثيرون في الطريق، وبعد وصوله إلى كربلاء، مثل حبيب بن مظاهر وزهير بن القين، ومسلم بن عوسجة، والحر الرياحي، وآخرون. والتحق به أيضاً اثنان وثلاثون رجلاً ليلة العاشر، ثم التحق به في العاشر آخرون، مثل الخارجيين اللذين سيأتي الحديث عنهما.

والذين لحقوه في الطريق في المياه والمنازل التي مر بها. فقد عرفنا أنهم قد تفرقوا عنه حين أذن لهم بالانصراف لما جاءه خبر شهادة مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة.. فالذين صحبوه كانوا أقل عدداً مما يفترض أن تكون أية قافلة تريد قطع تلك الصحاري الشاسعة، لكي تأمن من شر اللصوص وقطاع الطرق والحيوانات المفترسة.

أما أهل الكوفة، فقد استغاثوا به «عليه السلام» استغاثة الواله الذي ذهب عقله لكي ينقذهم من ورطة عظيمة وجدوا أنفسهم فيها. فأسرع إلى نجدتهم على أساس إصلاح أمرهم، ولكن لا بالقتال، وقوة السلاح، حيث

---

(١) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٢٩ من سورة الكهف.

لم يصطحب معه جيشاً، ولكن بالوسائل الإصلاحية التي أشار إليها بقوله: «إنما خرجت لطلب الإصلاح». بل كان «عليه السلام» هو الذي يلاحقه بنو أمية لسفك دمه، منذ وقت طويل. كما عرفنا.

فوارق بين الجهاد والثورة:

وحيث إن الجهاد مفهوم ديني خالص، فمن الطبيعي أن نتحدث عنه بما له من خلال نظرة الدين والإسلام له. ووفق ما له من نصوص وأحكام. ولا نتحدث عنه بمفهومه اللغوي الصرف الذي هو مجرد بذل الجهد.

ومن الجهة الأخرى، فإنه ليس للثورة مفهوم ديني يمكن الحديث عنه، أو التلويح به.

وهذا ما يميز الجهاد عن الثورة، وهو أمر مهم جداً. لأنه يكرس مجموعة من الفوارق بين الجهاد والثورة.

ونحن نذكر هنا طائفة من هذه الفوارق، فنقول:

١ ـ إن الجهاد مفهوم ديني.. أما الثورة فليست كذلك..

٢ ـ إن المفهوم الديني للجهاد لا يتحقق إلا بقصد التقرب بهذا الجهد المبذول من قبل الإنسان المسلم، البالغ، العاقل..

وليس هذا القصد شرطاً في تحقق مفهوم الثورة، التي تبدأ بالغضب والهياج، فلو قامت ثورة ذات أهداف محبوبة لله، ولم يقصد الثوار التقرب إلى الله في عملهم، وفيما يبذلونه من جهد فيها، فإنها لا تكون جهاداً، ولا تأخذ أحكامه.. إن لم تستجمع شرائطه.

٣ ـ لا بد في الجهاد من كون الهدف منه محبوباً ومرضياً لله تعالى.. وهذا الشرط غير مأخوذ في الثورة، فإنها قد تكون لأهداف محبوبة، وقد تكون لأهداف مبغوضة له تعالى، وقد تكون لأهداف شخصية متواضعة، لا تبرر العنف، فضلاً عن سفك الدماء، كما لو كانت تهدف إلى تحصيل منافع زائدة عن الحقوق والواجبات، أو كانت للمطالبة بأمور لا يحق المطالبة بها..

٤ ـ قد يتحقق الجهاد في موارد لا يتحقق فيها مفهوم الثورة كما في الجهاد الدفاعي عن الأوطان، أو عن الأموال، أو عن الأعراض، أو عن الدين، أو لدفع البغاة على الإمام..

٥ ـ الجهاد الذي نتحدث عنه يستبطن معنى القتال، والاستشهاد، ولا يجب في الثورة أن يكون هناك قتال. بل قد يقتصر الأمر فيها على الإعتصامات أو المظاهرات، أو العصيان المدني، وغير ذلك. مما يؤدي إلى خضوع الطرف الآخر، ويدفعه إلى الاستجابة للمطالب..

٦ ـ الجهاد لا يتحقق بالتحرك العشوائي، بل يحتاج إلى قرار، وإذن، وقيادة من حاكم، عارف بالأحكام الإلهية، تقي وعادل، ومؤتمن على دين الله، ويراعي مصالح العباد.

ولا تحتاج الثورة إلى هذا الإذن أو القرار، وغير ذلك مما ذكرناه. بل يقوم بها أي كان من الناس.

وإذا احتاجت الثورة إلى قائد، فلا يشترط فيه العلم، ولا التقوى، ولا غير ذلك.

٧ ـ يشترط في الجهاد: أن يكون وفق موازين الشرع، ولا يشترط أهل الثورات في الثورة مراعاة الموازين الشرعية..

٨ ـ يشترط في الجهاد: أن يكون عن فكر وتأمل، وحكمة، وتدبر، وروية، وتحمل للمسؤولية أمام الله من قبل صاحب القرار.. ولا يشترط ذلك في الثورة، لأنها قد تكون مجرد هياج واندفاع، ولو بصورة مفاجئة، ومن دون فكر وروية، أو تحمل للمسؤولية.. ومن دون مبررات مقبولة ومعقولة، بل تكون مجرد نزوة عارضة كسائر النزوات، التي قد تصدر عن الموجودات غير العاقلة أيضاً.

وربما كان سبب الثورة حرماناً من أمر، أو شعوراً بمظلومية، أو غير ذلك.

٩ ـ الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه ـ كما قال أمير المؤمنين «عليه السلام»، فغايته نيل الدرجات في الآخرة. أما الثورة فهدفها الدنيا وحطامها في أكثر الأحيان.

١٠ ـ للجهاد هدفان، كلاهما ناظر إلى الغير، ويتعدى الشخص المجاهد، فليس في الجهاد جلب منفعة لشخصه، حيث يكون القتال فيه في سبيل الله، كما لو كان للدفاع عن الدين، ونشر الحق والعدل، وفي سبيل المستضعفين، والدفاع عن المظلومين. قال تعالى: **(وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ**

اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوت)(١).

أما الثورة، فقد تكون في سبيل الطاغوت أيضاً، أو لأجل مكاسب صغيرة وشخصية وخاصة جداً، وربما كانت شهوة محرمة أيضاً..

١١ ـ إن ارتباط الجهاد بالله سبحانه، وكونه في سبيل الله يشمل جميع مراحل الجهاد، وكل تفاصيله، وجزئياته، فلا بد من الرجوع إلى الله تعالى في كل صغيرة وكبيرة فيه.. وليست الثورة كذلك.

١٢ ـ القتيل في الجهاد شهيد، وليس القتيل شهيداً في الثورة، بل هو مجرد قتيل، ولا يكون شهيداً. وإطلاق كلمة شهيد عليه لا يكون إلا على سبيل الادِّعاء والتوسع. إلا إذا تمكن بعض الثائرين من استحضار معنى الجهاد، وحصل على الإذن به ممن له الإذن.

١٣ ـ للشهيد في الجهاد أحكام، مثل: أنه إن مات في المعركة ولم ينقل منها، فإنه لا يغسل، ولا يكفن، بل يدفن بثيابه. وليس ذلك في الثورة.

١٤ ـ الجهاد لا يحقق معناه إلا الخواص والصفوة الأبرار من أهل الإسلام، الذين رسخت قدمهم في معرفة الله، وعمرت قلوبهم بحبه، ولهجت ألسنتهم بذكره، وشغلت أجسادهم بعبادته.

أما الثورة، فقد تكون من الصغير والكبير، والعالم والجاهل، والمؤمن والفاسق، والمسلم وغير المسلم، ومن الصادق والمنافق،

---

(١) الآيتان ٧٥ و ٧٦ من سورة النساء.

ومن حبيب الله، ومن عدو الله..

وقد قال أمير المؤمنين «عليه السلام» ـ كما تقدم ـ: «إن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه»..

١٥ ـ الجهاد في الدين الإسلامي عبادة. أي أنه عمل محبوب لله في جميع مراحله. وليس بالضرورة أن ينطبق عنوان العبادة والمحبوبية لله على الثورة.

١٦ ـ الجهاد عنوان مستقل بنفسه لا يمكن إلا أن يجلب المثوبة لفاعله. أما الثورة، فهي عمل مادي يحاسب الإنسان عليه، فقد يثاب عليه وقد يعاقب على نفس الفعل الذي يحقق عنوان الثورة..

١٧ ـ الجهاد لا يكون إلا عملاً قصدياً، وفعلاً إختيارياً، لأنه بذل الجهد في سبيل الله، أو في سبيل المستضعفين. أما الثورة، فقد تكون مجرد انفعال نفساني وهياج عشوائي، ربما كان بغير اختيار، ومن دون قصد..

١٨ ـ في الجهاد لا يبدأ المجاهد أحداً بقتال، اقتداء بالنبي «صلى الله عليه وآله»، وعلي والحسنين «عليهم السلام». وليس كذلك الحال في الثورة.

١٩ ـ إذا كانت الثورة تستبطن معنى الهياج، والإندفاع، فهي في العمق وفي المآل عمل فردي، ويكون العمل المنظم والجماعي فيها حالة استثنائية. وربما يأتي النظم والناظمون بعد انطلاق الثورة وحصول الهياج، فلا تكون الثورة ثمرة للنظم والتدبير والإدارة، بل

يكون النظام ثمرة لها، وربما كان يهدف إلى إصلاح ما أفسدت، وترميم ما أتلفت.

بينما لا بد أن يأتي القرار في الجهاد من رأس الهرم أولاً، من منطلق الشعور بالمسؤولية الإلهية.. على أن يكون الخبراء والحكماء، هم المتولون لتنظيم العمل الجهادي، الذي ينتجه التدبير الصحيح، ويتم استثمار جهد المجاهدين على النحو الأمثل والأفضل.

٢٠ ـ في الجهاد توحيد للأهداف لدى جميع المشاركين فيه، وأي إخلال في هذه الأهداف يخرج المشارك عن صفة المجاهد، ويجعله مجرد مقاتل..

أما الثورة، فتختلف الدوافع والأهداف، وتتعدد، وتتباين، ولا يخل ذلك بمفهوم الثورة، ويصح وصف كل مشارك فيها بوصف ثائر، توافقت الأهداف لهم، أو اختلفت وتباينت..

وحتى لو كانت أهدافاً سيئة ومرذولة. فإن سقوطها وسوءها لا يمنعها من الإسهام في تحقيق مفهوم الثورة، كما لو كان سبب التحرك، والهياج، هو الأحقاد العرقية، أو العصبيات القبلية، أو القومية، أو الشخصية، المحدودة جداً..

٢١ ـ في الجهاد على من كان لديه فضل قوة أن يذب عن شريكه وأخيه، ويدفع عنه.

٢٢ ـ الجهاد يكون بالنفس وبالمال.. وليس في الثورة تضحيات لأهداف إيمانية، لا بالنفس ولا بالمال، ما دامت مجرد هياج للحصول

على مكاسب للنفس والشخص، والحصول على المال، والرفاه، والجاه، والمناصب، أو حين يكون الهياج والثورة بدافع عرقي، أو عصبية عشائرية، وما إلى ذلك..

٢٣ ـ إن أهداف الجهاد هي أهداف عامة ـ هي سبيل الله، والدفاع عن المظلومين وهي مما تدعو إليه الفطرة، ومما يحسنه العقل، ويلزم العقلاء بفعله.

أما الثورة، فقد تكون لاستلاب حقوق الآخرين والعدوان عليهم، فتكون مضادة لحكم العقل، ومنافرة للفطرة السليمة، وعلى نقيض أهداف الجهاد.

والخلاصة: إن للجهاد أحكاماً تفصيلية في جميع مراحله، وليس للثورة أحكام خاصة تنفرد بها، بل هي تخضع إما لأحكام الشرع في عناوينه العامة. أو تواجه أحكام القانون الوضعي.

فتلخص مما سبق: أن حركة الإمام الحسين «عليه السلام» حركة إصلاحية في المقام الأول، فلما فرض عليه الجهاد، وأصبح الإصلاح مرهوناً بالشهادة، بعد القتال، أصبحت حركته بذلك جهادية أيضاً، بالمعنى الدقيق والعميق لكلمة الجهاد.

وآثار الإصلاح الحسيني ونتائجه لا تزال تتبلور وتتجلى عبر العصور والدهور، وهي تجلو كل ريب، وتدفع كل شبهة يثيرها أهل الباطل، وهي ترسخ معنى الإيمان الصحيح في القلوب، وتهتم في بناء الشخصية الإيمانية، وتسهم في التكوين الأخلاقي للإنسان على مدى

الأجيال، وإلى يوم القيامة.

ويكون الحسين «عليه السلام» بذلك شريكاً في أعمال الخلائق إلى يوم القيامة.

الفصل الثاني:

هنــا كــربلاء..

يا نار كوني برداً وسلاماً:

سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن ابن فضيل، عن سعد الجلاب عن جابر، عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: قال الحسين «عليه السلام» لأصحابه قبل أن يقتل: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال لي: يا بني إنك ستساق إلى العراق، وهي أرض قد التقى بها النبيون، وأوصياء النبيين. وهي أرض تدعى عمورا، وإنك تستشهد بها، ويستشهد معك جماعة من أصحابك، لا يجدون ألم مس الحديد، وتلا: **(قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ)**(١). يكون الحرب برداً وسلاماً عليك وعليهم.

فأبشروا، فوالله لئن قتلونا فإنا نرد على نبينا.

ثم أمكث ما شاء الله(٢)..

---

(١) الآية ٦٩ من سورة الأنبياء.

(٢) الخرائج والجرائح ج٢ ص٨٤٨ ـ ٨٥٠ وراجع: مختصر بصائر الدرجات ص٣٦ و ٥٠ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٨٠ وج٥٣ ص٦١ وج٤٤ ص٨٠.

إلى آخر كلامه الذي يذكر فيه رجوعه «عليه السلام» في أيام الإمام المهدي «عجل الله تعالى فرجه» في آخر الزمان، وذكر بعض ما يكون من أحداث آنئذ أيضاً.

ونقول:

ستساق إلى العراق:

إن قول النبي «صلى الله عليه وآله» للحسين «عليه السلام»: إنك ستساق إلى العراق. لا يراد به أنه سيؤخذ مخفوراً إلى ذلك البلد، بل يراد به أنه سوف يضطر إلى الهجرة من بلد إلى بلد، حتى يصل إلى العراق، وذلك تحت وطأة الخطر الذي يلاحقه:

أولاً: لأنه لا يريد أن يعطي أعداءه فرصة لهتك حرمة الأماكن المقدسة، بسفك دمه فيها.

ثانياً: لكي لا يفرضوا عليه شهادة ذليلة، مشوهة المعالم، محفوفة بالشبهات، مرهقة بالأباطيل، في زمان، ومكان وطريقة يختارونها له، لكي يضيع دمه. ويجد المبطلون فيها متنفساً لأحقادهم، وسبيلاً لتحقيق مآربهم في هدم الدين، وإذلال أهله، واستسهال التخلص من حفظته ورموزه.

كربلاء أرض التقى فيها النبيون:

١ ـ صحيح أن الحسين وأصحابه قد قتلوا في أرض كربلاء، وهي أرض غربة، لم يعرفها ولا سكنها الكثيرون منهم، لكنها ليست أرض غضب وعذاب أو أصابها خسف، ليكون الاستشهاد فيها مذلاً،

أو مكروهاً.

بل هي أرض مقدسة ومباركة، فقد اجتمع فيها النبيون، وأوصياؤهم ومن شأن معرفة أصحابه «عليه السلام» بهذا الأمر، أن يزيد من سكينتهم، ورضاهم، وانتعاش أرواحهم بمعنى العزة والكرامة.

كما أن اسم هذه الأرض «عموراء» الذي ورد على لسان الرسول «صلى الله عليه وآله» في هذه المناسبة قد يشير إلى أن هذا الموضع سوف يشمله العمران، ويصبح من أجلى مظاهره.

وقد يكون اسماً مأخوذاً من لغات قديمة سبقت.

ثلاث بشائر، لا بشارتان:

صرحت الرواية: بأن الإمام قد نقل لأصحابه كلامه المتقدم عن جده «صلى الله عليه وآله»، وقد قال «عليه السلام» لأصحابه في الساعات الأخيرة، وأتحفهم «عليه السلام» بهذه البشائر لكي تثلج قلوبهم، وتنعش أرواحهم..

وقد ذكر «عليه السلام» بشارتين هنا في هذه الرواية، وذكرت أخرى بشارة ثالثة.

ولعل البشارتين الأخيرتين هما الأكثر أهمية بالنسبة إليهم..

والبشائر هي التالية:

البشارة الأولى: أنهم «رضوان الله تعالى عليهم» سوف لا يجدون ألم مسِّ الحديد.

إنها بشارة لهم، ليس فقط لأنهم سيكونون فرحين بنيلهم مقام الشهادة دون شعور بالألم، بل من حيث إن هذا الفعل الإلهي تكريم لهم، ولطف بهم، ودليل قبول أعمالهم، وشاهد على قرب منزلتهم عنده سبحانه.

وعلينا أن نعلم: أن عدم الشعور بالألم لا يعني عدم وجود مشكلة في الموت، فإن نفس فراق الدنيا هو المؤلم، والمخيف، الذي لا يقدم عليه الإنسان مهما كلفه الأمر. فلو عرض عليه الموت إذا حصلت له غيبوبة، ولو بواسطة العقاقير، فلا يشعر بشيء، لنفر من ذلك أشد النفور، وسوف يرفض جعله في غيبوبة، حتى لو تعهدوا له بصرف النظر عن إماتته في تلك الحال.

كما أنه لو كان يعاني أشد الآلام وأقساها، وعرض عليه أن يقتلوه لكي يتخلص من تلك الآلام، فإنه يرفض ذلك أشد الرفض، بل هو يعطي كل ما يملك طلباً للشفاء، ولا يخطر في باله أن يقدم على الموت كوسيلة للتخلص من مرضه.

ويلاحظ: إن من يقدم على الموت من أجل التخلص من الألم ليس لأجل أن عقله قد رجح له ذلك، بل لأجل اليأس من روح الله الذي ابتلي به، ولغير ذلك من أسباب نفسية، واعتقادية، وتخيلات لا حقيقة لها، وغير ذلك.

وبذلك يعلم: أن رفع ألم مس الحديد لا يعني صيرورة الموت سهلاً بحيث لا يبقى أي فضل في الإقدام عليه. بل قيمة رفع الألم عنه

من موجبات فرحهم بكرم الله، وشعورهم بحبه لهم، وبمنزلتهم عنده.

البشارة الثانية: إنهم إذا قتلوا فإنهم يردون إلى النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله». وهذه كرامة عظيمة لهم، فإن المفروض أن لقاء المؤمنين برسول الله «صلى الله عليه وآله» في الجنة بعد الحشر والحساب.

أما أن يرد أحد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمجرد خروج روحه من جسده، فهذا ما لا يكون إلا لمن بلغ أعلى درجات القرب منه «صلى الله عليه وآله»، من حيث اجتهادهم في طاعة الله، وشدة اخلاصهم، وعظيم بذلهم وعطائهم.

وهناك بشارة ثالثة، وهي: ما روي عن الإمام الباقر «عليه السلام»، من أن الإمام الحسين «عليه السلام» قال لأصحابه: فأبشروا بالجنة، فوالله إنما نمكث ما شاء الله بعد ما يجري علينا، ثم يُخرجُنا اللهُ وإياكم حتى (لعلها مصحفة عن كلمة: حين) يَظهر قائمُنا فَينتقمَ من الظالمينَ، وأنا وأنتم نُشاهِدهم في السلاسل والأغلال وأنواع العذاب!!

فَقيلَ له: مَنْ قائمُكُم يا ابن رسولِ الله؟!

قال: السابع مِن ولد ابني محمد بن عليٍّ الباقر، وهو الحجةُ ابنُ الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابني، وهو الذي يَغيبُ مدةً طويلةً ثم يظهرُ وَيملأُ الأرضَ قسطاً وَعدلاً كما

مُلئت ظلماً وَجوراً(١).

فقد تضمن هذا النص بالإضافة إلى البشارة بالجنة.. وهي بشارة أخرى تضاف إلى البشائر المتقدمة تضمن ـ بشارة ـ برجعة هؤلاء الشهداء إلى الدنيا، عند ظهور الإمام الحجة في آخر الزمان، ليشهدوا انتقامه «عليه السلام» من قتلتهم، فيرى الحسين «عليه السلام»، وأصحابه قتلتهم في السلاسل والأغلال، وأنواع العذاب. فيشفي الله صدور هؤلاء الصفوة، من أعدائهم في الدنيا قبل الآخرة، ولعذاب الآخرة أشد وأخزى.

وهذا أيضاً تفضل إلهي آخر، وكرامة أتم منه تعالى عليهم «رضوان الله تعالى عليهم أجمعين».

من قائمكم يا ابن رسول الله؟!:

وقد يرتاب البعض في صحة ما ذكرته هذه الرواية، من أن سؤالاً قد وجه إلى الإمام في هذه الأثناء، فقيل له: من قائمكم يا ابن رسول الله؟!

إذ لا يعقل أن يكون هؤلاء الصفوة، الذين هم أوفى أصحاب للإمام «عليه السلام» لا يعرفون بأن لأهل البيت قائماً يخرج في آخر

(١) النجم الثاقب ج١ ص٥١١ و ٥١٢ ومقتل الحسين للمقرم ص٢١٥ من كتاب إثبات الرجعة للفضل بن شاذان، وعن إثبات الهداة ج٣ ص٥٦٩ باب٣٢ فصل ٤٤ رقم٦٨١.

الزمان.

بل إن جواب الإمام الحسين «عليه السلام» الذي ذكر فيه أسماء الأئمة كلهم «عليهم السلام»، قد يثير احتمال أن يكون أصحابه «عليه السلام» لا يعرفون شيئاً عن الأئمة.. وهذا اختلال عقائدي كبير، لا يمكن نسبته إلى هؤلاء الشهداء العظام.

ويمكن أن يجاب:

أولاً: إننا إذا قبلنا بهذا، فغاية الأمر أن يقال: إنه كان بين الأصحاب قلة قليلة: شخص واحد أو أكثر يجهلون بأن لآل محمد قائماً في آخر الزمان. فإن النص يقول: «فقيل له»، فلعل القائل كان شخصاً واحداً، أو بضعة أشخاص.. لم يسمعوا أو يسمع شيئاً عن هذا الأمر، لأنهم كانوا يعيشون في بلد بعيد عن مركز المعرفة، ولم يذكر أمامه شيء من ذلك الذي يقل تداوله بسبب عدم الابتلاء به آنئذٍ.

وربما كان هذا السائل من أهل ديانة أخرى، أو من جماعة لم يهتدوا إلى أمر الإمام والإمامة، أو لا يروق لهم أن يكون لبني هاشم مهدياً يزيل ملك الجبارين من بني أمية أو غيرهم. وقد يكون هذا السائل قد التحق به «عليه السلام» في وقت متأخر لا يسمح بالتعرف التام على حقائق الدين.

ثانياً: لعل التعبير الذي أطلقه الإمام الحسين «عليه السلام» قد أثار لدى ذلك السائل احتمال أن يكون لأهل البيت قائم آخر يخصهم غير الإمام الحجة، الذي يبعث لإنقاذ جميع البشر، يبعثه الله على

أعداء الحسين وأهل البيت لكي ينتقم منهم. وعلى هذا، فلا مانع من أن يكون السائل على يقين من ظهور الحجة، لكنه أراد بسؤاله أن يعرف مصير الاحتمال الآخر..

وقد يكون من دلائل هذا: أنه «عليه السلام» قد قال للسائل عن هذا القائم: وهو الذي يغيب مدة طويلة الخ.. فكأنه «عليه السلام» يخاطب من يعرف بوجود قائم يغيب. ولكنه أخطأ في تطبيق الكلام وفهم المراد، وذلك بقرينة قوله «عليه السلام»: «الذي». إذ لو كان لا يعرف بأصل وجود قائم، لكان قال له: «..وهو يغيب مدة طويلة الخ..» بدون كلمة الذي.

هاهنا مناخ ركابنا:

١ ـ قال ابن أعثم:

فوثب إلى الحسين رجل من شيعته يقال له: هلال، فقال: يا بن بنت رسول الله! تعلم أن جدك رسول الله [لا] يقدر أن يُشْرِبَ الله [الخلائق] محبته، ولا أن يرجعوا من أمرهم إلى ما يحب، وقد كان منهم منافقون، يبدونه النصر، ويضمرون له الغدر، يلقونه بأحلى من العسل، ويلحقونه بأمر من الحنظل، حتى توفاه الله عز وجل؛ وأن أباك علياً قد كان في مثل ذلك، فقوم أجمعوا على نصره، وقاتلوا معه المنافقين، والفاسقين، والمارقين، والقاسطين حتى أتاه أجله.

وأنتم اليوم عندنا في مثل ذلك الحال، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه والله يغني عنه، فسر بنا راشداً، مشرِّقاً إن شئت، أو مغرِّباً.

فوالله ما أشفقنا من قدر الله، ولا كرهنا لقاء ربنا، وإنَّا على نياتنا و نصرتنا، نوالي من والاك، ونعادي من عاداك.

قال: فخرج الحسين، وولده وإخوته وأهل بيته «رحمة الله عليهم» بين يديه، فنظر إليهم ساعة وبكى وقال: اللهم! إنَّا عترة نبيك محمد «صلى الله عليه وآله»، وقد أخرجنا وطردنا عن حرم جدنا، وتعدت بنو أمية علينا، فخذ بحقنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

قال: ثم صاح الحسين في عشيرته، ورحل من موضعه ذلك حتى نزل كربلاء في يوم الأربعاء، أو يوم الخميس. وذلك في الثاني من المحرم سنة إحدى وستين.

ثم أقبل إلى أصحابه، فقال لهم: أهذه كربلاء؟

فقالوا: نعم.

فقال الحسين لأصحابه: انزلوا هذا موضع كرب وبلاء، ههنا مناخ ركابنا، ومحط رحالنا، وسفك دمائنا.

قال: فنزل القوم وحطوا الأثقال ناحية من الفرات، وضربت خيمة الحسين لأهله وبنيه، وضرب عشيرته خيامهم من حول خيمته، وجلس الحسين وأنشأ يقول:

يــا دَهــرُ أُفٍّ لَــكَ مِــن خَليــلِ　　　كَــم لَــكَ بالإِشــراق وَالأَصــيلِ

مِــن طَالِــبٍ وصَــاحِبٍ قتيــلِ　　　وكُـــلُّ حَـــيٍّ عَـــابرٍ سَّـــبيلِ

مــا أقرَبَ الوَعدَ إلَى الرَّحيلِ　　　وإنَّمَـــا الأمـــرُ إلَـــى الجَليـــلِ

قال: وسمعت ذلك أخت الحسين، زينب وأم كلثوم، فقالتا: يا أخي! هذا كلام من أيقن بالقتل؟

فقال: نعم يا أختاه!

فقالت زينب: وا ثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! مات جدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومات أبي علي، وماتت أمي فاطمة، ومات أخي الحسن «عليهم السلام»، والآن ينعي إليَّ الحسين نفسه.

قال: وبكت النسوة ولطمن الخدود.

قال: وجعلت أم كلثوم تنادي: وا جداه! وا أبي علياه! وا أماه! وا حسناه! وا حسيناه! وا ضيعتنا بعدك! وا أبا عبد الله!

فعذلها الحسين، وصبَّرها وقال لها: يا أختاه! تعزي بعزاء الله، وارضي بقضاء الله، فإن سكان السماوات يفنون، وأهل الأرض يموتون، وجميع البرية لا يبقون، وكل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون، وإن لي ولك ولكل مؤمن ومؤمنة أسوة بمحمد «صلى الله عليه وآله».

ثم قال لهن: انظرن إذا أنا قتلت فلا تشققن علي جيباً، ولا تخمشن وجهاً(١).

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٨٣ و ٨٤ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٣٦.

وراجع حول الشعر المتقدم إلى آخر النص: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤٢٠

٢ ـ **ذكرت الروايات:** أنه بعد أن انتهى الحسين «عليه السلام» إلى كربلاء، ضيَّق عليه الحر بعد تسلمه كتاب ابن زياد، الذي تضمن جعل حامل الكتاب رقيباً عليه لينفذ ما أمره به حرفياً. فَقَرَأَ الحُرُّ الكِتابَ، ثُمَّ ناوَلَهُ الحُسَينَ «عليه السلام»، وقالَ: لا بُدَّ مِن إنفاذِ أمرِ الأَميرِ عُبَيدِ اللهِ بنِ زيادٍ، فَانزِل بِهذَا المَكانِ، ولا تَجعَل لِلأَميرِ عَلَيَّ عِلَّةً.

فاقترح عليه الحسين «عليه السلام» أن يتقدم بهم إلى إحدى القرى الثلاث القريبة، فرفض الحر ذلك.

فاقترح زهير بن القين على الحسين «عليه السلام» أن يناجز الحر القتال، فقال «عليه السلام»: فَإِنّي أكرَهُ أن أبدَأَهُم بِقِتالٍ حَتّى يَبدَأوا.

فاقترح زهير على الحسين «عليه السلام»: أن يسير «عليه السلام» إلى قرية لينزلوا بها، «فإنها حصينة، وهي على شاطئ الفرات» كما في الطبري، والإرشاد للمفيد.

أو قال له ـ كما في الأخبار الطوال ـ: «فَهاهُنا قَريَةٌ بِالقُربِ مِنّا عَلى شَطِّ الفُراتِ، وهِيَ في عاقولٍ حَصينَةٍ، الفُراتُ يُحدِقُ بها إلّا مِن وَجهٍ واحِدٍ.

قالَ الحُسَينُ «عليه السلام»: وَمَا اسمُ تِلكَ القَريَةِ؟

و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١٩ وراجع: الكامل في التاريخ ج٤ ص٥٨ و ٥٩ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٣٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٨٣.

قالَ: العَقرُ(١).

٣ ـ زاد أبو حنيفة الدينوري:

قالَ الحُسَينُ «عليه السلام»: نَعوذُ بِاللهِ مِنَ العَقرِ. (أو اللّهُمَّ إنّي أعوذُ بِكَ مِنَ العَقرِ).

فَقالَ الحُسَينُ «عليه السلام» لِلحُرِّ: سِر بِنا قَليلاً، ثُمَّ نَنزِلُ.

فَسارَ مَعَهُ حَتّى أتَوا كَربَلاءَ، فَوَقَفَ الحُرُّ وأصحابُهُ أمامَ الحُسَينِ «عليه السلام»، ومَنَعوهُم مِنَ المَسيرِ، وقالَ: اِنزِل بِهذَا المَكانِ، فَالفُراتُ مِنكَ قَريبٌ!

قالَ الحُسَينُ «عليه السلام»: ومَا اسمُ هذَا المَكانِ؟

قالوا لَهُ: كَربَلاءُ.

قالَ: ذاتُ كَربٍ وبَلاءٍ، ولَقَد مَرَّ أبي بِهذَا المَكانِ عِندَ مَسيرِهِ إلى صِفّينَ، وأنَا مَعَهُ، فَوَقَفَ، فَسَأَلَ عَنهُ، فَأُخبِرَ بِاسمِهِ، فَقالَ: «هاهُنا مَحَطُّ رِكابِهِم، وهاهُنا مُهَراقُ دِمائِهِم»، فَسُئِلَ عَن ذلِكَ، فَقالَ: «ثِقَلٌ لِآلِ بَيتِ

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤٠٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣٠٩ والإرشاد ج٢ ص٨٤. وراجع: أنساب الأشراف ج٣ ص٣٨٤ و ٣٨٥ ومثير الأحزان ص٤٨ والأخبار الطوال ص٢٥٢ و ٢٥٣ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٢ وتجارب الأمم ج٢ ص٦٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٨ وج٧ ص٧١ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٩٣ و ٩٤ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٢٤ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج٦ ص٢٦٢٥ وإبصار العين ص١٦٣ ولواعج الأشجان ص٩٩ و ١٠٠.

مُحَمَّدٍ يَنزِلونَ هاهُنا».

ثُمَّ أمَرَ الحُسَينُ «عليه السلام» بِأثقالِهِ، فَحُطَّت بِذلِكَ المَكانِ يَومَ الأربِعاءِ، غُرَّةَ المُحَرَّمِ مِن سَنَةِ إحدى وسِتّينَ»(١).

٤ ـ وقال السيد ابن طاووس «رحمه الله»:

ثُمَّ إنَّ الحُسَينَ «عليه السلام» قامَ ورَكِبَ، وسارَ. كُلَّما أرادَ المَسيرَ يَمنَعونَهُ تارَةً، ويُسايرونَهُ أُخرى، حَتّى بَلَغَ كَربَلاءَ، وكانَ ذلِكَ فِي اليَومِ الثّاني مِنَ المُحَرَّمِ.

فَلَمّا وَصَلَها قالَ: ما اسمُ هذِهِ الأَرضِ؟

فَقيلَ: كَربَلاءُ.

فَقالَ: انزِلوا، هاهُنا ـ وَاللهِ ـ مَحَطُّ رِكابِنا، وسَفكُ دِمائِنا. هاهُنا ـ وَاللهِ ـ مَخَطُّ قُبورِنا، وهاهُنا ـ وَاللهِ ـ سَبيُ حَريمِنا، بِهذا حَدَّثَني جَدّي(٢).

٥ ـ عن ابن قتيبة قال:

فَلَقِيَهُ [أي الحُسَينَ «عليه السلام»] الجَيشُ [أي جيش الحر] عَلى

---

(١) الأخبار الطوال ص٢٥٢ ـ ٢٥٣ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج٦ ص٢٦٢٤. وراجع: حياة الحيوان الكبرى للدميري ج١ ص٩٢.

(٢) الملهوف ص١٣٩ و (نشر أنوار الهدى) ص٤٩ ومثير الأحزان ص٤٩ نحوه. وموسوعة الإمام الحسين ج٤ ص١٦ عنهما، وفيه: الثامن، بدل: الثاني. وراجع: الحدائق الوردية ج١ ص١١٤.

خُيولِهِم بِوادِي السِّباعِ، فلقوهم وليس معهم ماء.. (إلى أن قال:) ثُمَّ قالوا: سِرِ بِنا يَا بنَ بِنتِ رَسولِ اللهِ، فَما زالوا يَرجونَهُ، وأخَذوا بِهِ عَلَى النُّجُبِ [الجرف] حَتّى نَزَلوا بِكَربَلاءَ(١).

٦ ـ قال ابن شهر آشوب:

فَساقوا [الحُسَينَ «عليه السلام» وعَسكَرَهُ] إلى كَربَلاءَ يَومَ الخَميسِ، الثّانِيَ مِنَ المُحَرَّمِ، سَنَةَ إحدى وسِتّينَ(٢)، ثُمَّ نَزَلَ وقالَ: هذا

(١) موسوعة الإمام الحسين ج٤ ص١٠ عن المحن ص١٤٦ والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج٢ ص٥ و (تحقيق الشيري) ج٢ ص١١ وفيه: «الجرف» بدل «النجب».

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٧ وموسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٩ عنه، وعن المصادر التالية: كشف الغمّة ج٢ ص٢٥٩ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص٢٥٧ ومطالب السؤول ص٧٥ و (تحقيق ماجد العطية) ص٤٠٠ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٨٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٣٧ وفي هذه الأربعة: «يوم الأربعاء أو الخميس» وفي الفصول المهمة لابن الصباغ ص١٨٨ «يوم الأربعاء، الثامن من المحرم سنة إحدى وستين».

ومن المصادر التي ذكرت يوم الخميس: الإرشاد للمفيد ج٢ ص٨٤ والملهوف ص١٣٩ ومثير الأحزان ص٤٩ وليس فيه «يوم الخميس»، وروضة الواعظين ص١٩٩ وإعلام الورى ج١ ص٤٥١ وأنساب الأشراف ج٣ ص٣٨٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤٠٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣٠٩ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٢ ولواعج الأشجان ص١٠١ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٨ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٣٦٤ ومستدرك

مَوضِعُ الكَربِ وَالبَلاءِ، هذا مُناخُ رِكابِنا، ومَحَطُّ رِحالِنا، ومَقتَلُ رِجالِنا، وسَفكُ دِمائِنا(١).

٧ ـ وفي تاريخ الطبري:

عن عمّار الدهني عن أبي جعفر [الباقر] «عليه السلام»: فَسارَ [الحُسَينُ «عليه السلام»]، فَلَقِيَتهُ أوائِلُ خَيلِ عُبَيدِ اللهِ، فَلَمّا رَأى ذلِكَ عَدَلَ إلى كَربَلاءَ، فَأَسنَدَ ظَهرَهُ إلى قَصباءَ خَلاً؛ كَيلا يُقاتِلَ إلّا مِن وَجهٍ واحِدٍ، فَنَزَلَ وضَرَبَ أبنِيَتَهُ، وكانَ أصحابُهُ خَمسَةً وأربَعينَ فارِساً ومِئَةَ راجِلٍ(٢).

سفينة البحار ج٩ ص٨٩ وتجارب الأمم ج٢ ص٦٨ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٩٤ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٢٥.

(١) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٧ وكشف الغمّة ج٢ ص٢٥٩ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص٢٥٧ ومطالب السؤول ص٧٥ و (تحقيق ماجد العطية) ص٤٠٠ وموسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٩.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٨٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٩٢ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤٢٧ وتهذيب التهذيب ج١ ص٥٩٢ و (ط دار الفكر) ج٢ ص٣٠٤ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٠٨ وفيه «قصمياً» بدل «قصباء خلاً»، والأمالي لابن الشجري ج١ ص١٩١ وموسوعة الإمام الحسين ج٤ ص١٠ عنهم. وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥٢١ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٩ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص٢١٤.

وعن كربلاء أيضاً:

وهناك أحاديث كثيرة جداً تذكر كربلاء، وما يجري فيها، وهي مروية عن النبي «صلى الله عليه وآله»، وعن علي والحسن، والحسين، وعن سائر الأئمة الطاهرين، وعن الأنبياء والمرسلين من آدم إلى النبي الخاتم «صلوات الله عليهم أجمعين»..

وحيث إن الإلمام بها جميعها يحتاج إلى تأليف خاص، وجهد مستقل، فإننا نكتفي هنا ببضعة منها، هي التالية:

١ ـ عن المطّلب بن عبد الله بن حنطب:

لَمّا أُحيطَ بِالحُسَين بن عَلِيٍّ «عليه السلام» قالَ: مَا اسمُ هذِهِ الأرضِ؟

قيلَ: كَربَلاءُ.

فَقالَ: صَدَقَ النَّبيُّ «صلى الله عليه وآله» إنَّها أرضُ كَربٍ وبَلاءٍ(١).

٢ ـ وفي نص آخر:

(١) موسوعة الإمام الحسين ج٤ ص١٤ عن المعجم الكبير للطبراني ج٣ ص١٠٦ و ١٣٣ وذخائر العقبى ص٢٥٥ والعقد الفريد ج٣ ص٣٦٥ عن أبي عبيد القاسم بن سلام، وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢٢٠ وكنز العمال ج١٣ ص٦٧١ والآحاد والمثاني ج١ ص٣٠٧ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٩٢ والإكمال في أسماء الرجال ص٤٥.

أنه «عليه السلام» سأل عن تلك الأرض بعد أن اضطرب. أي تجول فيها، وأنه قال: يَومُ كَربٍ وبَلاءٍ(١).

وروي نحو ذلك عن الإمام الصادق، عن أبيه، عن جده «عليهم السلام». وأنه «عليه السلام» قالَ: هذا ـ وَاللهِ ـ يَومُ كَربٍ وبَلاءٍ، وهذا المَوضِعُ الَّذي يُهَراقُ فيهِ دِماؤُنا، ويُباحُ فيهِ حَريمُنا(٢).

٣ ـ عن أمّ سلمة قالت:

كانَ رَسولُ اللهِ «صلى الله عليه وآله» جالِساً ذاتَ يَومٍ في بَيتي، فَقالَ: لا يَدخُل عَلَيَّ أحَدٌ.

فَانتَظَرتُ، فَدَخَلَ الحُسَينُ «عليه السلام»، فَسَمِعتُ نَشيجَ رَسولِ اللهِ «صلى الله عليه وآله» يَبكي، فَاطَّلَعتُ، فَإِذا حُسَينٌ «عليه السلام» في حِجرِهِ، وَالنَّبِيُّ «صلى الله عليه وآله» يَمسَحُ جَبينَهُ، وهُوَ يَبكي.

فَقُلتُ: وَاللهِ، ما عَلِمتُ حينَ دَخَلَ.

فَقالَ: إنَّ جِبريلَ «عليه السلام» كانَ مَعَنا فِي البَيتِ، فَقالَ: تُحِبُّهُ؟

قُلتُ: أمّا مِنَ الدُّنيا فَنَعَم.

---

(١) الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٦٤ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٦٨ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣١١ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢٢٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص١٣ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج٦ ص٢٦١٦.

(٢) الأمالي للصدوق ص٢١٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣١٥ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٦٤

قالَ: إنَّ أُمَّتَكَ سَتَقتُلُ هذا بِأَرضٍ يُقالُ لَها: كَربَلاءُ.

فَتَناوَلَ جِبريلُ «عليه السلام» مِن تُربَتِها، فَأَراهَا النَّبِيَّ «صلى الله عليه وآله».

فَلَمّا أُحيطَ بِحُسَينٍ «عليه السلام» حينَ قُتِلَ قالَ: مَا اسمُ هذِهِ الأَرضِ؟

قالوا: كَربَلاءُ.

قالَ: صَدَقَ اللهُ ورَسولُهُ، أرضُ كَربٍ وبَلاءٍ(١).

٤ ـ وذكر سبط ابن الجوزي:

أن الحُسَينُ «عليه السلام» حين سأل عن كربلاء، وأجابوا بكى، وقالَ: كَربٌ وبَلاءٌ؛ أخبَرَتني أُمُّ سَلَمَة، قالَت: كانَ جَبرَئيلُ عِندَ رَسولِ اللهِ «صلى الله عليه وآله»، وأنتَ مَعي، فَبَكَيتَ، فَقالَ رَسولُ اللهِ «صلى الله عليه وآله»: دَعِي ابني، فَتَرَكتُكَ، فَأَخَذَكَ ووَضَعَكَ في حِجرِهِ، فَقالَ جَبرَئيلُ «عليه السلام»: أتُحِبُّهُ؟

قالَ: نَعَم.

(١) المعجم الكبير ج٣ ص١٠٨ وج٢٣ ص٢٨٩ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٨٨ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٣ ص٦٥٦ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج٦ ص٢٥٩٨ وإمتاع الأسماع ج١٢ ص٢٣٨ وج١٤ ص١٤٦ والدر النظيم ص٥٣٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٣٤٩ وج٢٧ ص٢٣٠.

قالَ: فَإِنَّ أُمَّتَكَ سَتَقتُلُهُ!

قالَ: وإن شِئتَ أن أُرِيَكَ تُربَةَ أرضِهِ الَّتي يُقتَلُ فيها؟

قالَ: نَعَم.

قالَت: فَبَسَطَ جَبرَئيلُ «عليه السلام» جَناحَهُ عَلى أرضِ كَربَلا، فَأَراهُ إيّاها(١).

٥ ـ عن أبي يحيى، عن رجل من بني ضبّة:

شَهِدتُ عَلِيّاً «عليه السلام» حينَ نَزَلَ كَربَلاءَ، فَانطَلَقَ، فَقامَ ناحِيَةً، فَأَومَأَ بِيَدِهِ، فَقالَ: مُناخُ رِكابِهِم أمامَهُ، ومَوضِعُ رِحالِهِم عَن يَسارِهِ، فَضَرَبَ بِيَدَيهِ الأَرضَ، فَأَخَذَ مِنَ الأَرضِ قَبضَةً، فَشَمَّها فَقالَ: وا حَبَّذَا الدِّماءُ يُسفَكُ فيهِ.

ثُمَّ جاءَ الحُسَينُ «عليه السلام» فَنَزَلَ كَربَلاءَ.

قالَ الضَّبِّيُّ: فَكُنتُ فِي الخَيلِ الَّتي بَعَثَهَا ابنُ زِيادٍ إلَى الحُسَينِ «عليه السلام»؛ فَلَمّا قَدِمتُ فَكَأَنَّما نَظَرتُ إلى مَقامِ عَلِيٍّ «عليه السلام» وإشارَتِهِ بِيَدِهِ، فَقَلَبتُ فَرَسي، ثُمَّ انصَرَفتُ إلَى الحُسَينِ بنِ عَلِيٍّ «عليه السلام» فَسَلَّمتُ عَلَيهِ، وقُلتُ لَهُ: إنَّ أباكَ كانَ أعلَمَ النّاسِ، وإنّي شَهِدتُهُ في زَمَنِ كَذا وكَذا قالَ: كَذا وكَذا، وإنَّكَ ـ وَاللهِ ـ لَمَقتولٌ السّاعَةَ.

قالَ: فَما تُريدُ أن تَصنَعَ أنتَ؟ أتَلحَقُ بِنا، أم تَلحَقُ بِأَهلِكَ؟

---

(١) تذكرة الخواص ج٢ ص١٥٧.

قُلتُ: وَاللهِ، إنَّ عَلَيَّ لَدَينا، وإنَّ لي لَعِيالاً، وما أظُنُّ إلّا سَأَلحَقُ بِأهلي.

قالَ: أمّا لا، فَخُذ مِن هذَا المالِ حاجَتَكَ ـ وإذا مالٌ مَوضوعٌ بَينَ يَدَيهِ ـ قَبلَ أن يَحرُمَ عَلَيكَ، ثُمَّ النَّجاءَ، فَوَاللهِ، لا يَسمَعُ الدّاعِيَةَ أحَدٌ ولا يَرَى البارِقَةَ أحَدٌ ولا يُعينُنا، إلّا كانَ مَلعوناً عَلى لِسانِ مُحَمَّدٍ «صلى الله عليه وآله».

قالَ: قُلتُ: وَاللهِ، لا أجمَعُ اليَومَ أمرَينِ: آخُذُ مالَكَ، وأخذُلُكَ؟!

فَانصَرَفَ وتَرَكَهُ(١).

٦ ـ فَلَمّا قيلَ لِلحُسَينِ «عليه السلام»: هذِهِ أرضُ كَربَلاءَ، شَمَّها وقالَ: هذِهِ ـ وَاللهِ ـ هِيَ الأَرضُ الَّتي أخبَرَ بِها جَبرائيلُ «عليه السلام» رَسولَ اللهِ «صلى الله عليه وآله»، وإنَّني أُقتَلُ فيها(٢).

ونقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة وقفات، هي التالية:

تحشيد النصوص:

قد ذكرنا نصوصاً عديدة فيما تقدم، لا لأننا نرغب في تكثير النصوص، بل لأننا وجدنا: أن كل نص يحمل معه فوائد، وعوائد، وإشارات تختلف عما حمله لنا غيره.

---

(١) المطالب العالية ج٤ ص٣٢٦.

(٢) تذكرة الخواص ج٢ ص١٥٧.

ونحن قد لا نكون بصدد الخوض في جميع هذه الإشارات والفوائد، لأن الأمر في تتبعها سوف يطول، ويوجب ملالة القارئ الكريم، ولأن استيعابها قد يخل بالسياق العام للكتاب، ولغير ذلك من أسباب..

إلا أننا بإيراد هذه النصوص ووضعها في متناول يد القارئ الكريم نكون قد مهدنا السبيل لمشاركته لنا أيضاً في تخيرُّ الخصوصية أو الفائدة التي تهمه ليضيفها إلى ما نبهنا عليه وأشرنا إليه..

هلال؟! أم نافع بن هلال؟!:

١ ـ في النص المتقدم برقم [١] عن ابن أعثم: أن الذي تكلم مع الإمام الحسين «عليه السلام» بذلك الكلام السديد والرشيد حين بلغه «عليه السلام» خبر استشهاد قيس بن مسهر الصيداوي هو رجل من شيعته يقال له: هلال. والصحيح: أنه نافع بن هلال.

٢ ـ قد بلغ الحسين «عليه السلام» ـ كما يقول ابن أعثم ـ خبر استشهاد قيس، حيث تكلم نافع بهذا الكلام بعد أن صار الحسين «عليه السلام» من وراء عذيب الهجانات. (أو في البيضة) كما في مصادر أخرى(١).

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤٠٣ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣٠٤ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٨٥.

رسالة الحسين إلى أهل الكوفة:

وتقول رواية ابن أعثم: إن الإمام الحسين «عليه السلام» أرسل قيس بن مسهر الصيداوي برسالة إلى أهل الكوفة، بعد أن أصبح وراء عذيب الهجانات، فأخذ وقتل(١) في حين:

١ ـ أن آخرين يقولون: إن هذه الرسالة إنما هي خطبة خطبها «عليه السلام» في أصحابه، وأصحاب الحر في البيضة كما قلنا.

٢ ـ يضاف إلى ذلك: أن ثمة من يقول: إن الإمام الحسين إنما أرسل قيس بن مسهر إلى الكوفة من الحاجر(٢).

إلا أن يقال: لا مانع من أن يكون «عليه السلام» قد أرسله أولاً من الحاجر، فعاد إليه، ثم أرسله من البيضة بعد ذلك. فيكون قد

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٨١ و ٨٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٨١ و ٣٨٢ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٣٢ و ٢٣٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٣٦.

(٢) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤١ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٩٧ وتجارب الأمم ج٢ ص٥٧ و (ط دار سروش سنة ١٤٢٢هـ) ج٢ ص٦٠ وأنساب الأشراف ج٣ ص٣٧٨ والأخبار الطوال ص٢٤٥ و ٢٤٦ ومثير الأحزان ص٣٢ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٨١ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٧٠ والكامل في التاريخ ج٤ ص٤١ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٧١ وإبصار العين ص١١٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٦٠٤ وج٢٧ ص١٦٣.

استشهد في المرة الثانية، لا في المرة الأولى..

توهم باطل:

وهناك من قال: إن هذه الرسالة قد كتبها الحسين «عليه السلام» إلى أهل الكوفة، بعد نزوله كربلاء.

وهذا كلام باطل:

أولاً: لأنه إذا كان حمل ابن مسهر لهذه الرسالة قد انتهى بقتله، وقد بلغ الحسين خبر مقتل قيس وهو في طريق كربلاء، فكيف يكون قد أرسله بعد نزوله في كربلاء؟!

ثانياً: تقول رواية ابن أعثم: «ثم صاح الحسين في عشيرته، ورحل من موضعه ذلك حتى نزل كربلاء». ومعنى هذا: أن وصول خبر مقتل قيس «رحمه الله» إلى الحسين «عليه السلام» قد كان قبل وصوله «عليه السلام» إلى كربلاء، ونزوله فيها.

وقد استدلوا على بطلان القول: بأنه «عليه السلام» أرسل هذه الرسالة من كربلاء: بقول نافع بن هلال للإمام «عليه السلام»: «فسر بنا راشداً، مشرِّقاً إن شئت، أو مغرِّباً» باعتبار: أن هذا القول لا معنى له إذا كان الإمام قد نزل كربلاء بالفعل.

كما أنهم كانوا قد حاصروا الإمام، ولم يكن قادراً على التحرك، لا شرقاً ولا غرباً..

وهو استدلال غير ظاهر، لأن هذه العبارة يمكن أن يقصد بها إظهار التسليم والانقياد المطلق لإرادته «عليه السلام»، فهو على حد

قول القائل: لو خضت البحر لخضناه معك..

لا يُشرب الله الخلائق محبة نبيه:

تقدم: أن نافع بن هلال قال للإمام الحسين «عليه السلام»: تعلم أن جدك رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يقدر أن يشرب الله الخلائق محبته، ولا أن يرجعوا من أمرهم إلى ما يحب. فكيف هذا الكلام.

ونقول في الجواب:

أولاً: إن النص المتقدم مأخوذ عن ابن أعثم، فلو أخذنا بهذا النص على ما هو عليه، ولم نقل: إنه قد تعرض للتصرف والتحريف، فإننا نقول:

إن نافعاً لا يريد أن ينسب ـ والعياذ بالله ـ العجز إلى الله تعالى، وأنه لا يقدر على فعل ذلك، فإن هذا باطل بلا ريب. بل يريد أن يقول له «عليه السلام»: أتعلم أن الله تعالى لا يقدر على فعل ذلك؟! إنك ليس فقط لا تعلم ذلك. بل أنت تعلم بخلافه، أي بأنه تعالى قادر على أن يُشْرِبَ الله الخلائق محبة نبيه، وقادر على أن يرجعوا من أمرهم إلى ما يحب.

ولكنه تعالى لم يفعل ذلك، ولذا ترى: أنه قد كان منهم منافقون، يظهرون له أنهم سينصرونه، مع أنهم يضمرون له الغدر الخ..

ثانياً: إن هذا النص قد تعرض ـ فيما يبدو ـ للتصرف والتحريف، فكلمة لا يقدر ربما كانت «لم يقدر»، كما أن لفظ الجلالة قد زيد في

قوله: «يشرب الله الخلائق». والصحيح: يشرب الخلائق محبته،والضمير يرجع لكلمة «جدك».

وعلى هذا يستقيم المعنى، ولا يبقى فيه أي إشكال.

ويشهد لذلك: أن الخوارزمي قد ذكر نفس هذه الرواية ـ وهو إنما يروي عن ابن أعثم ـ وقد جاءت فيها هذه العبارة هكذا: «أنت تعلم أن جدك رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يقدر أن يُشْرِبَ الناس محبته، ولا أن يرجعوا إلى ما كان أحب الخ..».

لماذا قال نافع هذا الكلام؟!:

والظاهر: أن نافع بن هلال حين رأى شدة تأثر الإمام «عليه السلام» لمقتل قيس بن مسهر بعد تخاذل أهل الكوفة، ونكثهم عهدهم أراد أن يذكر الحاضرين بالسنة الإلهية مع الأنبياء والأوصياء، وهي التي لمسها الناس في عهد النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي والحسن «عليهما السلام»، والمتمثلة بإجراء الأمور وفق السنن الطبيعية، من دون تدخل إلهي قاهر لهم في مواقفهم، فهو يريد أن تسير أمورهم من دون تصرف منه بقلوبهم فيما يرتبط بالحب والبغض، وغير ذلك.

وهذا يدلل على أن ما جرى لقيس بن مسهر، وغيره من الشهداء، نتيجة لتخاذل أهل الكوفة ونكثهم، لا يعني أن يصاب أهل الإيمان بالوهن والإحباط، كما أن على الإنسان المؤمن أن يقوم بما أوجبه الله عليه، ولا يجب تحصيل اليقين بحصول الهدف الأقصى على النحو

الأكمل والأتم..

بل قد يكون نفس تصدي البعض للعمل بالواجب هدفاً ومطلباً للشارع في حد ذاته، وتكون له غايات قد يظهر بعضها، وبعضها قد لا يظهر لكثير من الناس.

هذا موضع كرب وبلاء:

١ ـ لا حاجة إلى إعادة التذكير: بأن كلمة «هذا موضع كرب وبلاء»، وكذلك قول الإمام الحسين «عليه السلام»: «نعوذ بالله من العقر»، وامتناعه عن قبول النزول في ذلك المكان، ليس من التشاؤم المنهي عنه، الذي يعتمد على مجرد الحدس، والتخمين والتوقع، بل هو من علم الإمامة حيث تكشف للإمام الحقائق التي يحتاج إلى معرفتها، ليكون تعامله معها عن بصيرة ويقين.

وكيف يكون ذلك من التشاؤم المنهي عنه، وقد طفحت مصادر المسلمين بالأخبار عن استشهاد الحسين في كربلاء عن النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلي والحسن والحسين «عليهم السلام»، وعن الكثيرين من الصحابة وغيرهم.

وذكرت في تلك الأخبار الكثير من التفاصيل الدقيقة، التي شاعت وانتشرت بين المسلمين.

وأما فيما يرتبط بالعقر فإن تعوذه «عليه السلام» منه، لا يعني التشاؤم أيضاً، فقد يتعوذ الإنسان بالله من كل ما يخطر على بال الناس ولو خطأً أنه قد يتعرض له.

وإنما يدخل في دائرة التشاؤم لو كان ترتيب الأثر العملي مستنداً إلى هذا الانقباض النفسي. وليس في هذا التعوذ دلالة على ذلك. بل إن ظواهر الأحوال تعطي: أنه «عليه السلام» كان يريد النزول في خصوص كربلاء، تطبيقاً لما ورد على لسان النبي «صلى الله عليه وآله» والأوصياء بعده، والأنبياء قبله..

٢ ـ وقد اختلفت الروايات في هل أن الحسين «عليه السلام» قال أرض [موضع] كرب وبلاء، أو قال: يوم كرب وبلاء.. وقد يقال: إن عبارة أرض كرب وبلاء، أو ما بمعناها أنسب من العبارة الأخرى.

أولاً: لأن الحسين «عليه السلام» كان قد نزل كربلاء في الثاني من المحرم، ويوم الكرب والبلاء هو اليوم العاشر منه.

ثانياً: إن كلمة موضع كرب وبلاء هي التي تناسب العبارات التي تلتها. وهي قوله: هاهنا محط رحالنا الخ..

هاهنا.. وهاهنا:

وتقدم: أنه بمجرد وصول الحسين «عليه السلام» إلى كربلاء قد تجول فيها، ثم أخبر بأمور عديدة يشير إلى مواضع حصولها بصورة مباشرة، وهي كما يتبين من تتبع النصوص المختلفة، وحسب قول الإمام نفسه الأمور التالية:

١ ـ الموضع الذي يهرق فيه دماؤنا.

٢ ـ الذي يباح فيه حريمنا.

٣ ـ مناخ [محط] ركابنا.

٤ ـ محط رحالنا.

٥ ـ مقتل رجالنا.. ومنهم الحسين نفسه، كما أخبر به جبرئيل.

٦ ـ مخط قبورنا.

٧ ـ موضع سبي حريمنا.

وبذلك يكون «عليه السلام» قد أظهر أمراً خطيراً لو لم تصدقه الوقائع، فلربما شك الناس باستحقاقه مقام الإمامة، ولأوجب الشك في كل ما ورد عن الرسول وعلي والحسنين، ليس في قضية عاشوراء وحسب، بل ليسري الشك إلى مختلف القضايا الأخرى أيضاً..

وبعد أن صدقته الوقائع أصبح صدقها هو المعجزة التي لا بد أن تنقاد لدلالاتها عقول البشر من أي فئة كانوا، أو إلى أي دين انتموا.

الحسين يخبر عن مكان موته:

وتقدم: أنه «عليه السلام» قد حدد بدقة مكان موته، وحدد زمانه لأصحابه في ليلة العاشر، فيرد هنا سؤال يقول: ألا يتنافى هذا مع قوله تعالى: **(وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ)**؟!(١).

ونجيب:

بأن الآية تنفي أن يعلم الناس مكان موتهم بصورة ذاتية، ولا تنفي أن يعلموا ذلك بواسطة الوحي، بإخبار رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم.

---

(١) الآية ٣٤ من سورة لقمان.

ويلاحظ: أن الآية ذكرت مكان الموت لكي لا يتحاشاه الإنسان، ولا يتعامل معه من موقع الكراهية له.. ولم تذكر الزمان، لأن الإنسان لا يقدر على تحاشيه، بل الزمان هو الذي يفرض نفسه عليه بالرغم عنه.

بل إن المصلحة للإنسان المؤمن تقضي بأن يعلم باقتراب أجله، ليستعد للموت، ويكون ذلك من الرفق واللطف به، ومن الكرامة والتشريف له.

كربلاء سنة إحدى وستين:

وقال ابن أعثم وغيره: إن الإمام الحسين «عليه السلام» قد نزل كربلاء اليوم الثاني من المحرم سنة إحدى وستين..

وقد سبقت منا الإشارة إلى أن ما روي عن النبي «صلى الله عليه وآله»، من أنه قال: يقتل الحسين على رأس ستين من مهاجري.. يشير إلى أن القول: بأن عاشوراء كانت في السنة التي بعدها مخالف لما ورد عن الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله».

وسبب هذه المخالفة هو: أن عمر بن الخطاب قد حاول في أيام حكمه تغيير التاريخ الهجري، فأشار علي «عليه السلام» عليه بإبقائه، فأبقاه.. ولكنه غيَّر أول السنة، فبدل أن يكون هو أول أيام ربيع الأول، وهو اليوم الذي تحرك فيه «صلى الله عليه وآله» من مكة إلى المدينة، فإنه أرجعه إلى أول المحرم، الذي كان أول السنة في الجاهلية..

الأربعاء أو الخميس:

وفيما يرتبط بالترديد في يوم نزول الحسين «عليه السلام» كربلاء، هل هو يوم الأربعاء أو الخميس نقول:

إننا حين نتحدث عن اليوم الذي كان فيه اليوم العاشر من المحرم، ونرجِّح من الأقوال ما نجد مبرراً للترجيح، يتضح لنا: أن يوم نزوله «عليه السلام» كربلاء كان هو الأربعاء، أو الخميس.

أهذه كربلاء؟!:

وتقدم: أنه «عليه السلام» حين وصل إلى كربلاء، قال: أهذه كربلاء؟! أو سأل عن اسم تلك الأرض، فأخبروه بأنها كربلاء..

والسؤال هنا هو:

أولاً: إن الحسين «عليه السلام» إمام معصوم، وهو قد كان مع أبيه في مسيره إلى صفين، وسمع ورأى من أبيه ما يغنيه عن السؤال عن اسم تلك الأرض، فراجع ما تقدم في الحديث رقم [٣].

ثانياً: إنه «عليه السلام» حين وصل إلى كربلاء، شمها، وقال: هذِهِ ـ وَاللهِ ـ هِيَ الأرضُ الَّتي أخبَرَ بِها جَبرائيلُ «عليه السلام» رَسولَ اللهِ «صلى الله عليه وآله»، وإنَّني أُقتَلُ فيها.

فإذا كان يعرف الأرض بواسطة شم تربتها، فلماذا يسأل الناس عن اسمها، أليس لأجل تقريرهم، وإسماع الآخرين ما يدلهم على الحق؟ وليس لأجل تحصيل العلم لنفسه بعد أن لم يكن يعلم.

ثالثاً: يروي حذيفة بن اليمان: أن الحسين «عليه السلام» أخبره: أن طغاة بني أميه سوف يجتمعون على قتله، وقد عدَّ منهم عمر بن سعد، فقال له حذيفة: أنبأك بهذا رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

قال:لا.

قال حذيفة: فأتيت النبي «صلى الله عليه وآله»، فأخبرته، فقال: علمي علمه، وعلمه علمي، وإنا لنعلم بالكائن قبل كينونته(١). وبذلك لا يبقى مورد للسؤال عن اسم تلك الأرض.

رابعاً: روي: أن سلمان الفارسي «رضوان الله تعالى عليه» مر ـ وهو في طريقه إلى المدائن ـ بكربلاء، فقال:

هذه مصارع إخواني، هذا موضع رحالهم، وهذا مناخ ركابهم، وهذا مهراق دمائهم، يقتل بها خير الأولين، ويقتل بها خير الآخرين(٢).

فهل يمكن أن يكون سلمان أعرف بالأرض التي يقتل فيها الحسين

---

(١) دلائل الإمامة ص١٨٣ و ١٨٤ ونوادر المعجزات ص١٠٩ وفرج المهموم ص٢٢٧ ومدينة المعاجز ج٣ ص٤٥٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٨٦ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٢٨٢ وج٨ ص٦٥ والدر النظيم ص٥٣٢.

(٢) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص١٩ و ٢٠ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج ١ ص ٧٣ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٣٨٦ ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص٢٥٦ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٨٩ .

«عليه السلام» من الحسين نفسه؟! مع أن الحسين نفسه قد حدد مواضع ما يجري عليه في تلك الأرض، كما حددها سلمان، كما ذكرناه آنفاً، بل هو قد حددها بصورة أتم وأشمل.

وهذا كله يؤسس للإجابة الواضحة على السؤال الذي ذكرناه، ببيان: أن هذا السؤال قد جاء على طريقة تجاهل العارف، لأسباب تفرض هذا النوع من البيان الراسخ والدقيق، والعميق ذي التأثير البالغ..

ومن موارد هذا النوع من الخطاب قوله تعالى لإبراهيم: (**رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**)(١).

وقوله لعيسى: (**أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ**)(٢).

وقوله تعالى: (**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ**)(٣).

ولعل من مبررات السؤال عن تلك الأرض:

١ ـ تذكير الناس: بأنها الأرض الموعودة، من خلال ما روي عن النبي وأوصيائه، والأنبياء من قبله، وتكون هذه الإجابة بمثابة البشارة العظمى لمن يستشهد فيها، وما لهم من مقام وفضل عند الله تعالى. لكي يتهيأوا لتحقيق ذلك الإنجاز العظيم بنفوس طيبة، وقلوب مطمئنة،

(١) الآية ٢٦٠ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١١٦ من سورة المائدة.

(٣) الآية ١٧ و ١٨ من سورة طه.

وأرواح طاهرة، وبثبات، وصدق، وإقبال ورضى.

٢ ـ إن هذا التذكير من شأنه أن يكبت الأعداء، وهم يرون صدق تلك الأخبار، وتتم الحجة بذلك عليهم، ليكون ما يقدمون عليه في وضوح سوئه وقبحه كالنار على المنار، وكالشمس في رائعة النهار، حتى لا يبقى عذر لمعتذر، ولا حيلة لمتطلب حيلة. وليكون ذلك من موجبات اشتداد حسرتهم.

لطم الخدود، وخمش الوجوه:

وتصرح رواية ابن أعثم: بأن النسوة حين سمعن ما دار بين الحسين وأخته زينب «عليهما السلام» بكين، ولطمن الخدود.. ولم نر الإمام «عليه السلام» قد اعترض على ذلك، لكنه أمرهن بالصبر، وأن يتعزين بعزاء الله، ويرضين بقضاء الله، ولم نجده تعرض إلى موضوع لطم الخدود، ولا نهى عنه، كما فعل حين نهى عن شق الجيوب، وخمش الوجوه..

ولعل من فوائد نهي النساء عن فعل هذين الأمرين: أن هذين الأمرين تبقى لهما آثار تلفت نظر القريب والبعيد، وتدعوهم لإعادة النظر إلى أولئك النسوة الكريمات مرة بعد أخرى، وكان «عليه السلام» يعلم بأن العدو سوف يبدي وجوههن، ويهتك ستورهن، كما ذكرته الحوراء زينب في خطبتها في قصر يزيد «لعنه الله»..

وهذا ما لايريد الإمام «عليه السلام» له أن يحصل.

كما أن ظهور آثار الخمش وشق الثياب على النساء، سيكون

مدعاة لشماتة الأعداء، التي ذكر الإمام «عليه السلام» أنه لا يريد لها أن تحصل، حيث قال: مهلاً لا تشمتي القوم بنا(١).

سكان السماوات يفنون:

ويلاحظ: أن الإمام الحسين «عليه السلام»، وفقاً لما جاء في رواية ابن أعثم قد أشار إلى ثلاثة أنواع من المخلوقات، مبيناً لكل منها خصوصية يختلف بها عن النوعين الآخرين، فقد ذكر «عليه السلام»:

ألف: أن سكان السماوات يفنون.

ب: أن أهل الأرض يموتون.

ج: أن جميع البرية لا يبقون.

والذي نعرفه ما يلي:

١ ـ أن الملائكة من سكان السماوات، وأن الموت هو مفارقة الأرواح للأجساد، وأن الملك موجود نوراني لا يوصف بالموت عادة، إلا ما ورد، من أن ملك الموت سوف يموت(٢)، ولعله تعبير

---

(١) راجع: الملهوف (ط صيدا) ص٥١ و (نشر أنوار الهدى) ص٥٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٩١ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٤٢ ولواعج الأشجان ص١١٧ وأعيان الشيعة ج٧ ص١٣٧

(٢) راجع: الكافي ج٣ ص٢٥٦ والزهد للكوفي ص٨٠ والفصول المهمة للحر العاملي ج١ ص٢٩٧ وبحار الأنوار ج٦ ص٣٢٩ وج٧٩ ص١٨٤ و ١٨٥ ومرآة العقول ج١٤ ص٢٥٤ والبرهان (تفسير) ج٤ ص٧٠٩ و

جاء على سبيل التوسع والمجاز، بهدف حفظ التناسب بين الصورة الذهنية لهذا الملك، بملاحظة دوره الوظيفي الممتد عبر الأحقاب في الحياة الدنيا كلها، وانتهاء دوره هذا من خلال استحضار صورة الموت له أيضاً، وإن كان موته إفناء له، فيكون كالمصباح الذي ينطفئ بفعل فاعل مختار.

٢ ـ حين يقال: أهل الأرض يموتون، فإن ما يسبق إلى الذهن من هذا التعبير «أهل الأرض» هو البشر الذين يعيشون على ظهرها، ويهيمنون على الأمور فيها..

وربما كانت هذه العبارة عامة للبشر ولغيرهم من الحيوانات، التي توصف بالموت على الحقيقة، مما يكون موته بانفصال روحه عن جسده.

٣ ـ أما الفقرة الثالثة والأخيرة، فقد يقال: إن المقصود بها: هو إحدى مراحل خلق الإنسان.. المشار إليها في قوله تعالى: **(هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ)**(١).

فالخلق هو مقام التقدير والبرء هو مقام التكوين وفق ما قدره، والتصوير هو إعطاء التفاصيل والخصوصيات.

---

٧١٠ ونور الثقلين (تفسير) ج١ ص٤١٩ وج٤ ص٥١٦ والدر المنثور ج٥ ص٣٣٦ وإرشاد القلوب ج١ ص٥٤ وأعلام الدين ص٣٥٣.

(١) الآية ٢٤ من سورة الحشر.

وإنما خصصنا البرء بمقام التكوين، لقوله تعالى: في سورة البينة: **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)**(١). وقال في الآية التي قبلها عن الكافرين والمشركين: **(أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ)**، وروي: أن علياً «عليه السلام» هو خير البرية(٢).

أما الخلق عند العرف فيطلق على المراحل الثلاث المشار إليها.

ابن زياد يجعل رقيباً على الحر:

وما ذكره النص المتقدم برقم [٢]، من أن عبيد الله بن زياد كتب إلى الحر يأمره بالتضييق على الحسين «عليه السلام»، وأنه قد جعل حامل الكتاب رقيباً على الحر، يشير إلى عدة أمور:

١ ـ إن ابن زياد لم يكن يثق بالحر. كما أنه لا يثق بغيره، وهذا

---

(١) الآية ٧ من سورة البينة.

(٢) ترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ دمشق (تحقيق المحمودي) ج٢ ص٤٤٢ وتاريخ مدينة دمشق (تحقيق الشيري) ج٤٢ ص٣٧١ وفضائل أمير المؤمنين لابن عقدة الكوفي ص٢١٩ وبشارة المصطفى ص١٩٦ و ٢٩٦ والمناقب للخوارزمي ص١١١ وكشف الغمة ج١ ص١٥١ وج٢ ص٢٣ وينابيع المودة ج١ ص١٩٦ والأمالي للطوسي ص٢٥١ والمحتضر للحلي ص١٦٨ وحلية الأبرار ج٢ ص٤٠٧ وبحار الأنوار ج٣٨ ص٥ وغاية المرام ج٣ ص٢٩٩ و ٣٠٢ وج٥ ص٥ و ١٨٦ وج٦ ص٥٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٢١٧ وج١٤ ص٢٥٨.

هو شأن أهل الدنيا. وقد قال تعالى: **(تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى)**(١).

٢ ـ لعل مما يزيد الشك لدى ابن زياد بالحر هو معرفته بالحسين «عليه السلام» ومكانته في الأمة، التي تصل إلى حد التقديس، فكان يخشى أن يتردد الحر رحمه الله، في مواجهة الإمام «عليه السلام» بالقسوة والفظاظة التي يطالبه باعتمادها.

٣ ـ إن جعل الرقيب على الحر بهذه الطريقة الجافية، يعد إهانة من قبل ابن زياد للحر «رحمه الله». ولكن لم يكن أمام الحر من خيار سوى السكوت على هذه الإهانة.

٤ ـ إن الحر حين ناول الإمام الحسين «عليه السلام» كتاب ابن زياد إليه، كان يريد ـ فيما يبدو لنا ـ أن يحصل على المعذورية من الإمام «عليه السلام»، وأن يتجنب قدر الإمكان حالة التشنج في علاقته به، وتعامله معه، لكي لا يواجه غضب الإمام، الذي سيجعله موضع غضب الله، فإنه يعلم ما له من مقام عند الله تعالى.

أكره أن أبدأهم بقتال:

ولا حاجة بنا إلى إعادة التذكير:

بأن ديدن النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة «عليهم السلام» هو عدم بدء أحد بقتال، وأن ذلك كان من الميزات الظاهرة في شيعتهم

---

(١) الآية ١٤ من سورة الحشر.

«عليهم السلام» مع أي عدو يواجهونه.

الحسين يروي عن أبيه حديث كربلاء:

وتقدم: أن الحسين «عليه السلام» حين بلغ كربلاء، سأل عن اسمها، وذكر لهم ما رآه وسمعه من أبيه حين كان في طريقه إلى حرب صفين، وأن أباه «عليه السلام» قد وقف في ذلك الموضع، فسأل عنه، فأخبر باسمه، فقال:

«هاهنا محط ركابهم، وهاهنا مهراق دمائهم».

فسئل عن ذلك، فقال: «ثقل لآل بيت محمد ينزلون هاهنا».

فنلاحظ:

١ ـ التوافق بين ما قاله سلمان الفارسي، عن هذا الموضع وما يجري فيه.

وبين ما نقله الإمام الحسين عن جده «صلى الله عليه وآله»: أنه حدثه به. ـ كما تقدم عن ابن طاووس ـ.

وبين ما نقله «عليه السلام» عن أبيه علي «عليه السلام»: أنه فعله في هذا الموضع، وما قاله عما يجري فيه..

وبين ما فعله، وما قاله الإمام الحسين «عليه السلام» بمجرد وصوله إلى كربلاء..

مع العلم بأن هذه الأحداث قد جاءت متباعدة من الناحية الزمانية، فالنبي «صلى الله عليه وآله» قد توفي وعمر الحسين «عليه السلام»

كان حوالي ست سنوات.

أما سلمان فقد توفي فيما يظهر في أواخر خلافة عمر، ولذا لم نجد له ذكراً في خلافة عثمان.

ومسير علي «عليه السلام» إلى صفين كان ـ فيما يظهر ـ في سنة ٣٧ أو ٣٨ هـ.

ووصول الحسين «عليه السلام» إلى كربلاء كان على رأس سنة ستين من مهاجره «صلى الله عليه وآله».

٢ ـ إن إرجاع الإمام «عليه السلام» الناس حتى في هذه التفاصيل إلى أقوال النبي «صلى الله عليه وآله» كما في رواية الملهوف، وإلى ما قاله علي «عليه السلام» كما عند أبي حنيفة الدينوري وغيره. أمر مقصود له «عليه السلام»، لكي يعرف الناس أن خبر ما سيجري عليه بتفاصيله وجزئياته كان متداولاً منذ كان «عليه السلام» طفلاً، وأنه مأخوذ عن النبي «صلى الله عليه وآله» الذي لا ينطق عن الهوى، وعن علي «عليه السلام» الذي هو نفس الرسول «صلى الله عليه وآله» بنص آية المباهلة، وأنه ليس مجرد خبر مبهم يمر بالإنسان مرة في حياته، بل هو معروف ومتداول بأدق تفاصيله لدى أهل الدين، ولاسيما الملتزمين بخط الإمامة.

ولو اقتصر الإمام الحسين «عليه السلام» على إطلاق هذا الكلام من دون الإشارة إلى ما ورد عن النبي وعلي «عليهما السلام» لفهم أنه مجرد توقع منه، أو أنه إخبار منه «عليه السلام» عما صمم وعقد

العزم عليه من أنه سوف يقاتل عدوه في ذلك المكان، وفق هذه الخطة التي رسمها.

ولم يقتصر الأمر على هذا فيما يرتبط بالتصريح بأنه «عليه السلام» يفعل وفق ما سمعه من النبي «صلى الله عليه وآله»، فقد تقدم أنه حتى حين سأل عن اسم تلك الأرض فقيل له: كربلاء قال: صدق الله ورسوله. أرض كرب وبلاء.

كما أنه قد روى لهم حديث أم سلمة، وأن جبرئيل «عليه السلام» قد أراهم تربة كربلاء.

٣ ـ كما أن علياً «عليه السلام» حين وصل إلى أرض كربلاء، وهو في طريقه إلى صفين قد أخذ من الأرض قبضة وشمها، وذكر ما دل على معرفته بالدماء التي تسفك فيها، وأنها دماء زكية وعزيزة عليه.

وكان تذكُّر الرجل الضبي لهذا الموقف هو السبب في انصرافه عن حرب الحسين «عليه السلام»، وترك جيش ابن سعد كما تقدم.

وكذلك فعل الحسين «عليه السلام»، فإنه لما وصل إلى كربلاء شمها، وأقسم أنها هي الأرض التي أخبر جبرئيل أنه يقتل فيها.

قصباء.. وخلا:

أولاً: ذكرت الرواية عن الإمام الباقر «عليه السلام»: أن الإمام الحسين «عليه السلام» لما لقيته أوائل خيل عبيد الله بن زياد عدل إلى كربلاء «فأسند ظهره إلى قصباء [قصماء]، [قصمياً] خلا [وخلأ]

[وحلفاً]، كي لا يقاتل إلا من وجه واحد.

ونقول:

ذكرت كتب اللغة في معاني هذه الكلمات ما يلي:

١ ـ القصباء: هو القصب النابت الكثير في مقصبته.. أما كلمة: قصمياً، وقصماء، فهي إذا صحت تكون اسماً لموضع هناك.

٢ ـ الخلا ـ مقصور ـ: النبات الرقيق الرطب ما دام رطباً.

٣ ـ وفي رواية ابن كثير: «وحلفاً»[(١)]. وهو نبت أطرافه محددة كأنها أطراف سعف النخل. والخوص: نبت في مغايض الماء، والنزوز.

ووجود القصباء، ووجود النزوز، ومغايض الماء يحد من قدرة الخيل على التحرك السريع الذي يحتاج إليه المقاتلون.

ثانياً: تقدم: أن الحر حين أشار على الإمام «عليه السلام» أن ينزل في ذلك الموضع، وأراد أن يرغبه باختياره، قال له: «انزل بهذا المكان، فالفرات منك قريب». وقد نزل «عليه السلام» في ذلك المكان فعلاً. ولكن لا لمجرد كون الماء قريباً منه، فإن الرواية عن الإمام الباقر «عليه السلام» تقول: إن نزوله «عليه السلام» في ذلك الموضع لم يكن لأجل قربه من الماء، وقد كان «عليه السلام» يعلم بأنهم سوف يمنعونه من الماء..

---

(١) البداية والنهاية ج٨ ص١٩٧ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص٢١٤ .

بل لأنه أراد أن يقاتل العدو من وجه واحد. فإن العدو إذا كان المجال أمامه مفتوحاً بحيث يقدر على المناورة، والهجوم من أي جهة أراد، فإنه سيربك الطرف الآخر، ويجبره على توزيع قواته في جميع الإتجاهات، ليسد بهم جميع الثغرات..

وإذا كانت الأعداد قليلة، فإن هذا التوزيع سوف يضعف القدرة على الدفاع، وسيتم الظفر به وبمن معه بسرعة قياسية وبصورة خاطفة، تضيع معها الكثير من الأهداف التي كان «عليه السلام» يريد لها أن تتحقق من إطالة أمد الحرب.

أما من الدنيا فنعم:

وتقدم في حديث أم سلمة: أن جبرئيل قال لرسول الله «صلى الله عليه وآله» عن الحسين «عليه السلام»: أتحبه؟

قال: أما من الدنيا، فنعم.

وهو جواب دقيق، وبالتأمل والتدبر به حقيق. فإن حب الإنسان لولده في الدنيا ليس مما يعاب عليه، بل هو واجب شرعي، وكمال بشري، واعتدال إنساني، يكون التقصير فيه هو العيب، فكيف إذا كان هذا الولد هو الحسين بن علي الذي هو أفضل وأتم مولود يتمنى النبي أن يكون ولده.. وهو الذي استحق وسام الإمامة للأمة بعد أبيه وأخيه، فمنحه الله ورسوله إياه؟!

ولا يتمنى النبي «صلى الله عليه وآله» شيئاً من الدنيا إلا إذا كان منسجماً مع أهدافه الأخروية. ومن موجبات غنى تلك الأهداف، ومن

أسباب حظوته بالألطاف الإلهية الغامرة.

الضبي ترك الحسين × ولحق بأهله:

إن من بركات فعل أمير المؤمنين «عليه السلام» في كربلاء حين مسيره إلى صفين: أن هذا الرجل الضبي بمجرد أن رأى الحسين في كربلاء حضر في ذهنه ذلك المشهد الذي كان قد رآه من علي «عليه السلام» قبل حوالي ثلاثة وعشرين عاماً، فانحاز إلى الحسين «عليه السلام»، وأخبره بأمره، وترك جيش ابن سعد.

وبعد أن أقسم للحسين: أنه «عليه السلام» سوف يقتل، سأله «عليه السلام»: فما تريد أن تصنع أنت؟! أتلحق بنا، أم تلحق بأهلك؟!

فاختار أن يلحق بأهله، لأن عليه ديناً، ولأن له عيالاً، كما قال.

والذي لفت نظرنا هنا: أن الإمام «عليه السلام»، ليس فقط لم يلح عليه بالبقاء معه. بل هو قد ترك الخيار له، وعرض عليه أن يأخذ حاجته من المال ـ مشيراً «عليه السلام» إلى مال موضوع بين يديه ـ.

ولم يصرح التاريخ لنا بأسباب عدم إلحاحه «عليه السلام» على ذلك الرجل بالبقاء معه.. بل هو لم يعرض عليه ذلك بصورة مباشرة، ولنا أن نحتمل أن يكون سبب عدم الإلحاح: أنه «عليه السلام» كان على علم بأنه سوف لن يستجيب لطلبه، إما لأجل تعلقه بالدنيا، أو لأجل اقتناعه بضرورة العودة إلى عياله، فأراد أن يكون رفيقاً به، ولا يحرمه من بعض الرجاء بالنجاة في الآخرة الذي استحقه بهذه الصحوة، فلم يكن «عليه السلام» يريد له أن يتحمل وزر رفض طلبه

«عليه السلام»، ولاسيما بعد ظهور الحق له، وإقامة الحجة عليه. فإنه إذا طلب منه البقاء معه وجب عليه ذلك.

وإن لم يطلب منه ذلك، وتركه ذلك الرجل قبل سماع الواعية، ورؤية البارقة، وكان ذلك الرجل يحتمل أن يطرأ ما يوجب تأجيل الصدام، فإن الابتعاد عن سماع الواعية ورؤية البارقة سيكون مفيداً، ما لم يكن ذلك الرجل على يقين من قتل الإمام في تلك الواقعة، كما قد يدل عليه قوله: «وإنك ـ والله ـ لمقتول الساعة».

هذا كله عل فرض أن يكون ذلك الرجل على درجة من النباهة والوعي، أما إذا كان الإمام «عليه السلام» يعرف أن قدرته الاستيعابية محدودة، ولا قدرة له على فهم الأمور بأكثر من ذلك. وكان هذا هو السبب في عدم عرض نصرته عليه، فإن معذورية هذا الرجل في هذه الحال تكون ظاهرة للعيان.

خذ من هذا المال قبل أن يحرم عليك:

وقد رأينا: أنه «عليه السلام» قال للرجل الضبي: «خذ من هذا المال حاجتك قبل أن يحرم عليك». ولم يحدد له «عليه السلام» مقدار ما يأخذه.. بل ترك تحديد ذلك إلى ذلك الرجل نفسه، ولكن لماذا قال له: «قبل أن يحرم عليك»؟!

يبدو لنا: أن مراده «عليه السلام» أن هذا المال ما دام بيد الإمام وهو حي، فهو حر في أن يفعل به ما يشاء من وجوه الخير والبر، وقضاء الحاجات، وهو حلال لمن حصل على شيء منه من خلاله

«عليه السلام».

ولكن إذا استشهد «عليه السلام»، واستولى المجرمون على ذلك المال، فإنه يصير حراماً على جميع الناس، إذا وقع بيدهم شيء منه من خلال سالبيه، إلا إذا أعيد إلى ورثته «عليه السلام»، وكان التصرف بالمال من خلالهم.

وكأنه «عليه السلام» يريد منه أن يغتنم الفرصة ويأخذ المال قبل وقوع الواقعة.

لا آخذ مالك وأخذلك:

غير أن مما يثير العجب هنا: أن هذا الرجل الضبي قد أظهر شهامة من جهة، برفضه أخذ المال، وسجل على نفسه من جهة أخرى اعترافاً بأن تركه الحسين «عليه السلام» يعد خذلاناً له، حيث قال: إنه لا يريد أن يأخذ ماله ويخذله.

وهذا يدل على أنه مدرك بأنه لا يحق له تركه، ولا يرى له عذراً في هذا الترك..

موقف فراس بن جعدة:

وبعد أن ذكر البلاذري: أن حبيب بن مظاهر استنفر لنصرة الحسين «عليه السلام» قومه، بني أسد الذين كانوا قريبين من كربلاء، فنفر منهم سبعون رجلاً.. فتصدى لهم جيش عمر بن سعد، ومنعهم من الوصول إلى الحسين «عليه السلام».. الأمر الذي اضطرهم إلى الرحيل من المنطقة لكي لا يتعرضوا للانتقام من قِبل

السلطة ـ بعد أن ذكر ذلك ـ قال:

«وكان فراس بن جعدة بن هبيرة المخزومي مع الحسين، وهو يرى أنه لا يخالف، فلما رأى الأمر وصعوبته هاله ذلك، فأذن له الحسين في الانصراف، فانصرف ليلاً»!![1].

ونقول:

أولاً: إننا لا نعرف شيئاً عن فراس بن جعدة هذا غير ما ذكره البلاذري هنا.. مع أن البلاذري يقول هنا أيضاً: «وهو يرى أنه لا يخالف».. فإن كان المقصود بهذه العبارة هو الإمام الحسين «عليه السلام»، فهو مخالف للظاهر المتبادر منها..

وإن كان المقصود بها هو فراس هذا، فهو يوجب الريب في صحة هذه القصة من أصلها، لأن مقتضى هذه العبارة: أن فراساً كان يرى نفسه أنه ممن يحسب له حساب، ولا ترد له كلمة، ولا يخالف له رأي. وهذا يعطي: أن له مكانة وحضوراً اجتماعياً.. فلماذا إذن لا نجد له ذكراً في كتب التاريخ والتراجم، وسواها؟!

ثانياً: قد يقول قائل: إن جعدة بن هبيرة هو ابن أم هاني أخت علي «عليه السلام»، وكان جعدة وأبناؤه من المتشيعين لعلي «عليه السلام» وأهل بيته[2]، وقد عرف جعدة بشدته في الحرب، وكان

---

(١) أنساب الأشراف ج٣ ص٣٨٨ و (ط دار التعارف) ج٣ ص١٨٠.

(٢) أنساب الأشراف ج٣ ص٣٦٦ و (ط دار التعارف) ج٣ ص١٥١.

عتبة بن أبي سفيان يقول له: إنه أخذ الشدة من خاله علي «عليه السلام»(١).

فلو كان أحد أبنائه قد خذل الحسين «عليه السلام» نتيجة للجبن والضعف، لوجدنا أعداء علي «عليه السلام» يذكرون ذلك للحط من مقام بني جعدة، وتوهين أمرهم، والطعن بميزاتهم.

(١) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج١ ص٢٨١ والإختصاص ص٧٠ وخاتمة المستدرك ج٧ ص٢١٥ وبحار الأنوار ج٣٤ ص٢٨١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٨ ص٩٨ وأعيان الشيعة ج٤ ص٧٧ ومعجم رجال الحديث ج١٥ ص٢٤٢.

الفصل الثالث:

الحسين × في كربلاء..

رسالة ابن زياد للإمام ×:

قالوا: أقبَلَ الحُرُّ بنُ يَزيدَ حَتّى نَزَلَ حِذاءَ الحُسَينِ «عليه السلام» في ألفِ فارِسٍ، ثُمَّ كَتَبَ إلى عُبَيدِ اللهِ بنِ زيادٍ يُخبِرُهُ أنَّ الحُسَينَ نَزَلَ بِأَرضِ كَربَلاءَ.

قالَ: فَكَتَبَ عُبَيدُ اللهِ بنُ زيادٍ إلَى الحُسَينِ «عليه السلام»:

أمّا بَعدُ يا حُسَينُ، فَقَد بَلَغَني نُزولُكَ بِكَربَلاءَ، وقَد كَتَبَ إلَيَّ أميرُ المُؤمِنينَ يَزيدُ بنُ مُعاوِيَة أن لا أتَوَسَّدَ الوَثيرَ، ولا أشبَعَ مِنَ الخُبزِ [الخمير] أو أُلحِقَكَ بِاللَّطيفِ الخَبيرِ، أو تَرجِعَ إلى حُكمي وحُكمِ يَزيدَ بن مُعاوِيَة، وَالسَّلامُ.

فَلَمّا وَرَدَ الكِتابُ قَرَأَهُ الحُسَينُ «عليه السلام»، ثُمَّ رَمى بِهِ، ثُمَّ قالَ: لا أفلَحَ قَومٌ آثَروا مَرضاةَ أنفُسِهِم عَلى مَرضاةِ الخالِقِ.

فَقالَ لَهُ الرَّسولُ: أبا عَبدِ اللهِ، جَوابُ الكِتابِ؟

قالَ: ما لَهُ عِندي جَوابٌ؛ لِأَنَّهُ قَد حَقَّت عَلَيهِ كَلِمَةُ العَذابِ(١).

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٨٤ ومقتل الحسين ج١ ص٢٣٩ ومطالب

فَقالَ الرَّسولُ لِابنِ زِيادٍ ذلِكَ، فَغَضِبَ مِن ذلِكَ أشَدَّ الغَضَبِ.

ونقول:

إن رسالة ابن زياد هذه تشبه ابن زياد ويزيد، لما فيها من فظاظة، ورعونة، وسوء أدب، يدلل على روح الطغيان، والبغي، والجبارية، وفقدان الإيمان، والقيم، والأخلاق التي كانت تهيمن على هذين الرجلين..

وقد دل قول الإمام «عليه السلام» حين قرأ ذلك الكتاب: «لا أفلح قوم آثروا مرضاة أنفسهم على مرضاة الخالق».. على أن العوامل النفسية، والخبث الباطني كان هو الداعي ليزيد وابن زياد، إلى انتهاج هذه السياسات الخبيثة والظالمة، والرعناء، وليس ثمة أي أثر للعقل، ولا للتدبير، ولا موضع للشبهة لديهما.

ولأجل ذلك دعا الإمام «عليه السلام» الله تعالى أن لا يجعل لمن يؤثر رضا نفسه على مرضاة خالقه نصيباً من الفلاح.. لأن خيبته وفشله في الدنيا سيكون عقوبة قاسية له، تضاف إلى العقوبات التي تنتظره في الآخرة.

السؤول ص٧٥ و (تحقيق ماجد العطية) ص٤٠٠ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٨ وموسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٣٤ عنهم، وعن كشف الغمة ج٢ ص٢٥٩ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص٢٥٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٨٣ وراجع: أعيان الشيعة ج١ ص٥٩٨.

وعن توصيف عبيد الله بن زياد ليزيد بـ «أمير المؤمنين» نقول:

كيف أصبح يزيد أمير المؤمنين، دون الحسين «عليه السلام» الذي نصبه النبي «صلى الله عليه وآله» إماماً للأمة.

كما أن معاوية قد شرط على نفسه بأن لا يعهد لأحد بعده، بل يكون الأمر للحسن، ثم للحسين «عليهما السلام».

وأما نزول الإمام الحسين «عليه السلام» على حكم يزيد وابن زياد، فنحن لا ندري أي حكم ليزيد وابن زياد، إلا ما يأتي وفق الأهواء الشيطانية، والنوازع النفسية الإبليسية الخبيثة؟!

ولماذا لا يكون الحاكم هو الله تعالى من خلال قرآنه وشرعه؟!

كتاب الإمام إلى بني هاشم:

عن ميسر بن عبد العزيز، عن أبي جعفر [الباقر] «عليه السلام» قال:

كتب الحُسَينِ بن عَلِيٍّ «عليهما السلام» إلى مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ من كربلاء..

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

مِنَ الحُسَينِ بن عَلِيٍّ إلى مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ، ومَن قِبَلَهُ مِن بَني هاشِمٍ.. أمّا بَعدُ، فَكَأَنَّ الدُّنيا لَم تَكُن، وكَأَنَّ الآخِرَةَ لَم تَزَل، وَالسَّلامُ(١).

---

(١) كامل الزيارات ص١٥٨ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٨٧ والعوالم، الإمام الحسين

ونقول:

روي عن أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه قال: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً».

فقد يتوهم متوهم: أن هذا المعنى يخالف المعنى الذي قرره الإمام الحسين «عليه السلام» في الرسالة المذكورة أعلاه..

ونجيب بما يلي:

١ ـ إن كلام أمير المؤمنين «عليه السلام» يهدف إلى الحد من استغراق الإنسان في عمل الدنيا في طلب الأموال وجمعها وتكديسها.. فإن من تيقن بأنه باق على قيد الحياة، فإن اهتمامه بالدنيا، وبجمع الأموال فيها يتضاءل، لأنه يعرف أن كثرة المال لن تزيد في عمره، كما أن قلته لن تنقص من عمره، فلماذا يشقى ويتعب من أجل تكثيره وتكديسه، وحفظه، وما إلى ذلك؟!

فهو كمن تيقن بأنه سيموت أو سيسافر بعد يوم مثلاً، فإنه يحاول أن يستعد لهذا الموت، أو هذا السفر، فيوصي أهله بما يصلحهم، ويقضي ما فاته من واجبات، ويؤدي ديونه، ويرجع الأمانات إلى أصحابها، ويهيء زاده، وراحلته، وكل ما يلزمه من أدوات..

أما كلمة الإمام الحسين «عليه السلام»، فهي ناظرة إلى بيان

ج١٧ ص١٥٥ و ٣١٧ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٤٧ والدر النظيم ص٥٣٥.

الفرق بين الدنيا والآخرة في ما يرتبط بالإحساس بالملذات، فإن اللذة في الدنيا جسدية وآنية.. فإذا لمس الإنسان الحرير مثلاً، فإنه يتلذذ به ما دامت حالة اللمس قائمة، لأن اللمس آلة ووسيلة، فإذا انتهى اللمس وتوقف، انتهت اللذة، ولم يبق منها إلا تخيلها، وهو وجود افتراضي للذة، ناقص وقاصر جداً عن الوجود الحقيقي لها.

وهكذا يقال بالنسبة للتلذذ بالأطعمة، أو بالمشمومات، أو بالمرئيات، أو المسموعات، لأن السمع، والبصر، والشم، والذوق، آلات وهمزات وصل.

أما لذة الآخرة، فهي دائمة وثابتة، لأنها لذة للروح، ومن أفعالها، ولا يحتاج في الوصول إليها إلى وسائط، فإن الروح تصل إلى الأشياء بنفسها، ولا تنفصل عنها حين تتلاشى، وتبقى لذاتها حاضرة قابلة للإحساس بها في داخل ذاته.

٢ ـ لكن بعض الإخوة الأكارم رأى أن المراد بكلام أمير المؤمنين «عليه السلام» ما يلي:

أما الفقرة الأولى، فهي تتحدث عن إتقان العمل وإحكامه، فليس للإنسان أن يقول: لا حاجة إلى إتقان العمل وإحكامه، وأنا سأموت. فيقول له الإمام «عليه السلام»: بل عليك أن تتقن عملك وتحكمه حتى كأنك تعيش أبداً.

وأما الفقرة الثانية، فهي ناظرة إلى أداء الأمانات والديون، وقضاء ما فات من عبادات ونحو ذلك، فعليه أن يبادر إليها كما لو علم

أنه سيموت غداً.

ويستشهد على ذلك: بأن عطف الجملة الثانية على الأولى بالواو، فالمطلوب تناسب الفقرتين، بإرادة إحكام العمل بالنسبة للدنيا وإحكامه أيضاً بالنسبة للآخرة، بحيث يصلح للبناء عليه في كل منهما.

وأما على المعنى الذي ذكرناه أولاً، فالمطلوب له «عليه السلام» هو تحديد الأولويات، وقلب المعادلة.. فإن اهتمام الناس بالدنيا وشؤونها هو الطاغي والمهيمن على عموم الناس..

وأما الآخرة، فقد لا تخطر على بال الكثيرين منهم إلا نادراً، مع أن المطلوب هو أن يكون الإهتمام بعمل الآخرة أشد وأقوى، لأنها دار البقاء، والدنيا دار الفناء.

٣ ـ وربما كان المراد أيضاً بيان: أنه «عليه السلام» قد عاش في هذه الدنيا وكأنه ليس من أهلها، ولم يشعر بها، لأنه عاش فيها كما يعيش أهل الآخرة. فالآخرة كانت هي الحاضرة في حياته كلها، ولم تزل كذلك وستبقى.

مخيم الحسين ×:

وقد قال العلامة الشيخ باقر شريف القرشي «رحمه الله»:

«ونصبت خيام أهل البيت «عليهم السلام» في البقعة الطاهرة التي لا تزال آثارها باقية إلى اليوم[1].

(١) بغية النبلاء في تاريخ كربلاء ج٢ ص٦ للسيد عبد الحسين، سادن الروضة

يقول السيد هبة الدين الشهرستاني: «وأقام الإمام في بقعة بعيدة عن الماء، تحيط بها سلسلة ممدودة، وربوات تبدأ من الشمال الشرقي، متصلة بموضع باب السدرة في الشمال، وهكذا إلى موضع الباب الزينبي إلى جهة الغرب، ثم تنزل إلى موضع الباب القبلي من جهة الجنوب.

وكانت هذه التلال المتقاربة تشكل للناظرين نصف دائرة، وفي هذه الدائرة الهلالية حوصر ريحانة الرسول «صلى الله عليه وآله»(١).

ونفى صديقنا الأستاذ السيد محمد حسن الكليدار: أن يكون الموضع المعروف بمخيم الحسين هو الموضع الذي حط فيه الإمام أثقاله، وإنما يقع المخيم بمكان نائي بالقرب من المستشفى الحسيني، مستنداً في ذلك إلى أن التخطيط العسكري المتبع في تلك العصور يقضي بالفصل بين القوى المتحاربة بما يقرب من ميلين، وذلك لما تحتاجه العمليات الحربية من جولان الخيل وغيرها من مسافة.

كما أن نصب الخيام لا بد أن يكون بعيداً عن رمي السهام والنبال المتبادلة بين المحاربين، واستند أيضاً إلى بعض الشواهد التأريخية التي تؤيد ما ذهب إليه(٢).

الحسينية في مكتبة المحامي السيد عادل الكليدار.

(١) نهضة الحسين ص٩٩.

(٢) مدينة الحسين ج٢ ص٢٤.

وأكبر الظن: أن المخيم إنما هو في موضعه الحالي، أو يبعد عنه بقليل، وذلك لأن الجيش الأموي المكثف الذي زحف لحرب الإمام لم يكن قباله إلا معسكر صغير، عبر عنه الحسين بالأسرة، فلم تكن القوى العسكرية متكافئة في العدد حتى يفصل بينهما بميلين أو أكثر.

لقد أحاط الجيش الأموي بمعسكر الإمام، حتى إنه لما أطلق ابن سعد السهم الذي أنذر به بداية القتال، وأطلق الرماة من جيشه سهامهم لم يبق أحد من معسكر الإمام إلا أصابه سهم حتى اخترقت السهام بعض أزر النساء، ولو كانت المسافة بعيدة لما أصيبت نساء أهل البيت بسهامهم.

ومما يدعم ما ذكرناه:

أن الامام الحسين «عليه السلام» لما خطب في الجيش الأموي سمعت نساؤه خطابه، فارتفعت أصواتهن بالبكاء، ولو كانت المسافة بعيدة لما انتهى خطابه إليهن، وهناك كثير من البوادر التي تدل على أن المخيم في وضعه الحالي»[١]. انتهى كلام القرشي «رحمه الله».

لا أرى الموت إلا سعادة:

قال ابن عساكر: «لما نزل عمر بن سعد بحسين، وأيقن أنهم قاتلوه، قام في أصحابه خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

قد نزل بنا ما ترون من الأمر، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت،

---

(١) حياة الإمام الحسين «عليه السلام» للقرشي ج٣ ص٩٢ ـ ٩٤.

وأدبر معروفها، واستمرت حتى لم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وإلا خسيس عيش كالمرعى الوبيل.

ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه؟!

ليرغب المؤمن في لقاء الله.

وإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً»(١).

ونقول:

١ ـ تقدم في الجزء الرابع عشر من هذا الكتاب: أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد خطب بنفس هذه الخطبة، أو بما لا يختلف معها إلا في اليسير من الكلمات في ذي حسم، حين كان في طريقه من مكة إلى الكوفة.

فهل عاد وكرر نفس هذه الخطبة في كربلاء لأهمية مضامينها؟! أو أن احتمال أن تكون قد وقعت في كربلاء، لا في ذي حسم هو الأقوى؟! أو أن العكس هو الصحيح، لأجل التوطئة والاعداد النفسي لأصحابه «عليه السلام»؟!

كل ذلك محتمل.

---

(١) ترجمة الإمام الحسين من تاريخ ابن عساكر (تحقيق المحمودي) ص٣١٤ و ٣١٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢١٧ و ٢١٨ وراجع: المعجم الكبير ج٣ ص١١٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٦٠٦.

وفي جميع الأحوال نقول:

من الراجح والمستحسن أن يرجع القارئ إلى ما ذكرناه حين تحدثنا عما جرى للإمام الحسين «عليه السلام» في ذي حسم ولا يكتفي بما ذكرناه هنا.

الحسين يشتري أرض كربلاء:

وروي: أن الحسين «عليه السلام» اشترى النواحي التي فيها قبره من أهل نينوى والغاضرية بستين ألف درهم، وتصدق عليهم، وشرط عليهم أن يرشدوا إلى قبره، ويضيفوا من زاره ثلاثة أيام(١).

قال الصادق «عليه السلام»: حرم الحسين «عليه السلام» الذي اشتراه أربعة أميال في أربعة أميال، فهو حلال لولده ومواليه، حرام على غيرهم ممن خالفهم. وفيه البركة(٢).

وذكر السيد علي ابن طاووس: أنها إنما صارت حلالاً بعد الصدقة لأنهم لم يفوا بالشرط. قال: وقد روى محمد بن داود عدم

---

(١) تاريخ كربلاء وحائر الحسين للكليدار ص٤٤ عن كشكول البهائي (ط مصر) ص١٣٠ و (ط أخرى) ص١٠٣ ومستدرك الوسائل ج١٠ ص٣٢١ وج١٤ ص٦١ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٣٨٧ ومجمع البحرين ج٥ ص٤٦١.

(٢) تاريخ كربلاء وحائر الحسين للكليدار ص٤٤ عن كشكول البهائي (ط مصر) ص١٣٠ و (ط أخرى) ص١٠٣ ومستدرك الوسائل ج١٠ ص٣٢١ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٣٨٧.

وفائهم بالشرط في نوادر الزيارات[١].

فالإمام الحسين إذن كان يهيئ الأسباب لإعلامٍ واسع، يجعل الناس أمام حدث يدعو للتأمل، ويهز المشاعر، ويوقظ الوجدان، ويضع الإنسان أمام آثار ونتائج الانحراف عن جادة الصواب والحق في الأمة، ويجعلهم يتلمسون ما يؤدي إليه من كوارث ساحقة وماحقة.

لا يقاتل معنا من عليه دين:

روى الطبراني، عن الثوري، عن أبي الجحاف، عن موسى بن عمير، عن أبيه قال: أمر الحسين منادياً، فنادى: لا يقبل (لعل الصحيح: لا يقتل، أو لا يقاتل) معنا رجل عليه دين.

فقال رجل: إن امرأتي ضمنت ديني.

فقال حسين رضي الله عنه: وما ضمان امرأة[٢].

وفي رواية أخرى عنه: أمرني حسين بن علي، فقال: ناد في الناس أن لا يقاتلن معي رجل عليه دين، فإنه ليس من رجل يموت وعليه دين لا يدع له وفاء إلا دخل النار.

فقام إليه رجل، فقال: إن امرأتي تكفلت عني.

---

(١) راجع: مستدرك الوسائل ج١٠ ص٣٢١ وج١٤ ص٦١ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٣٨٧.

(٢) المعجم الكبير ج٣ ص١٢٣ ومجمع الزوائد ج٤ ص١٣٠.

فقال: وما كفالة امرأة، وهل تقضي امرأة؟!(١).

وعنه أيضاً: أمرني الحسين بن علي قال: ناد أن لا يقتل معي رجل عليه دين، وناد بها في الموالي، فإني سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: من مات وعليه دين أخذ من حسناته يوم القيامة(٢).

وعن أبي الجحاف عن أبيه: أن رجلاً قال للحسين: إن عليَّ ديناً. قال: لا يقاتل معي من عليه دين(٣).

يبدو: أن في السند سقطاً (عن موسى بن عمير)، والنص للذهبي.

وهنا سؤالان:

أولهما: كيف نجمع بين هذا وبين الحديث الذي رواه الطبراني وغيره، عن عمر بن علي بن حسين، عن أبيه قال: قتل الحسين بن علي، وعليه دين كثير، فباع فيها علي بن حسين عين كذا، وعين كذا؟!(٤).

الثاني: ألا يعد قوله «عليه السلام»: «وما ضمان امرأة»؟! استهانة بالمرأة، وتضعيفاً لأمرها؟!

---

(١) شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٩ ص٤٢٩ عن المتفق والمفترق (مخطوط) ج١٠ ص١١٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سير أعلام النبلاء (ط سنة ١٤٢٧هـ) ج٣ ص٢٥٧.

(٤) المعجم الكبير ج٣ ص١٢٣ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٩٨.

ونجيب:

أولاً: تقدم: أن بني أمية هم الذين كانوا يلاحقون الإمام الحسين «عليه السلام» يريدون قتله، ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة، فالإمام «عليه السلام» يدافع عن نفسه، وقد فرض عليه عدوه هذا القتال طمعاً بالدنيا وزخرفها.

أما ذلك الرجل الذي ضمنت امرأته دَيْنَهُ، فلم يكن ملاحقاً، بل هو يريد أن يدافع عن غيره وهو الإمام «عليه السلام». فدفاعه هذا مرهون برضا ذلك الغير، وكان رضاه مرهوناً بحفظ حقوق الناس، حفظاً لنقاء وقداسة حركته الجهادية المباركة. وهذا هدف جميل وجليل، وقد روي: أن معاوية بن وهب قال للصادق «عليه السلام»: إنّه ذُكر لنا أنّ رجلاً من الأنصار مات وعليه ديناران، فلم يصلّ النبيّ «صلى الله عليه وآله» عليه، وقال: «صلّوا على صاحبكم» حتى ضمنهما بعض قرابته.

فقال الصادق «عليه السلام»: «ذلك الحقّ» ثمّ قال: «إنّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» إنّما فعل ذلك ليتّعظوا، وليردّ بعضهم على بعض، ولئلاّ يستخفّوا بالدين، وقد مات رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعليه دَيْنٌ، ومات الحسن «عليه السلام» وعليه دَيْنٌ، وقتل الحسين «عليه السلام» وعليه دَيْنٌ(١).

---

(١) تذكرة الفقهاء (مخطوط) ج٢ ص٢ و (ط.ج) ج١٣ ص٨ وتحرير الأحكام ج٢ ص٤٤٦ وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٨٣ و ١٨٤ ووسائل الشيعة (آل

فظهر: أن الوسيلة التي اعتمدها ذلك الرجل لحفظ تلك الحقوق قد لا تتمكن من القيام بما أوكل إليها، لأن المرأة قد تستضعف من قبل الآخرين، ولاسيما في الأمور المالية التي يسيل لها لعاب الطامعين.

وبذلك يظهر: أنه لا توهين لأمر المرأة، ولا استهانة بها في قول الإمام «عليه السلام»: «وما ضمان امرأة»؟!

كما أنه قد ظهر الفرق بين الحسين الذي استشهد وعليه دين وبين غيره.

ثانياً: إن الحديث القائل بأن الحسين «عليه السلام» قد استشهد وعليه دين قد بيَّن أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد ترك ما يكفي لقضاء ذلك الدين. وقد كان المتولي لقضاء هذا الدين أفضل الناس بعد أبيه في زمانه، ولم يكن من السهل استضعافه من قبل الأقوياء والطامعين.

ملاحظة: إن نفس أن يأمر الإمام الحسين «عليه السلام» منادياً ينادي، بأن لا يقاتل معه رجل عليه دين. يشير إلى أنه «عليه السلام» هو الذي يصون حقوق الناس، حتى في أحرج اللحظات وأقساها، حيث تكون حياته «عليه السلام» في خطر أكيد.

أما الآخرون فهم يسفكون دماء الأوصياء، وذرية الأنبياء وأخيار الأمة وصلحائها على الظن والتوهم.

البيت) ج١٨ ص٤٢٢ و ٤٢٣ و (الإسلامية) ج١٣ ص١٥٠.

وهنا ملاحظة أخرى أيضاً، وهي:

أن الإمام «عليه السلام» كان قد تعامل مع واقعة كربلاء في خصوص هذا الأمر على سبيل الاستثناء. أي أنه «عليه السلام» كان يريد أن يقول: إن لهذه الحركة الجهادية أحكاماً خاصة بها. ومن خلالها تتحقق أهدافها. فالمطلوب هو أن يظهر لكل أحد امتيازها عما عداها.

والسبب في ذلك: أنه كان يجب على من يسمع واعيتهم أن ينصرهم، حتى لو كان عليه دين.

إلا إذا أعلن الإمام رفع وجوب هذا النصر عن الذي عليه دين، فإنه يسقط برفعه.

أما من يتذرع بالدَين ليهرب من نصر الإمام «عليه السلام»، فإن ذلك لا ينفعه، ولا يسقط عنه وجوب النصر، إذا لم يعفه الإمام من نصره..

السجاد يقضي دين أبيه:

وروي عن جعفر بن محمد، أنه قال: أصيب الحسين «عليه السلام» وعليه دين بضع وسبعون ألف دينار.

قال: وكف يزيد عن أموال الحسين «عليه السلام»، غير أن سعيد بن العاص هدم دار علي بن أبي طالب، ودار عقيل، ودار الرباب بنت امرئ القيس، وكانت تحت الحسين، وهي أم سكينة.

قال: واهتم أبي ـ علي بن الحسين «عليه السلام» ـ بدين أبيه هماً شديداً حتى امتنع من الطعام والشراب والنوم في أكثر أيامه ولياليه.

فأتاه آت في المنام، فقال له: لا تهتم بدين أبيك فقد قضاه الله بمال يُحَنِّس.

فقال علي له: والله ما أعرف في أموال أبي مالاً يقال له: يُحَنِّس.

فلما كان في الليلة الثانية رأى مثل ذلك، فسأل عنه أهله.

فقالت له امرأة من أهله: كان لأبيك عبد رومي يقال له: يُحَنِّس، استنبط له عيناً بذي خشب، فسأل عن ذلك، فأخبر به. وأن الحسين كان [قد] أعطى الرباب بنت امرئ القيس منها سقي يوم السبت وليلة السبت نحلة، فورثت ذلك سكينة بنتها.

فما مضت بعد ذلك (أيام) قلائل، حتى أرسل الوليد بن عتبة بن أبي سفيان إلى علي بن الحسين «عليه السلام» يقول له: إنه ذكرت لي عين أبيك بذي خشب تعرف بيُحَنِّس، فإن أحببت بيعها ابتعتها منك.

قال له علي بن الحسين «عليه السلام»: خذها بدين الحسين «عليه السلام»، وذكر له.

قال: أخذتها.

واستثنى منها ما كان لسكينة (وهو سقي ليلة السبت). وأوفى دين الحسين «عليه السلام»[١].

---

(١) شرح الأخبار ج٣ ص٢٦٩ و ٢٧٠ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص١٤٣ و ١٤٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٨٥ وبحار الأنوار ج٤٦ ص٥٢ و ٥٣ وج٤٣ ص٣٢١ ومدينة المعاجز ج٤ ص٣٨٢ و ٣٨٣ ومستدرك

ويلاحظ هنا: أن الروايات في مقدار الثمن الذي بيعت به يُحَنِّس قد اختلفت، فهناك نص يقول: إنه باعها بثلاث مئة ألف[١]. ولكنه لم يحدد إن كان هذا المبلغ هو دراهم أو دنانير.

والنص الآخر يقول: إنه باعها بسبعين ألفاً[٢].

والنص الذي ذكرناه قال: إنه باعها بدين الحسين «عليه السلام»، وهو بضع وسبعون ألف دينار.

وقد لا يكون بين هذا القول وسابقه منافاة، فإن إسقاط الزائد اليسير متعارف عليه في مثل هذه الأمور.

الوسائل ج١٣ ص٣٩٢ و ٢٤٤

(١) كشف المحجة لابن طاووس ص١٢٥ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٨ ص٣٢٣ و (الإسلامية) ج١٣ ص٨٢ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٢١ وج١٠٠ ص١٤٥.

(٢) معجم البلدان ج٤ ص١٨٠. وراجع: سر السلسلة العلوية ص٣٢ ومستدرك الوسائل ج١٧ ص١١٤. وراجع: شرح الأخبار ج٣ ص٢٦٩

الفصل الرابع:

ابن سعد المخذول المرذول..

ابن سعد وملك الري:

١ ـ عن محمّد بن سيرين، عن بعض أصحابه:

قالَ عَلِيٌّ «عليه السلام» لِعُمَرَ بن سَعدٍ: كَيفَ أنتَ إذا قُمتَ مَقاماً تُخَيَّرُ فيهِ بَينَ الجَنَّةِ وَالنّار، فَتَختارُ النّارَ؟(١)!.

٢ ـ عن عقبة بن سمعان: كانَ سَبَبُ خُروجِ ابنِ سَعدٍ إلَى الحُسَينِ «عليه السلام» أنَّ عُبَيدَ اللهِ بنَ زيادٍ بَعَثَهُ عَلى أربَعَةِ آلافٍ مِن أهلِ الكوفَةِ يَسيرُ بِهِم إلى دَستَبى، وكانَتِ الدَّيلَمُ قَد خَرَجوا إلَيها، وغَلَبوا عَلَيها، فَكَتَبَ إلَيهِ ابنُ زيادٍ عَهدَهُ عَلَى الرَّيِّ، [في الفتوح: ودَستَبى، وأمَرَهُ بِحَربِ الدَّيلَمِ] وأمَرَهُ بِالخُروجِ، فَخَرَجَ مُعَسكِراً بِالنّاسِ بِحَمّامِ أعيَنَ.

---

(١) تهذيب الكمال ج٢١ ص٣٥٩ وموسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٢٠ عنه، وعن الكامل في التاريخ ج٤ ص٢٤٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٥ ص٤٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص١٩٥ والتحفة اللطيفة ج٢ ص٣٣٩ وعن تذكرة الخواص ص٢٤٧ وكنز العمال ج١٣ ص٦٧٤ ومثير الأحزان ص٥٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٣٦ وأصدق الأخبار ص٧٣ ولواعج الأشجان ص١٠٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص١٥١ وج٢٧ ص٢٩٧ وج٣٣ ص٦٤٦.

فَلَمّا كانَ مِن أمرِ الحُسَينِ «عليه السلام» ما كانَ، وأقبَلَ إلَى الكوفَةِ، دَعَا ابنُ زيادٍ عُمَرَ بنَ سَعدٍ، فَقالَ: سِر إلَى الحُسَينِ، فَإذا فَرَغنا مِمّا بَينَنا وبَينَهُ سِرتَ إلى عَمَلِكَ.

[في الفتوح: أنّ ابن زياد جَمَعَ أصحابَهُ، وقالَ: أيُّهَا النّاسُ! مَن مِنكُم تَوَلّى قِتالَ الحُسَينِ بن عَلِيٍّ وَلِيَ وِلايَة أيِّ بَلَدٍ شاءَ؟ فَلَم يُجِبهُ أحَدٌ بِشَيءٍ.

قالَ: فَالتَفَتَ إلى عُمَرَ بنِ سَعدِ بنِ أبي وَقّاصٍ الخ..].

فَقالَ لَهُ عُمَرُ بنُ سَعدٍ: إنَ رَأَيتَ ـ رَحِمَكَ اللهُ ـ أن تُعفِيَني فَافعَل.

فَقالَ لَهُ عُبَيدُ اللهِ: نَعَم، عَلى أن تَرُدَّ لَنا عَهدَنا.

قالَ: فَلَمّا قالَ لَهُ ذاكَ، قالَ عُمَرُ بنُ سَعدٍ: أمهِلنِي اليَومَ حَتّى أنظُرَ.

قالَ: فَانصَرَفَ عُمَرُ يَستَشيرُ نُصَحاءَهُ، فَلَم يَكُن يَستَشيرُ أحَداً إلّا نَهاهُ.

قالَ: وجاءَ حَمزَةُ بنُ المُغيرَةِ بنِ شُعبَةَ، وهُوَ ابنُ اُختِهِ، فَقالَ: أنشُدُكَ اللهَ ـ يا خالِ ـ أن تَسيرَ إلَى الحُسَينِ، فَتَأثَمَ بِرَبِّكَ وتَقطَعَ رَحِمَكَ! فَوَاللهِ، لَأَن تَخرُجَ مِن دُنياكَ ومالِكَ وسُلطانِ الأرضِ كُلِّها ـ لَو كانَ لَكَ ـ خَيرٌ لَكَ مِن أن تَلقَى اللهَ بِدَمِ الحُسَينِ! [في الفتوح: ابن فاطِمَة].

فَقالَ لَهُ عُمَرُ بنُ سَعدٍ: فَإنّي أفعَلُ إن شاءَ اللهُ [في الفتوح: فَسَكَتَ عُمَرُ وفي قَلبِهِ مِنَ الرَّيِّ].

٣ ـ قالَ هِشامٌ: حَدَّثَني عَوانَةُ بنُ الحَكَمِ، عَن عَمّارِ بنِ عَبدِ اللهِ بنِ يَسارٍ الجُهَنِيِّ عَن أبيهِ، قالَ: دَخَلتُ عَلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ وقَد اُمِرَ

بِالمَسيرِ إلَى الحُسَينِ «عليه السلام»، فَقالَ لي: إنَّ الأميرَ أمَرَني بِالمَسيرِ إلَى الحُسَينِ، فَأَبَيتُ ذلِكَ عَلَيهِ.

فَقُلتُ لَهُ: أصابَ اللهُ بِكَ، أرشَدَكَ اللهُ، أجل، فَلا تَفعَل ولا تَسِر إلَيهِ.

قالَ: فَخَرَجتُ مِن عِندِهِ، فَأَتاني آتٍ، وقالَ: هذا عُمَرُ بنُ سَعدٍ يَندُبُ النّاسَ إلَى الحُسَينِ، قالَ: فَأَتَيتُهُ فَإِذا هُوَ جالِسٌ، فَلَمّا رَآني أعرَضَ بِوَجهِهِ، فَعَرَفتُ أنَّهُ قَد عَزَمَ عَلَى المَسيرِ إلَيهِ، فَخَرَجتُ مِن عِندِهِ.

قالَ: فَأَقبَلَ عُمَرُ بنُ سَعدٍ إلَى ابنِ زِيادٍ، فَقالَ: أصلَحَكَ اللهُ، إنَّكَ وَلَّيتَني هذَا العَمَلَ، وكَتَبتَ لِيَ العَهدَ، وسَمِعَ بِهِ النّاسُ، فَإِن رَأَيتَ أن تُنفِذَ لي ذلِكَ فَافعَل، وَابعَث إلَى الحُسَينِ في هذَا الجَيشِ مِن أشرافِ الكوفَةِ مَن لَستُ بِأَغنى ولا أجزَأَ عَنكَ فِي الحَربِ مِنهُ، فَسَمّى لَهُ أُناساً.

فَقالَ لَهُ ابنُ زِيادٍ: لا تُعلِمني بِأَشرافِ أهلِ الكوفَةِ، ولَستُ أستَأمِرُكَ فيمَن أُريدُ أن أبعَثَ! إن سِرتَ بِجُندِنا، [في الفتوح: وما أُريدُ مِنكَ إلّا أن تَكشِفَ هذِهِ الغُمَّة، وأنتَ الحَبيبُ القَريبُ] وإلّا فَابعَث إلَينا بِعَهدِنا [في الفتوح: وَالزَم مَنزِلَكَ، فَإِنّا لا نُكرِهُكَ].

فَلَمّا رَآهُ قَد لَجَّ، قالَ: فَإِنّي سائِرٌ.

[في الفتوح: فَسَكَتَ عُمَرُ، فَقالَ لَهُ ابنُ زِيادٍ: يَا بنَ سَعدٍ، وَاللهِ، لَئِن لَم تَسِر إلَى الحُسَينِ وتَتَوَّلَ حَربَهُ وتَقدَم عَلَينا بِما يَسوؤُهُ، لَأَضرِبَنَّ عُنُقَكَ، ولَأَنهَبَنَّ أموالَكَ.

قالَ: فَإِنّي سائِرٌ إلَيهِ غَداً إن شاءَ اللهُ.

قال: فَجَزاهُ ابنُ زِيادٍ خَيراً، ووَصَلَهُ، وأعطاهُ، وحَباهُ الخ..].

قالَ: فَأَقبَلَ في أربَعَةِ آلافٍ حَتّى نَزَلَ بِالحُسَينِ «عليه السلام» مِنَ الغَدِ مِن يَومَ نَزَلَ الحُسَينُ «عليه السلام» نِينَوى[1].

٤ ـ عن عمّار الدهني، عن أبي جعفر [الباقر] «عليه السلام»: كانَ عُمَرُ بنُ سَعدِ بن أبي وَقّاصٍ قد وَلّاهُ عُبَيدُ اللهِ بنُ زِيادٍ الرَّيَّ، وعَهِدَ إلَيهِ عَهدَهُ، فَقالَ: اِكفِني هذَا الرَّجُلَ [أي الحُسَينَ «عليه السلام»].

قالَ: أعفِني.

فَأَبى أن يُعفِيَهُ.

قالَ: فَأَنظِرنِي اللَّيلَةَ.

فَأَخَّرَهُ، فَنَظَرَ في أمرِهِ، فَلَمّا أصبَحَ غَداً عَلَيهِ راضِياً بِما أُمِرَ بِهِ،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤٠٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣٠٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٥ ص٤٩ و ٥٠ وفيه: «عمار بن عبد الله بن سنان الجهني»، والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٢ وأنساب الأشراف ج٣ ص٣٨٥ وراجع: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٦ وموسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٢١ و ٢٢ عنهم، وعن تذكرة الخواص ص٢٤٧ والأخبار الطوال ص٢٥٣ وبغية الطلب في أخبار حلب ج٦ ص٢٦٢٥ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٨٥ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٣٩. وراجع: مطالب السؤول ص٧٥ وكشف الغمة ج٢ ص٢٥٩ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٩٤ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٢٥.

فَتَوَجَّهَ إِلَيهِ عُمَرُ بنُ سَعدٍ.

وروي نحوه عن الإمام زين العابدين(١).

٥ ـ وفي نص آخر: فَلَمّا أمَرَهُ بِالمَسيرِ إلى حُسَينٍ «عليه السلام» تَأَبّى ذلِكَ وكَرِهَهُ وَاستَعفى مِنهُ. فَقالَ لَهُ ابنُ زِيادٍ: أُعطِي اللهَ عَهدا لَئِن لَم تَسِر إلَيهِ وتُقدِم عَلَيهِ، لَأَعزِلَنَّكَ عَن عَمَلِكَ، وأهدِمُ دارَكَ، وأضرِبُ عُنُقَكَ!

فَقالَ: إذَن أفعَلُ.

فَجاءَتهُ بَنو زُهرَةَ، قالوا: نَنشُدُكَ اللهَ أن تَكونَ أنتَ الَّذي تَلي هذا مِن حُسَينٍ، فَتَبقى عَداوَةٌ بَينَنا وبَينَ بَني هاشِمٍ.

فَرَجَعَ إلى عُبَيدِ اللهِ فَاستَعفاهُ فَأَبى أن يُعفِيَهُ، فَصَمَّمَ وسارَ إلَيهِ.

ومَعَ حُسَينٍ «عليه السلام» يَومَئِذٍ خَمسونَ رَجُلاً، وأتاهُم مِنَ

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٨٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٩٣ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤٢٧ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٣٠٤ ومقاتل الطالبيين ص٧٤، ولم ينسبه إلى أحد من أئمة أهل البيت، والأمالي للشجري ج١ ص١٩٢ والحدائق الوردية ج١ ص١١٦ عن الإمام زين العابدين «عليه السلام». وراجع: شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥٢١ وج٣٣ ص٦٥٥ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص٢١٤ ومدينة المعاجز ج٤ ص٦٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٠٥ و ٣٠٦ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٥٩٣ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٦.

الجَيْش عِشرونَ رَجُلاً، وكانَ مَعَهُ مِن أهلِ بَيتِهِ تِسعَةَ عَشَرَ رَجُلاً.

فَلَمّا رَأى الحُسَينُ «عليه السلام» عُمَرَ بنَ سَعدٍ قَد قَصَدَ لَهُ في مَن مَعَهُ قالَ: يا هؤُلاءِ، اسمَعوا يَرحَمُكُمُ اللهُ! ما لَنا ولَكُم؟! ما هذا بِكُم يا أهلَ الكوفَةِ؟!

قالوا: خِفنا طَرحَ العَطاءِ، قالَ: ما عِندَ اللهِ مِنَ العَطاءِ خَيرٌ لَكُم(١).

ابن سعد يختار النار:

١ ـ إن إخبار علي «عليه السلام» عمر بن سعد بأنه سيواجه موقفاً يخير فيه بين الجنة والنار، فيختار النار، وحصول هذا الأمر له بعد ما قد يزيد على عشرين سنة لا بد أن يعطي اليقين لمن ألقى السمع وهو شهيد بأنه لم يكن مجرد توقع، قائم على الحدس والتخمين، بل هو خبر مأخوذ من معدن الوحي والتنزيل..

وهو مما اختص به الله ورسوله علياً «عليه السلام»، ليكون من دلائل إمامته «عليه السلام» لمن عقل وتدبر.

ولأجل ذلك رأينا في الفصل السابق، كيف أن الرجل الضبي الذي رأى أن علياً في مسيره إلى صفين لما وصل إلى كربلاء يخبر بما يجري في تلك الأرض على ثقل لآل محمد، ـ إن هذا الرجل ـ لما عاين

(١) الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٦٤ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٦٨ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٠٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص١٣.

ذلك في أيام عاشوراء ترك جيش ابن سعد، وجاء إلى الحسين «عليه السلام»، وأخبره بما كان قد رآه من أبيه مصرحاً له: بأن علياً «عليه السلام» كان أعلم أهل الأرض.

يضاف إلى ذلك: أن هذا الخبر عما يجري لعمر بن سعد، لا ربط له بالجبر الإلهي، بل هو إخبار من علام الغيوب بما سوف يختاره هذا الشقي، انقياداً منه لأهوائه وشهواته، بالرغم من التحذير الكثير له، وفتح أبواب التوبة والإنابة له ولكل مذنب مهما كان سيء السريرة، وقد صرحت رواية ابن سيرين المتقدمة: بأن ابن سعد هو الذي يختار النار، لا أن هذا الأمر يفرض عليه.

٢ ـ بل هؤلاء الأشقياء لو أحسنوا الإختيار، فقد كان ينبغي لهم أن يستفيدوا من هذه الأخبار في تصحيح مسارهم، وإعادة النظر في قرارهم. ويجعلوا من هذه الأخبار سبب ووسيلة هداية، ولاسيما عمر بن سعد الذي كانت هذه الأجواء تلاحقه، وتضايقه، وتحرجه، حتى اضطر إلى أن يلجأ إلى الإمام الحسين «عليه السلام» نفسه، علّه يستخرج منه كلمة يتذرع بها في كف الناس عن التوجه إليه بأصابع الإتهام، أو تثير شبهة حول صحة هذه الأخبار، فقد روى سالم بن أبي حفصة: أن عمر بن سعد قال للحسين «عليه السلام»:

«يا أبا عبد الله، إن قبلنا ناساً سفهاء، يزعمون أني أقتلك.

فقال له الحسين «عليه السلام»: إنهم ليسوا بسفهاء، ولكنهم حلماء.

أما إنه يقر عيني ألا تأكل بر العراق بعدي إلا قليلاً»[١].

وجواب الحسين «عليه السلام» هذا له، كان أوجع لقلب ابن سعد، وأبقى لحسرته.

فأولاً: إنه «عليه السلام» أعلن أن من يقول ذلك عن عمر بن سعد ليس من السفهاء الذين يلقون الكلام على عواهنه، بل هم من الحكماء الذين يتكلمون عن فكر، وروية، وتدبر. واستناداً إلى علم من ذي علم.

ثانياً: إنه «عليه السلام» قد لوَّح ـ بل صرح ـ لابن سعد: بأنه حين يختار النار، ويرتكب جريمته، سيكون عمره قصيراً، حتى إنه سوف لا يأكل من بُرِّ العراق ـ أي قمحه ـ إلا قليلاً.

ثالثاً: إنه «عليه السلام» قد أفهم عمر بن سعد: أن قِصَرَ عمره هذا سيكون من موجبات سروره «عليه السلام».

رابعاً: يبدو: أن الذين قصدهم عمر بن سعد بقوله: إنهم سفهاء، ووصفهم الحسين «عليه السلام»: بأنهم حلماء هم أصحاب علي «عليه

---

(١) الإرشاد ج٢ ص١٣٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٦٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٥٤ و ١٥٥ وكشف الغمة ج٢ ص٢١٨ والمحجة البيضاء ج٤ ص٢٣٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٥ ص٤٨ وتهذيب الكمال ج٢١ ص٣٥٩ وتهذيب التهذيب ج٧ ص٣٩٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص١٩٥ والتحفة اللطيفة ج٢ ص٣٣٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٤٣٤ وج٣٣ ص٦٤٦.

السلام»، فقد روى عبد الله بن شريك العامري، قال: كنت أسمع أصحاب علي «عليه السلام» إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون: هذا قاتل الحسين بن علي «عليهما السلام»، وذلك قبل قتله بزمان(١).

خامساً: إن رواية محمد بن سيرين عن علي «عليه السلام» تكذّب ما تدَّعيه بعض الروايات، من أن عبيد الله بن زياد قد هدد عمر بن سعد بأكثر من استرداد عهد ولايته على الري منه..

وما تدَّعيه من أنه كان مكرهاً على قتل الحسين «عليه السلام» تحت طائلة التهديد بالقتل، ونهب الأموال، وهدم الدار، إذ كان يمكنه أن يختار رفض هذا العرض، ويلتحق بالحسين «عليه السلام» لينال شرف نصرة الحق وأهله.

ولعله كان يمكنه أيضاً أن يتوارى عن الأنظار إلى أن يجد مخرجاً لنفسه.

بل قد يدَّعى: أن ظاهر قول علي أمير المؤمنين «عليه السلام»:

---

(١) الإرشاد ج٢ ص١٣١ و ١٣٢ ومدينة المعاجز ج٤ ص٦٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٦٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٤٩ وكشف الغمة ج٢ ص٢١٨ والمحجة البيضاء ج٤ ص٢٣٠ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٤٥ ص٤٩ وتهذيب الكمال ج٢١ ص٣٥٩ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٤٢ والمحاضرات والمحاورات ص٣١٦ والمجالس الفاخرة ص١١٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٦٤٥ و ٦٤٦.

«تخير فيه بين الجنة والنار»، ثم قوله: «فتختار النار»: أنه يختار ذلك بملء إرادته، ومن دون أي إكراه.

هذا عدا ما أظهرته النصوص، من أن ابن سعد كان شديد التعلق بملك الري، وقد قال له عبيد الله ـ كما يقول ابن أعثم ـ: «والزم منزلك، ولا نكرهك».

مثبطات لم يتأثر بها ابن سعد:

وقد تضافرت المثبطات على عمر بن سعد حتى لا يرتكب هذه الجريمة بحق الإمام الحسين «عليه السلام»، فلاحظ ما قدمناه، من إخبار علي «عليه السلام» إياه بأنه سوف يختار النار.

وشيوع أنه سوف يكون هو قاتل الحسين «عليه السلام».

ثم إخبار الحسين «عليه السلام» إياه بأنه بعد ارتكاب هذه الجريمة سوف لا يأكل من بر العراق إلا القليل.

ثم سعي ابن أخته حمزة بن المغيرة بن شعبة لردعه عن هذا الأمر أيضاً.

ثم إنه حين استشار نصحاءه، لم يكن يستشير أحداً إلا نهاه.

وقد نهاه عمار بن عبد الله الجهني عن هذا الأمر أيضاً.

وجاءته بنو زهرة، وناشدوه الله أن يكون هو الذي يلي هذا من حسين، وخوفوه من عداوة بني هاشم.

وغير ذلك.

ولكنه لم يتأثر بذلك كله، ولم يرتدع، فباء بغضب الله في الدنيا والآخرة.

حديث التهديد لماذا؟!:

وقد يكون هناك من يقول: إن الحديث عن أن ابن زياد قد هدد عمر بن سعد بالقتل وبغيره إن لم يقتل الحسين «عليه السلام» لعله يهدف إلى التقليل من قبح الجريمة التي ارتكبها هذا الخبيث، وجعل المسؤول عن الجرائم كلها هو عبيد الله بن زياد دون سواه.

كما أن السياسة قد فرضت إبعاد يزيد بن معاوية نفسه عن مسرح الجريمة حفظاً لمقام الخلافة في يزيد ـ بزعمهم ـ وصيانة لكرامة الصحابة في شخص سعد بن أبي وقاص، الذي تولى الكوفة لعمر، ولعثمان، وقد جعله عمر أحد الستة في الشورى التي أرادها عمر أداة لإقصاء علي «عليه السلام» عن مقام الخلافة. ثم إنه (أعني سعداً هذا) كان من المناوئين لعلي «عليه السلام» أيام خلافته..

بل إنهم تجاوزوا أمر التخفيف إلى ارتكاب رذيلة مكافأته على هذا الجرم العظيم، فكان العجلي يوثق عمر بن سعد هذا(١) أخزاه الله وإياه.

غير أن هذه المحاولات لا قيمة لها.. فإن التهديد من قبل ابن زياد

---

(١) راجع: ميزان الإعتدال للذهبي ج٣ ص١٩٨ وتهذيب التهذيب ج٧ ص٣٩٦.

لو صح، لا يبرر الإقدام على قتل عترة الأنبياء وأحد الأئمة الأوصياء، وأي مؤمن من المؤمنين، علماً بأنه قد كان بإمكان عمر بن سعد في أسوأ الأحوال أن يهرب من البلاد، ويتخفى عن أنظار العباد، ولا يرتكب هذه الجريمة النكراء.

بل كان يجب عليه أن يفعل كما فعل الحر بن يزيد الرياحي، أن يلجأ إلى الحسين «عليه السلام» ويكون معه، وإن استطاع أن يأتي بطائفة من الجيش الذي كان تحت إمرته ليكونوا أعواناً للحسين على أعدائه، كان عليه أن يفعل ذلك. وإن لم يستطع أن يقنعهم بذلك فليقنعهم، أو فليقنع بعضهم بالإنصراف عن حرب الحسين «صلوات الله عليه».

حمزة بن المغيرة ناصحاً:

تقدم: أن حمزة بن المغيرة بن شعبة قد نصح خاله عمر بن سعد بعدم المسير إلى الحسين «عليه السلام»، وقد تضمنت نصيحته له الأمور التالية:

١ ـ أن عليه أن لا يكون في موقع الآثم عند الله.

٢ ـ إن في هذا العمل قطيعة للرحم.

٣ ـ إن خروجه من دنياه، ومن ماله، وسلطان الأرض كلها، خير له من أن يلقى الله بدم الحسين «عليه السلام».

ونقول:

إن ما نعرفه عن حمزة بن المغيرة لا يشجعنا على حمل كلامه هذا على محمل الجد، فقد ذكروا في حوادث سنة ٧٧ هـ أن الحجاج

استعمل حمزة هذا على همذان سنة ٧٧ هـ، واستعمل أخاه مطرفاً على المدائن(١).

وقد حاول مطرف بن المغيرة أن يتفق مع أتباع شبيب الخارجي على محاربة الحجاج فلم يتم له ذلك، فخرج على الحجاج، وأعانه أخوه حمزة سراً بالمال والسلاح. ثم اعتذر حمزة من الحجاج، فأظهر قبول عذره، ثم عزله، وأودعه السجن(٢).

وبعد ما تقدم نقول:

إن لنا أن نحتمل أن يكون ما قاله حمزة لخاله لم يكن عن قناعة من حمزة به، بل كان يحاول أن يستفيد من هذه الأقوال كوسيلة إقناعية، من شأنها لو آتت ثمارها أن تجنب خاله عمر بن سعد، وكل من له صلة به متاعب ومصاعب جمة، سوف تلحق بهم بسبب هول الجريمة التي يقدم عمر بن سعد عليها، بالإضافة إلى العار العظيم، والنبذ الاجتماعي، واللعنة الدائمة والأبدية، وغير ذلك مما سيلحق بعمر بن سعد، وكل من هو من حزبه، بسبب فعلته النكراء تلك..

(١) أنساب الأشراف (ط دار الفكر) ج٧ ص٣٩٨ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٥ ص١٠٦ والكامل في التاريخ ج٤ ص٤٣٤ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص٣٣٨.

(٢) الكامل في التاريخ ج٤ ص٤٣٥ و٤٣٦ وأنساب الأشراف (ط دار الفكر) ج٧ ص٤٠١ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٥ ص١١٢ ـ ١١٤ ونهاية الأرب ج٢١ ص١٩٥.

المنطق العشائري لبني زهرة:

وقد ذكر النص الأخير المتقدم: أن بني زهرة حين جاؤوا إلى عمر بن سعد، ليقنعوه بعدم الخروج إلى الحسين كانت حجتهم هي قولهم: فتبقى عداوة بيننا وبين بني هاشم.

وهذا منطق عشائري يجعله بنو زهرة ذريعتهم لإقناع عمر بن سعد بالعدول عما عقد العزم عليه. ولم يذكروا شيئاً عن أن ذلك من موجبات خسران الدنيا والآخرة،والتعرض لسخط الله، والخلود في العذاب الأليم.

فإن كان ذلك لأجل أنهم يرون المنطق العشائري مقدماً على المنطق الإيماني الصحيح والصريح، فتلك مصيبة كبيرة وخطيرة، كامنة في عمق وعيهم العقائدي و الإيماني..

وإن كان ذلك لأجل معرفتهم بأن عمر بن سعد سيكون أكثر انصياعاً للمنطق العشائري الجاهلي، منه إلى منطق الدين والعقيدة والإيمان. فإن مصيبة الأمة بحكامها، ورؤسائها، وأصحاب القرار فيها ستكون أدهى وأعظم، لأنهم سيكونون وبالاً على الأمة، وعلى دينها، وعلى قيمها، وأخلاقها، وعلى مستقبلها في الدنيا والآخرة..

نصيحة غالية من صديق:

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»:

وجدت في بعض مؤلفات المعاصرين: أنه لما جمع ابن زياد «لعنه الله» قومه لحرب الحسين «عليه السلام» كانوا سبعين ألف

فارس، فقال ابن زياد: أيها الناس من منكم يتولى قتل الحسين وله ولاية أي بلد شاء؟

فلم يجبه أحد منهم.

فاستدعى عمر بن سعد «لعنه الله» وقال له: يا عمر، أريد أن تتولى حرب الحسين بنفسك، فقال له: اعفني من ذلك.

فقال ابن زياد: قد أعفيتك يا عمر، فاردد علينا عهدنا الذي كتبنا إليك بولاية الري.

فقال عمر: أمهلنا الليلة.

فقال له: قد أمهلتك، فانصرف عمر بن سعد إلى منزله، وجعل يستشير قومه وإخوانه، ومن يثق به من أصحابه، فلم يشر عليه أحد بذلك.

وكان عند عمر بن سعد رجل من أهل الخير يقال له: كامل، وكان صديقاً لأبيه من قبله، فقال له: يا عمر، ما لي أراك بهيئة وحركة، فما الذي أنت عازم عليه؟

وكان كامل كاسمه، ذا رأي، وعقل، ودين كامل.

فقال له ابن سعد «لعنه الله»: إني قد وليت أمر هذا الجيش في حرب الحسين، وإنما قتله عندي وأهل بيته كأكلة آكل، أو كشربة ماء، وإذا قتلته خرجت إلى ملك الري.

فقال له كامل: أف لك يا عمر بن سعد، تريد أن تقتل الحسين ابن بنت رسول الله؟ أف لك ولدينك يا عمر، أسفهت الحق، وضللت

الهدى، أما تعلم إلى حرب من تخرج؟ ولمن تقاتل؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.

والله لو أعطيت الدنيا وما فيها على قتل رجل واحد من أمة محمد لما فعلت، فكيف تريد تقتل الحسين ابن بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟ وما الذي تقول غداً لرسول الله إذا وردت عليه وقد قتلت ولده، وقرة عينه، وثمرة فؤاده، وابن سيدة نساء العالمين، وابن سيد الوصيين، وهو سيد شباب أهل الجنة من الخلق أجمعين.

وإنه في زماننا هذا بمنزلة جده في زمانه، وطاعته فرض علينا كطاعته، وإنه باب الجنة والنار، فاختر لنفسك ما أنت مختار.

وإني أشهد بالله إن حاربته أو قتلته، أو أعنت عليه، أو على قتله لا تلبث في الدنيا بعده إلا قليلاً.

فقال له عمر بن سعد: فبالموت تخوفني؟ وإني إذا فرغت من قتله أكون أميراً على سبعين ألف فارس، وأتولى ملك الري.

فقال له كامل: إني أحدثك بحديث صحيح أرجو لك فيه النجاة إن وفقت لقبوله.

اعلم أني سافرت مع أبيك سعد إلى الشام، فانقطعت بي مطيتي عن أصحابي، وتهت، وعطشت. فلاح لي دير راهب فملت إليه، ونزلت عن فرسي، وأتيت إلى باب الدير لأشرب ماء، فأشرف علي راهب من ذلك الدير وقال: ما تريد؟

فقلت له: إني عطشان.

فقال لي: أنت من أمة هذا النبي الذين يقتل بعضهم بعضاً على حب الدنيا مكالبة، ويتنافسون فيها على حطامها؟

فقلت له: أنا من الأمة المرحومة أمة محمد «صلى الله عليه وآله».

فقال: إنكم أشر أمة، فالويل لكم يوم القيامة، وقد غدوتم إلى عترة نبيكم، وتسبون نساءه، وتنهبون أمواله.

فقلت له: يا راهب، نحن نفعل ذلك؟

قال: نعم، وإنكم إذا فعلتم ذلك عجت السماوات والأرضون، والبحار، والجبال، والبراري والقفار، والوحوش، والأطيار باللعنة على قاتله، ثم لا يلبث قاتله في الدنيا إلا قليلاً، ثم يظهر رجل يطلب بثأره، فلا يدع أحداً شرك في دمه إلا قتله وعجل الله بروحه إلى النار.

ثم قال الراهب: إني لأرى لك قرابة من قاتل هذا الابن الطيب، والله إني لو أدركت أيامه لوقيته بنفسي من حر السيوف.

فقلت: يا راهب، إني أعيذ نفسي أن أكون ممن يقاتل ابن بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال: إن لم تكن أنت، فرجل قريب منك، وإن قاتله عليه نصف عذاب أهل النار، وإن عذابه أشد من عذاب فرعون وهامان.

ثم ردم الباب في وجهي ودخل يعبد الله تعالى، وأبى أن يسقيني الماء.

قال كامل: فركبت فرسي ولحقت أصحابي، فقال لي أبوك سعد: ما

أبطأك عنا يا كامل؟

فحدثته بما سمعته من الراهب، فقال لي: صدقت.

ثم إن سعداً أخبرني أنه نزل بدير هذا الراهب مرة من قبلي، فأخبره أنه هو الرجل الذي يقتل ابن بنت رسول الله، فخاف أبوك سعد من ذلك وخشي أن تكون أنت قاتله. فأبعدك عنه وأقصاك، فاحذر يا عمر أن تخرج عليه، يكون عليك نصف عذاب أهل النار.

قال: فبلغ الخبر ابن زياد «لعنه الله»، فاستدعى بكامل وقطع لسانه، فعاش يوماً أو بعض يوم، ومات «رحمه الله»(١).

ونقول:

يستوقفنا هنا ما يلي:

١ ـ لقد ذكر العلامة المجلسي «رحمه الله» هذه الرواية، وقال: إنه نقلها من بعض مؤلفات المعاصرين له، فلو كان قد عثر عليها في مؤلفات من تقدمه لأشار إلى ذلك.

٢ ـ ثم إنه «رحمه الله» لم يسجل عليها أي تحفظ، أو مؤاخذة. وكأنه يريد لنا أن نفهم أنه «رحمه الله» لم يكن يسيء الظن بذلك المؤلف المعاصر له، بأن يتهمه بالخيانة في نقل النصوص، وإن كان لا يمنع من أن يكون ذلك المؤلف ممن يتساهل في النقل عن أي كان من الناس.

---

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٠٥ ـ ٣٠٨.

فإن كان في الرواية شك، فمنشؤه الآخرون، لا نفس ذلك المؤلف المعاصر له.

٣ ـ إن معرفة أحبار ورهبان أهل الكتاب ببعض ما يكون في هذه الأمة ليس بالأمر المستغرب، فقد تلقوا الكثير من هذه الأخبار عن الأنبياء والأوصياء في تلك الأمم السالفة. وقد حدثنا نبينا وأئمتنا الطاهرون «صلوات الله عليهم» بالكثير الطيب منها.

لكن ما لفت نظرنا في هذه الرواية: إصرار راهب هذا الدير على أن لهذا الرجل الذي إسمه كامل قرابة بقاتل الحسين «عليه السلام»، مع احتماله بأن يكون كامل نفسه هو القاتل أيضاً.

فما هو المبرر والمستند الذي دعاه إلى هذا التطبيق؟! بل هو قد عامله أيضاً معاملة المتهم، حيث ردم الباب في وجهه، وأبى أن يسقيه شربة من الماء!!

٤ ـ إن مما يزيد الطين بلة: أن هذا الراهب قد التقى قبل ذلك بسعد بن أبي وقاص، واتهمه أيضاً بأنه سيكون هو قاتل الحسين «عليه السلام». ولكن سعداً ظن أن الراهب قد أخطأ في التطبيق، وخلط بينه وبين إبنه عمر بن سعد..

٥ ـ تقول الرواية: إن سعداً حين ظن أن ولده هو المقصود: أبعد ولده وأقصاه، ولم نجد في المصادر التي بين أيدينا أية إشارة إلى هذا الإقصاء المزعوم.

على أن المبادرة من سعد إلى إقصاء ولده ليست منطقية، فإن

التصرف الطبيعي هو أن يهتم سعد بتربية ولده، وتوجيهه إلى ما يصلح دينه ودنياه، وتحذيره من الإقدام على هذا الأمر الكبير والخطير. فإن وجده مصراً على سلوك طريق الإنحراف لجأ إلى الأساليب الرادعة، كالأقصاء وغيره..

٦ ـ أخيراً نقول: إذا كان «كامل» قد استشهد حين ذهاب عمر بن سعد على رأس جيش بني أمية إلى كربلاء، لقتل الحسين في كربلاء، وكان قتله بهذه الطريقة الحاقدة، فيفترض أن يهتم الرواة والمؤلفون وعلماء التراجم بذكر هذه الشهادة.. ولكننا لم نجد في هذه المصادر ما يشير إلى ذلك.

ابن العاص، ابن سعد، ويزيد:

وأخيراً نقول:

هناك ثلاثة أشخاص تشابهت قلوبهم، وحالاتهم بصورة واضحة، وهم:

١ ـ عمرو بن العاص، الذي كان قد وقع في حيرة شديدة، حين عرض عليه معاوية شيئاً من دنياه، كثمن لدينه وآخرته.. ونظم أبياتاً دلل فيها على حيرته هذه. ثم حسم أمره، واختار الإستمرار في طريق الغي، وحصل من معاوية على ملك مصر، الذي لم يدم له، بل كان كلعقة الكلب أنفه(١).

---

(١) راجع كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج٣٦، فصل

٢ ـ عمر بن سعد، الذي تحير بين الحصول على ولاية الري، وآذربيجان مقابل قتل الحسين «عليه السلام»، أو أن لا يفعل ذلك.. فاختار هو الآخر أن يبقى سادراً في طريق الغواية على طريق الرشد والهداية، وقال أبياتاً في ذلك، هي التالية:

دَعــاني عُبَيــدُ اللهِ مِــن دونِ إلـى خِطَّـةٍ فيهـا خَرَجتُ لِحينـي

فـوَاللهِ مـا أدري وإنّـي لَحَـائِرٌ أُفكِّـرُ فِـي أمْـري عَلـى خَطـرَيْنِ

أأتــرُكُ مُلــكَ الــرَّيِّ وَالــرَّيُّ أمَ ارجِـعُ مَأثُومَـاً بِقتـلِ حُسَـينِ

وفـي قتلِـهِ النّـارُ الّتـي لَـيسَ حِجـابٌ ومُلـكُ الـرَّيِّ قُـرَّةُ عَينـي

يَقُولُـونَ إنَّ اللهَ خَـالِقُ جَنَّـةٍ ونَــارٍ وتَعــذِيبٍ وغَــلِّ يَــدَيْنِ

فَإنْ صَدَقُوا فِيمَا يقُولُونَ إنَّنِي أتُـوبُ إلـى الـرَحْمَنِ مِـنْ سَنَتَيْنِ

وإنْ كَذَبُوا فُزْنَـا بِدُنيَاً عَظِيْمَـةٍ ومُلْــكٍ عَقِــيمٍ دَائِــمِ الحَجَلَــيْنِ

وإنَّ إلَـهَ العَـرْشِ يَغْفِـرُ زَلَّتِـي ولَـوْ كُنْـتُ فِيهَـا أظْلَـمَ الثقَلَـيْنِ

وَلَكِنَّهَـا الـدُّنْيَا بِخَيْـرِ مُعَجَّـلٍ ومَـا عَاقِلٌ بَـاعَ الوُجُـودَ بِدَيْنِ(١)

دين ابن العاص في المزائد.

(١) راجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٢٤٨ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٨٢٢ وراجع: مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٣٤٨ وراجع: اللهوف في قتلى الطفوف ص١٩٣.

٣ ـ يزيد بن معاوية «لعنه الله»، الذي كان أعظم استكباراً، وأشد كفراً، حيث إنه حين جيء برأس الحسين «عليه السلام» وسائر الرؤوس، وبالسبايا إليه وهو في الشام تمثل بأبيات بعضها لابن الزبعرى، وزاد عليها، وهي:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا: يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من أشياخهم وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل[١]

(١) مقتل الحسين للمقرم ص٣٥٧ و (ط أخرى) ص٤٤٩ و ٤٥٠ والملهوف ص٢١٥ و (ط أنوار الهدى ـ قم) ص١٠٥ و (ط أخر) ص٧٥ و ٧٦ وراجع: الآثار الباقية للبيروني ص٣٣١ وروضة الواعظين ص١٩١ والمسترشد ص٥١٠ والإحتجاج للطبرسي ج٢ ص٣٤ والخرائج والجرائح ج٢ ص٥٨٠ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢٦١ ومدينة المعاجز ج٤ ص١٤٠ وبحار الأنوار ج٤٥ ص١٣٣ و ١٥٧ و ١٦٧ و ١٨٦ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٩٧ و ٤٠١ و ٤٠٣ و ٤٣٣ ولواعج الأشجان ص٢٢٦ والغدير ج٣ ص٢٦٠ وتفسير القمي ج٢ ص٨٦ وتفسير الصافي ج٣ ص٣٨٨ ونور الثقلين (تفسير) ج٣ ص٥١٨ وقاموس الرجال للتستري ج١٠ ص١١٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٨

ص١٨٧ وبلاغات النساء لابن طيفور ص٢١ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٢٩ وينابيع المودة ج٣ ص٣١ و ٤٢ و ٢٤٤ والنصائح الكافية ص٢٦٣ وحياة الإمام الحسين «عليه السلام» للقرشي ج٢ ص١٨٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٦٨٠.

الفصل الخامس:

لماذا هذه الحشود؟!..

الجيش اليزيدي إلى كربلاء:

١ ـ ذكر ابن واضح: أن ابن سعد «لعنه الله» حين لقي الحسين «عليه السلام» في كربلاء، «كانَ الحُسَينُ «عليه السلام» فِي اثنَينِ وستِّينَ، أوِ اثنَينِ وسَبعينَ رَجُلاً مِن أهلِ بَيتِهِ وأصحابِهِ، وعُمَرُ بنُ سَعدٍ في أربَعَةِ آلافٍ، فَمَنَعوهُ الماءَ، وحالوا بَينَهُ وبَينَ الفُراتِ، فَناشَدَهُمُ اللهَ عز و جل، فَأَبَوا إلّا قِتالَهُ أو يَستَسلِمَ، فَيَمضوا بِهِ إلى عُبَيدِ اللهِ بن زيادٍ، فَيَرى رَأيَهُ فيهِ، ويُنفِذَ فيهِ حُكمَ يَزيدَ»(١).

٢ ـ عن عبد الله بن منصور، عن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه [زين العابدين] «عليهم السلام» قال: أقبَلَ عُبَيدُ اللهِ بنُ زيادٍ بِعَسكَرِهِ حتّى عَسكَرَ بِالنُّخَيلَةِ، وبَعَثَ إلَى الحُسَينِ «عليه السلام» رَجُلاً يُقالُ لَهُ عُمَرُ بنُ سَعدٍ ـ قائِدُهُ ـ في أربَعَةِ آلافِ فارِسٍ، وأقبَلَ عَبدُ اللهِ بنُ الحُصَينِ التَّميمِيُّ في ألفِ فارِسٍ، يَتبَعُهُ شَبَثُ بنُ رِبعِيٍّ في ألفِ فارِسٍ، ومُحَمَّدُ بنُ الأشعَثِ بن قَيسٍ الكِندِيُّ أيضاً

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٤٣.

في ألفِ فارسٍ.

وكَتَبَ لِعُمَرَ بن سَعدٍ عَلَى النّاس، وأمَرَهُم أن يَسمَعوا لَهُ ويُطيعوهُ(١).

٣ ـ جَهَّزَ ابنُ زِيادٍ عَلَيهِ خَمساً وثَلاثينَ ألفاً، فَبَعَثَ الحُرَّ في ألفِ رَجُلٍ مِنَ القادِسِيَّةِ، وكَعبَ بنَ طَلحَةَ في ثَلاثَةِ آلافٍ، وعُمَرَ بنَ سَعدٍ في أربَعَةِ آلافٍ، وشِمرَ بنَ ذِي الجَوشَنِ السَّلولِيَّ في أربَعَةِ آلافٍ مِن أهلِ الشّام، ويَزيدَ بنَ رَكّابٍ الكَلبِيَّ في ألفَينِ، وَالحُصَينَ بنَ نُمَيرٍ السَّكونِيَّ في أربَعَةِ آلافٍ، ومُضايرَ بنَ رَهينَةَ المازِنِيَّ في ثَلاثَةِ آلافٍ، ونَصرَ بنَ حَرَشَةَ في ألفَينِ، وشَبَثَ بنَ ربعِيٍّ الرِّياحِيَّ في ألفٍ، وحَجّارَ بنَ أبجَرَ في ألفٍ.

وكانَ جَميعُ أصحابِ الحُسَينِ «عليه السلام» اثنَينِ وثَمانينَ رَجُلاً، مِنهُمُ الفُرسانُ اثنانِ وثَلاثونَ فارِساً.

ولَم يَكُن لَهُم مِنَ السِّلاحِ إلاّ السَّيفُ وَالرُّمحُ(٢).

٤ ـ تَوَجَّهَ عُبَيدُ اللهِ بنُ زِيادٍ ـ لَعَنَهُ اللهُ ـ بِالجُيوشِ مِن قِبَلِ يَزيدَ في ثَمانِيَةٍ وعِشرينَ ألفاً(٣).

---

(١) الأمالي للصدوق ص٢١٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣١٥ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٦٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٨.

(٣) إثبات الوصية ص١٧٦.

٥ ـ وعند ابن طاووس: حَتّى تَكامَلَت عِندَهُ إلى سِتِّ لَيالٍ خَلَونَ مِنَ المُحَرَّمِ عِشرونَ ألفاً، فَضَيَّقَ عَلَى الحُسَينِ «عليه السلام» حَتّى نالَ مِنهُ العَطَشُ ومِن أصحابِهِ(١).

٦ ـ وقالوا: ولَمّا سَرَّحَ ابنُ زيادٍ عُمَرَ بنَ سَعدٍ مِن حَمّامِ أعيَنَ، أمَرَ النّاسَ فَعَسكَروا بِالنُّخَيلَةِ، وأمَرَ أن لا يَتَخَلَّفَ أحَدٌ مِنهُم، وصَعِدَ المِنبَرَ، فَقَرَّظَ مُعاوِيَة، وذَكَرَ إحسانَهُ، وإدرارَهُ الأعطِياتِ، وعِنايَتَهُ بِأُمورِ الثُّغورِ، وذَكَرَ اجتِماعَ الأُلفَةِ بِهِ وعَلى يَدِهِ، وقالَ: إنَّ يَزيدَ ابنُهُ المُتَقَيِّلُ لَهُ، السّالِكُ لِمَناهِجِهِ، المُحتَذي لِمِثالِهِ، وقَد زادَكُم مِئَةً مِئَةً في أعطِيَتِكُم، فَلا يَبقَيَنَّ رَجُلٌ مِنَ العُرَفاءِ وَالمَناكِبِ، وَالتُّجّارِ، وَالسُّكّانِ إلّا خَرَجَ فَعَسكَرَ مَعي، فَأَيُّما رَجُلٍ وَجَدناهُ بَعدَ يَومِنا هذا مُتَخَلِّفاً عَنِ العَسكَرِ بَرِئَتُ مِنهُ الذِّمَّةَ.

ثُمَّ خَرَجَ ابنُ زيادٍ فَعَسكَرَ، وبَعَثَ إلَى الحُصَينِ بنِ تَميمٍ، وكانَ بِالقادِسِيَّةِ في أربَعَةِ آلافٍ، فَقَدِمَ النُّخَيلَةَ في جَميعِ مَن مَعَهُ.

ثُمَّ دَعَا ابنُ زيادٍ كَثيرَ بنَ شِهابٍ الحارِثِيَّ، ومُحَمَّدَ بنَ الأَشعَثِ بنِ قَيسٍ، وَالقَعقاعَ بنَ سُوَيدِ بنِ عَبدِ الرَّحمنِ المِنقَرِيَّ، وأسماءَ بنَ خارِجَةَ الفَزارِيَّ، وقالَ: طوفوا فِي النّاسِ، فَمُروهُم بِالطّاعَةِ وَالاِستِقامَةِ،

(١) الملهوف ص١٤٥ و (نشر أنوار الهدى) ص٥٢ وموسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٣٤ عنه، وعن كشف الغمة ج٢ ص٢٥٨ ومطالب السؤول ص٧٢ و ٧٥ و (تحقيق ماجد العطية) ص٤٠١.

وخَوِّفوهُم عَواقِبَ الأمورِ وَالفِتنَة وَالمَعصِيَة، وحُثّوهُم عَلَى العَسكَرَةِ.

فَخَرَجوا، فَعَذَّروا، وداروا بِالكوفَةِ، ثُمَّ لَحِقوا بِهِ، غيرَ كَثيرِ بنِ شِهابٍ؛ فَإِنَّهُ كانَ مُبالِغاً يَدورُ بِالكوفَةِ يَأمُرُ النّاسَ بِالجَماعَةِ، ويُحَذِّرُهُمُ الفِتنَة وَالفُرقَة، ويُخَذِّلُ عَنِ الحُسَينِ «عليه السلام».

وسَرَّحَ ابنُ زِيادٍ أيضاً حُصَينَ بنَ تَميمٍ في الأربَعَةِ الآلافِ الَّذينَ كانوا مَعَهُ إلَى الحُسَينِ «عليه السلام» بَعدَ شُخوصِ عُمَرَ بنِ سَعدٍ بِيَومٍ أو يَومَينِ، ووَجَّهَ أيضاً إلَى الحُسَينِ «عليه السلام» حَجّارَ بنَ أبجَرَ العِجلِيَّ في ألفٍ.

وتَمارَضَ شَبَثُ بنُ رِبعِيٍّ، فَبَعَثَ إلَيهِ فَدَعاهُ وعَزَمَ عَلَيهِ أن يَشخَصَ إلَى الحُسَينِ «عليه السلام» في ألفٍ فَفَعَلَ.

وكانَ الرَّجُلُ يُبعَثُ في ألفٍ فَلا يَصِلُ إلّا في ثَلاثِمِئَةٍ أو أربَعِمِئَةٍ وأقَلَّ مِن ذلِكَ، كَراهَةً مِنهُم لِهذَا الوَجهِ. ووَجَّهَ أيضاً يَزيدَ بنَ الحارِثِ بنِ يَزيدَ بنِ رُوَيمٍ في ألفٍ أو أقَلَّ.

ثُمَّ إنَّ ابنَ زِيادٍ استَخلَفَ عَلَى الكوفَةِ عَمرَو بنَ حُرَيثٍ، وأمَرَ القَعقاعَ بنَ سُوَيدِ بنِ عَبدِ الرَّحمنِ بنِ بُجَيرٍ المِنقَرِيَّ بِالتَّطوافِ بِالكوفَةِ في خَيلٍ، فَوَجَدَ رَجُلاً مِن هَمدانَ قَد قَدِمَ يَطلُبُ ميراثاً لَهُ بِالكوفَةِ، فَأَتى بِهِ ابنَ زِيادٍ فَقَتَلَهُ، فَلَم يَبقَ بِالكوفَةِ مُحتَلِمٌ إلّا خَرَجَ إلَى العَسكَرِ بِالنُّخَيلَةِ.

ثُمَّ جَعَلَ ابنُ زِيادٍ يُرسِلُ العِشرينَ وَالثَّلاثينَ وَالخَمسينَ إلَى المِئَةِ غُدوَةً وضَحوَةً ونِصفَ النَّهارِ وعَشِيَّةً مِنَ النُّخَيلَةِ، يُمِدُّ بِهِم عُمَرَ بنَ

سَعدٍ، وكانَ يَكرَهُ أن يَكونَ هَلاكُ الحُسَينِ «عليه السلام» عَلى يَدِهِ. فَلَم يَكُن شَيءٌ أحَبَّ إلَيهِ مِن أن يَقَعَ الصُّلحُ.

ووَضَعَ ابنُ زيادٍ المَناظِرَ عَلَى الكوفَةِ؛ لِئَلّا يَجوزَ أحَدٌ مِنَ العَسكَرِ مَخافَةَ لِأَن يَلحَقَ الحُسَينَ «عليه السلام» مُغيثاً لَهُ، ورَتَّبَ المَسالِحَ حَولَها، وجَعَلَ عَلى حَرَسِ الكوفَةِ وَالعَسكَرِ زَحرَ بنَ قَيسٍ الجُعفِيَّ، ورَتَّبَ بَينَهُ وبَينَ عَسكَرِ عُمَرَ بنِ سَعدٍ خَيلاً مُضَمَّرَةً مُقَدَّحَةً، فَكانَ خَبَرُ ما قِبَلَهُ يَأتيهِ في كُلِّ وَقتٍ(١).

٧ ـ وقال ابن أعثم:

جَمَعَ عُبَيدُ اللهِ بنُ زيادٍ النّاسَ إلى مَسجِدِ الكوفَةِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَعِدَ المِنبَرَ، فَحَمِدَ اللهَ وأثنى عَلَيهِ، ثُمَّ قالَ:

أيُّهَا النّاسُ! إنَّكُم قَد بَلَوتُم آلَ سُفيانَ فَوَجَدتُموهُم عَلى ما تُحِبّونَ، وهذا يَزيدُ قَد عَرَفتُموهُ أنَّهُ حَسَنُ السّيرَةِ، مَحمودُ الطَّريقَةِ، مُحسِنٌ إلَى الرَّعِيَّةِ، مُتَعاهِدُ الثُّغورِ، يُعطِي العَطاءَ في حَقِّهِ، حَتّى أنَّهُ كانَ أبوهُ كَذلِكَ.

وقَد زادَ أميرُ المُؤمِنينَ في إكرامِكُم، وكَتَبَ إلَيَّ يَزيدُ بنُ مُعاوِيَة

---

(١) أنساب الأشراف ج٣ ص٣٨٦ و (ط دار التعارف) ج٣ ص١٧٨ وراجع: الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٦٦. ولا بأس بمراجعة الأخبار الطوال ص٢٥٤ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج٦ ص٢٦٢٦.

بِأَربَعَةِ آلافِ دينارٍ ومِئَتَي ألفِ دِرهَمٍ، أفرُقُها عَلَيكُم، وأُخرِجُكُم إلى حَربِ عَدُوِّهِ الحُسَينِ بنِ عَلِيٍّ، فَاسمَعوا لَهُ وأطيعوا، وَالسَّلامُ.

قالَ: ثُمَّ نَزَلَ عَنِ المِنبَرِ، ووَضَعَ لِأَهلِ الشّامِ العَطاءَ فَأَعطاهُم، ونادى فيهِم بِالخُروجِ إلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ؛ لِيَكونوا أعواناً لَهُ عَلى قِتالِ الحُسَينِ «عليه السلام».

قالَ: فَأَوَّلُ مَن خَرَجَ إلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ الشِّمرُ بنُ ذِي الجَوشَنِ السَّلولِيُّ ـ لَعَنَهُ اللهُ ـ في أربَعَةِ آلافِ فارِسٍ، فَصارَ عُمَرُ بنُ سَعدٍ في تِسعَةِ آلافٍ، ثُمَّ أتبَعَهُ زَيدَ بنُ رَكّابٍ الكَلبِيُّ في ألفَينِ، وَالحُصَينَ بنُ نُمَيرٍ السَّكونِيُّ في أربَعَةِ آلافٍ، وَالمصابَ الماري في ثَلاثَةِ آلافٍ، ونَصرَ بنُ حَربَةَ في ألفَينِ، فَتَمَّ لَهُ عِشرونَ ألفاً.

ثُمَّ بَعَثَ ابنُ زيادٍ إلى شَبَثِ بنِ رِبعِيٍّ الرِّياحِيِّ رَجُلاً، وسَأَلَ أن يُوَجِّهَ إلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ، فَاعتَلَّ بِمَرَضٍ، فَقالَ لَهُ ابنُ زِيادٍ: أتَتَمارَضُ؟! إن كُنتَ في طاعَتِنا فَاخرُج إلى قِتالِ عَدُوِّنا.

فَخَرَجَ إلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ في ألفِ فارِسٍ، بَعدَ أن أكرَمَهُ ابنُ زِيادٍ، وأعطاهُ وحَباهُ، وأتبَعَهُ بِحَجّارِ بنِ أبجَرَ في ألفِ فارِسٍ، فَصارَ عُمَرُ بنُ سَعدٍ فِي اثنَينِ وعِشرينَ ألفاً ما بَينَ فارِسٍ وراجِلٍ.

ثُمَّ كَتَبَ ابنُ زِيادٍ إلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ: إنّي لَم أجعَل لَكَ عِلَّةً في قِتالِ الحُسَينِ مِن كَثرَةِ الخَيلِ وَالرِّجالِ، فَانظُر أن لا تَبدَأَ أمراً حَتّى تُشاوِرَني غُدُوّا وعَشِيّا مَعَ كُلِّ غادٍ ورائِحٍ، وَالسَّلامُ.

قالَ: وكانَ عُبَيدُ اللهِ بنُ زِيادٍ في كُلِّ وَقتٍ يَبعَثُ إلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ

ويَستَعجِلُهُ في قِتالِ الحُسَينِ «عليه السلام».

قالَ: وَالتَأَمَتِ العَساكِرُ إلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ لِستٍّ مَضَينَ مِنَ المُحَرَّمِ(١).

ونقول:

هناك اختلافات في عدد جيش يزيد الذي قاده عمر بن سعد لحرب الحسين «عليه السلام» في كربلاء.

كما أن هناك اختلافاً في النصوص في عدد الأصحاب والأنصار للإمام الحسين «عليه السلام»، ونحن نذكر هنا خلاصة من هذا وذاك، فنقول:

عدد أنصار الإمام الحسين ×:

إذا راجعنا النصوص والمصادر، فإننا نستخلص الأقوال التالية:

إن عددهم هو:

١ ـ إنهم ٦١ شخصاً. ونسب ذلك إلى الرواية، وفيها: «إن الله عز وجل انتصر وينتصر لدينه منذ أول الدهر إلى آخره بألف رجل.

فسئل عن تفصيلهم، فقال: ثلاثمأة وثلاثة عشر (رجلاً) أصحاب طالوت، وثلاثمأة وثلاثة عشر (رجلاً) أصحاب رسول الله «صلى الله

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٨٩ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٣٤٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٨٥ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٣٦.

عليه وآله» يوم بدر، وثلاثمأة وثلاثة عشر أصحاب القائم «عليه السلام»، بقي واحد وستون (هم) الذين قتلوا مع الحسين «عليه السلام» (في) يوم الطف»[١].

٢ ـ إنهم ٦٢ شخصاً[٢].

٣ ـ إنهم ٧٠ شخصاً[٣]. وهي عدة الرؤوس الشريفة التي حملت إلى الشام[٤].

٤ ـ إنهم ٧٢ شخصاً[٥] وهو عدة الرؤوس التي حملت إلى الشام

---

(١) إثبات الوصية ص٤١ ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص١٣٠ و ١٣١.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٤٣.

(٣) مختصر تاريخ دول الإسلام للذهبي ص٣١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٢٢٧ وتاريخ الكوفة ص٢٣٤ وأعيان الشيعة ج١ ص٦١٢

(٤) الفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٨٤٩ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٦٢ والعوالم، الإمام الحسين ص٣٠٧ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٣٥٨ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٣٢ و ٢٣٣ ولواعج الأشجان ص١٩٦.

(٥) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٤٣ والإرشاد ج٢ ص٩٥ و (ط دار المفيد) ج٢ ص١١٣ والأخبار الطوال ص٢٥٩ و ٢٥٦ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٨ وإعلام الورى ج١ ص٤٥٧ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج١ ص٤٧٠ ودلائل الإمامة ص١٧٨ وروضة الواعظين ص٢٠٣ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤٢٢ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣٤٩ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد

عند الطبري، وهو مروي عن الإمام الصادق «عليه السلام»، وفي زيارة الناحية أسماء هذا المقدار.

٥ ـ إنهم ٧٨ شخصاً[١]. وذكر في جواهر المطالب نفس الرواية،

(تحقيق السيد عبد العزيز الطباطبائي) ص٧٥ وتاريخ ابن الوردي ج١ ص١٦٤ ج١ ص١٦٤ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج٦ ص٢٦٣٠ و ٢٦٢٨ والبداية والنهاية ج٨ ص١٨ و ٢٠٥ وشرح الأخبار ج٣ ص١٥٥ وتاج المواليد (المجموعة) ص٣١ ولواعج الأشجان ص١٩٦ وأسد الغابة (ط دار الكتاب العربي) ج٢ ص٢١ وأنساب الأشراف (ط دار التعارف) ج٣ ص٢٠٥ والكامل في التاريخ ج٤ ص٨٠ ومثير الأحزان (ط المكتبة الحيدرية) ص٦٥ وعمدة القاري ج١٦ ص٢٤١ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٠٤ والدر النظيم ص٥٥٩ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٣٦٤ .

(١) حياة الحيوان للدميري ج١ ص٧٣ و (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٩٢ والإرشاد للمفيد ج٢ ص١١٨ ومثير الأحزان (ط المكتبة الحيدرية) ص٧٨ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٦٢ و ١٢٩ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٠٦ و ٤٣٠ وتاريخ مدينة دمشق ج١٨ ص٤٤٥ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٣٥١ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٤١ والكامل في التاريخ ج٤ ص٨٣ والأخبار الطوال ص٢٦٠ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج٨ ص٢٦٣١ و ٣٧٨٤ والوافي بالوفيات ج١٤ ص١٢٧ وأعيان الشيعة ج٧ ص٤٦ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢١٠ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٨٣١ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٦٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٦٦١ ولواعج الأشجان ص١٩٦ وراجع: الملهوف ص٨٥.

لكنه قال: تسعة عشر رجلاً من أهل بيته وستين رجلاً من شيعته[١].

٦ ـ إنهم ٨٢ شخصاً[٢].

٧ ـ إنهم ٨٤ شخصاً[٣].

٧ ـ إنهم ٨٧ شخصاً، وعدة من قتل من أصحاب عمر بن سعد ـ كما يقول المسعودي ـ ثمانية وثمانون رجلاً[٤].

لكن سبط ابن الجوزي ينسب إلى المسعودي: أنه قتل من أصحاب الحسين «عليه السلام» إحدى وثمانون نفساً[٥].

٨ ـ إنهم مئة شخص[٦].

---

(١) جواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص٢٧٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٨ ونور الأبصار ص٢٥٩ ومرآة الجنان ج١ ص١٣٣ وشذرات الذهب ج١ ص٦٧.

(٣) مدينة المعاجز ج٤ ص١٢٠.

(٤) راجع: تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص١١٠ ومروج الذهب ج٣ ص٦١ ـ ٦٣ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٦٢ و ٧٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٤١.

(٥) تذكرة الخواص ج٢ ص١٦١.

(٦) حياة الإمام الحسين للقرشي ج٣ ص١٢٦ عن تهذيب التهذيب (مخطوط) ج١ ص١٥٦. وفي تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٩٢ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٩٥ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج٦ ص٢٦٣٨ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٨٤ قريب من مائة رجل.

٩ ـ وقيل: هم مئة وعشرة أشخاص، ١٦ رجلاً من بني هاشم، وستة وتسعون منهم من سائر الناس(١).

لكن العدد على هذا يصير ١١٢ شخصاً.

١٠ ـ إنهم كانوا ١١٤ شخصاً(٢).

١١ ـ إنهم كانوا مئة وخمسة وأربعين شخصاً(٣).

١٢ ـ وقيل: كانوا سبعين فارساً ومئة راجل(٤).

١٣ ـ إنهم ست مئة شخص: خمس مئة فارس، ومئة راجل(٥).

ولعل هذا القول الأخير ناظر إلى العدد قبل تفرق الناس عنه

---

(١) راجع: الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين «عليه السلام».

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٤.

(٣) راجع: الملهوف ص٤٨ وتذكرة الخواص ج٢ ص١٦٠ ومثير الأحزان ص٥٤ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٤ والرد على المتعصب العنيد لابن الجوزي ص٣٧. وراجع: تهذيب الكمال ج٦ ص٤٢٧ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٣٠٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥٢٠ ولواعج الأشجان ص١٢٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٦٠١

(٤) راجع: تذكرة الخواص ج٢ ص١٦٠ عن المسعودي. وراجع: أعيان الشيعة ج١ ص٦٠١ ولواعج الأشجان ص١٢٢.

(٥) مروج الذهب ج٣ ص٧٠ و (منشورات دار الهجرة) ج٣ ص٦١. وفي بحار الأنوار ج٤٥ ص٧٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٤١ ألف فارس من أهل بيته وأصحابه، ونحو مائة راجل. ولا ندري أيهما الصحيح؟!

«عليه السلام»، حين سمعوا باستشهاد مسلم بن عقيل.

١٤ ـ أما الريشهري، فقد ذكر أسماء ١٥٤ شخصاً، قال: إنهم استشهدوا في كربلاء: منهم ٧٢ نفراً من أهل بيته، ومن أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»، ومن أصحاب علي «عليه السلام»[١] . والباقون من سائر الناس.

وذكر أيضاً: أنه يحتمل أن يكون من قال: بأن أصحابه «عليه السلام» كانوا إثنين وسبعين قد نظر إلى هؤلاء قبل أن يلتحق عشرون أو ثلاثون رجلاً بالحسين «عليه السلام» ليلة أو يوم عاشوراء.. كما أن بعض الشهداء لم يعدوا ضمن العسكر، مثل: علي بن الحسين (الأصغر)، وعبد الله بن الحسن، وأم وهب..

كما أن بعض من كان في عسكره «عليه السلام» لم يستشهد، مثل: الحسن المثنى، والضحاك بن عبد الله المشرقي[٢].

وأضاف ابن سعد في طبقاته إلى الناجين من بني هاشم: عمرو بن

---

(١) راجع: موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٤ ص٤٢٣ ـ ٤٣٣.

(٢) موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٤ ص١٠٠. وراجع: الملهوف (نشر أنوار الهدى) ص٨٦ وبحار الأنوار ج٤٥ ص١٠٨ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٧٧ ومقاتل الطالبيين ص٧٩ ولواعج الأشجان ص١٩٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٦١٣ وج٥ ص٤٤ وقاموس الرجال ج١١ ص٣٩ وراجع: تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٣٣٩ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١٥٥.

حسن بن علي، والقاسم بن عبد الله بن جعفر، ومحمد بن عقيل الأصغر(١).

وأضاف أبو الفرج الأصفهاني: زيد بن الحسن(٢).

وهناك من ذكر في الناجين من بني هاشم: محمد بن عمرو بن الحسن(٣).

حبيب يطلب المدد من قومه:

١ ـ قالوا: اِلتَأَمَتِ العَساكِرُ إلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ لِسِتٍّ مَضَينَ مِنَ المُحَرَّمِ. وأقبَلَ حَبيبُ بنُ مُظاهِرٍ الأَسَدِيُّ إلَى الحُسَينِ بنِ عَلِيٍّ «عليه السلام»، فَقالَ: هاهُنا حَيٌّ مِن بَني أسَدٍ بِالقُربِ مِنّي، أوَتَأذَنُ لي أن أسيرَ إلَيهِم أدعوهُم إلى نُصرَتِكَ؟! فَعَسَى اللهُ أن يَدفَعَ بِهِم عَنكَ بَعضَ ما تَكرَهُ!

فَقالَ لَهُ الحُسَينُ «عليه السلام»: قَد أذِنتُ لَكَ يا حَبيبُ.

---

(١) الطبقات الكبرى (تحقيق السيد عبد العزيز الطباطبائي) ص٧٧ و٧٨ وراجع: سير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٠٣.

(٢) مقاتل الطالبيين ص١١٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٧٩.

(٣) تسمية من قتل مع الحسين، للفضيل بن الزبير الكوفي (من أصحاب الإمامين الباقر والصادق «عليهما السلام») مطبوع في مجلة تراثنا السنة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ. العدد الثاني. وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٥٥ ص١٥ وأنساب الأشراف (ط دار التعارف) ج٣ ص١٩٣.

قالَ: فَخَرَجَ حَبيبُ بنُ مُظاهِرٍ في جَوفِ اللَّيلِ مُنكَراً (لعل الصحيح: متنكراً) حَتّى صارَ إلى أُولئِكَ القَومِ، فَحَيّاهُم وحَيَّوهُ، وعَرَفوا أنَّهُ مِن بَني أسَدٍ، فَقالوا: ما حاجَتُكَ يا ابنَ عَمٍّ؟

فَقالَ: حاجَتي إلَيكُم قَد أتَيتُكُم بِخَيرِ ما أتى بِهِ وافِدٌ إلى قَومٍ، أتَيتُكُم أدعوكُم إلى نُصرَةِ ابنِ بِنتِ رَسولِ اللهِ «صلى الله عليه وآله»؛ فَإِنَّهُ في عِصابَةٍ مِنَ المُؤمِنينَ، الرَّجُلُ مِنهُم خَيرٌ مِن ألفِ رَجُلٍ، لَن يَخذُلوهُ، ولَن يُسلِموهُ وفيهِم عَينٌ نَطَرَت.

وهذا عُمَرُ بنُ سَعدٍ قَد أحاطَ بِهِ فِي اثنَينِ وعِشرينَ ألفٍ (لعل الصحيح: ألفاً)، وأنتُم قَومي وعَشيرَتي، وقَد جِئتُكُم بِهذِهِ النَّصيحَةِ، فَأَطيعونِيَ اليَومَ في نُصرَتِهِ تَنالوا غَداً شَرَفاً فِي الآخِرَةِ؛ فَإِنّي اُقسِمُ بِاللهِ، أنَّهُ لا يُقتَلُ مِنكُم رَجُلٌ مَعَ ابنِ بِنتِ رَسولِ اللهِ «صلى الله عليه وآله» صابِراً مُحتَسِباً إلّا كانَ رَفيقَ مُحَمَّدٍ «صلى الله عليه وآله» في أعلى عِلِّيّينَ.

قالَ: فَوَثَبَ رَجُلٌ مِن بَني أسَدٍ يُقالُ لَهُ بِشرُ بنُ عُبَيدِ اللهِ، [عند الخوارزمي: عبد الله بن بشر] فَقالَ: وَاللهِ، أنَا أوَّلُ مَن أجابَ إلى هذِهِ الدَّعوَةِ: ثُمَّ أنشَأَ يَقولُ:

قَد عَلِمَ القَومُ إذا تَواكَلوا وأحجَمَ الفُرسانُ أو تَناصَلوا

أنّي شُجاعٌ بَطَلٌ مُقاتِلُ كَأَنَّني لَيثُ عَرينٍ باسِلُ

قالَ: ثُمَّ تَبادَرَ رِجالُ الحَيِّ مَعَ حَبيبِ بنِ مُظاهِرٍ الأسَدِيِّ.

قالَ: وخَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الحَيِّ في ذلِكَ الوَقتِ حَتّى صارَ إلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ في جَوفِ الَّليلِ، فَخَبَّرَهُ بِذلِكَ.

فَدَعا رَجُلاً مِن أصحابِهِ يُقالُ لَهُ: الأزرَقُ بنُ حَربٍ الصَّيداوِيُّ، فَضَمَّ إلَيهِ أربَعَةَ آلافِ فارسٍ، ووَجَّهَ بِهِ في جَوفِ اللَّيلِ إلى حَيِّ بَني أسَدٍ مَعَ الرَّجُلِ الَّذي جاءَ بِالخَبَرِ.

قالَ: فَبَينَمَا القَومُ في جَوفِ اللَّيلِ قَد أقبَلوا يُريدونَ مُعَسكَرَ الحُسَينِ «عليه السلام»، إذِ استَقبَلَهُم جُندُ عُمَرَ بنِ سَعدٍ عَلى شاطِئِ الفُراتِ، قالَ: فَتَناوَشَ القَومُ بَعضُهُم بَعضاً، وَاقتَتَلوا قِتالاً شَديداً، وصاحَ بِهِ حَبيبُ بنُ مُظاهِرٍ: وَيلَكَ يا أزرَقُ! ما لَكَ ولَنا؟ دَعنا!

قالَ: وَاقتَتَلوا قِتالاً شَديداً. فَلَمّا رَأى القَومُ ذلِكَ انهَزَموا راجِعينَ إلى مَنازِلِهِم.

فَرَجَعَ حَبيبُ بنُ مُظاهِرٍ إلَى الحُسَينِ «عليه السلام»، فَأَعلَمَهُ بِذلِكَ الخَبَرِ، فَقالَ: لا حَولَ ولا قُوَّةَ إلّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظيمِ(١).

٢ ـ قالَ حَبيبُ بنُ مُظَهَّرٍ لِلحُسَينِ «عليه السلام»: إنَّ هاهُنا حَيّاً مِن بَني أسَدٍ أعراباً يَنزِلونَ النَّهرَينِ، ولَيسَ بَينَنا وبَينَهُم إلّا رَوحَةٌ، أفَتَأذَنُ لي في إتيانِهِم ودُعائِهِم، لَعَلَّ اللهَ أن يَجُرَّ بِهِم إلَيكَ نَفعاً، أو يَدفَعَ

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٠ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٤٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٨٦ والعوالم، الإمام الحسين، ج١٧ ص٢٣٧ ولواعج الأشجان ص١٠٧.

عَنكَ مَكروهاً؟ فَأذِنَ لَهُ في ذلِكَ.

فَأَتاهُم، فَقالَ لَهُم: إنّي أدعوكُم إلى شَرَفِ الآخِرَةِ وفَضلِها، وجَسيمِ ثَوابِها، أنَا أدعوكُم إلى نَصرِ ابنِ بِنتِ نَبِيِّكُم، فَقَد أصبَحَ مَظلوماً، دَعاهُ أهلُ الكوفَةِ لِيَنصُروهُ، فَلَمّا أتاهُم خَذَلوهُ، وعَدَوا عَلَيهِ لِيَقتُلوهُ.

فَخَرَجَ مَعَهُم مِنهُم سَبعونَ.

وأتى عُمَرَ بنَ سَعدٍ رَجُلٌ مِمَّن هُناكَ يُقالُ لَهُ: جَبَلَةُ بنُ عَمرٍو، فَأَخبَرَهُ خَبَرَهُم، فَوَجَّهَ أزرَقَ بنَ الحارِثِ الصَّيداوِيَّ في خَيلٍ، فَحالوا بَينَهُم وبَينَ الحُسَينِ، ورَجَعَ ابنُ مُظَهِّرٍ إلَى الحُسَينِ، فَأَخبَرَهُ الخَبَرَ، فَقالَ: الحَمدُ للهِ كَثيراً(١).

ونقول:

لا بأس بالنظر إلى ما يلي:

١ ـ هل الذي أرسله عمر بن سعد هو الأزرق بن الحرث، أو الأزرق بن حرب، فقد اختلفت الرواية في ذلك، وتصحيف إحدى هاتين الكلمتين بالأخرى بسبب تشابه الرسم أمر متوقع.. ولا يهمنا تحقيق هذا الأمر..

٢ ـ تقول الرواية الأولى: إن الحسين «عليه السلام» حين سمع من حبيب ما جرى قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أما الرواية الثانية، فتقول: إنه «عليه السلام» قال: الحمد لله

(١) أنساب الأشراف ج٣ ص٣٨٨ و (ط دار التعارف) ج٣ ص١٨٠.

كثيراً..

ولا تعارض بين الروايتين، إذ لعله «عليه السلام» قد قال كلتا العبارتين، معقباً إحداهما بالأخرى..

٣ ـ إن ابن سعد قد أرسل أربعة آلاف مقاتل مع الأزرق الصيداوي لمواجهة سبعين رجلاً من بني أسد، وقد جرى بينهم قتال شديد، وقد وجد بنو أسد أنفسهم غير قادرين على الوصول إلى الإمام الحسين «عليه السلام» لنجدته، فاضطروا إلى الرجوع من حيث أتوا، ربما لأنهم أدركوا أنه إذا طلع عليهم الصباح، وهم في حالة اشتباك مع أربعة آلاف مقاتل، فقد يأتي أعداءهم المدد بما يضاعف عددهم أكثر من مرة، وبذلك يصبح الأسديون في خطر أكيد وشديد.

٤ ـ يلاحظ: أنه بالرغم من كل هذا القتال الشديد، فإن النصوص التي مرت بنا لم تتحدث عن قتلى، أو عن جرحى..

٥ ـ والأمر الأهم هنا: أن الحسين «عليه السلام» لم يمانع من ذهاب حبيب بن مظاهر إلى قومه ليطلب معونتهم، مع أنه يعلم بأن هذا الأمر إما أنه لا ينتهي إلى نتيجة، لأجل معرفته حتى بأسماء من يقتل معه في كربلاء.. أو أنه إذا استطاع حبيب أن يأتي بهذا العدد أو بضعفه، فإن نتيجة الحرب في كربلاء لن تتغير عما هي عليه.

ولعله «عليه السلام» أراد أن يجاري حبيب بن مظاهر، لكي لا يتوهم متوهم من الحاضرين أو من الآتين أنه «عليه السلام» قد قصَّر في البحث عن أنصار، فكانت النتيجة هي استشهاده ومن معه.

٦ ـ إن مجيء ذلك السفيه الغاوي (جبلة بن عمرو الأسدي) من منازل قومه إلى عمر بن سعد ليخبره بما رأى وسمع، ثم إرسال ابن سعد جيشاً ليأخذ الطريق عليهم يدل:

أولاً: على قرب المسافة بين منازل بني أسد وبين كربلاء.

ثانياً: إن فعل ذلك الرجل الأسدي يدل على خسة ونذالة ظاهره، لاسيما وأنه إنما يشي بقومه، ويعرضهم لخطر الانتقام منهم من قبل يزيد وبني أمية.

جيش يزيد لعنه الله:

وأما جيش يزيد «لعنه الله»، فقد اختلفت الكلمات والأقوال في تعداده. وهي كما يلي:

١ ـ ألف مقاتل(١).

٢ ـ أربعة آلاف(٢). ولم يشر إلى الجيش الذي كان مع الحر، ولا إلى غيره.

---

(١) نور الأبصار (ط ونشر مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني بمصر) ص١٣٠ وراجع: عمدة القاري ج٧ ص١٥٦ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج١٦ ص٢٤٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٤٣ وتاريخ الخلفاء ص٢٤٧. وراجع: بغية الطلب في تاريخ حلب ج٦ ص٢٦٢٥ وتاريخ مختصر الدول ص١١٠ وتاريخ الإسلام ج٥ ص١٣ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٣٦٤.

٣ ـ ستة آلاف(١).

٤ ـ ثمانية آلاف(٢).

٥ ـ إثنا عشر ألفاً(٣). ولعل قول صاحب الدر النظيم: اثنا عشر ألفاً بالإضافة إلى جيش الحر.

٦ ـ أربعة عشر ألفاً(٤).

٧ ـ ستة عشر ألفاً(٥).

٨ ـ عشرون ألفاً(٦) حتى اليوم السادس من المحرم.

---

(١) تذكرة الخواص ج٢ ص١٦١ وحياة الإمام الحسين للقرشي ج٣ ص١٢١ عن الصراط السوي في مناقب آل النبي ص٨٧ وتاريخ أبي الفداء ج١ ص١٩٠.

(٢) حياة الإمام الحسين بن علي ج٣ ص١٢٠ عن مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ص٩٢.

(٣) الدر النظيم ص٥٥١. وراجع: الأمالي للصدوق ص٢١٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣١٥ والعوالم، الإمام الحسين ص١٦٤ ولم تشر هذه المصادر إلى جيش الحر.

(٤) دلائل الإمامة ص١٧٨.

(٥) الدر النظيم ص٥٥١.

(٦) الفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٨١٩ و ٧٦٥ ومرآة الزمان ج١ ص١٣٢ والصواعق المحرقة ص١٩٧ وموسوعة الإمام الحسين ج٤ ص١٠١ عن الملهوف ص١٤٥ و (نشر أنوار الهدى) ص٥٢ وعن مثير

٩ ـ إثنان وعشرون ألفاً[١].

١٠ ـ خمسة وعشرون ألفاً[٢].

١١ ـ ثمانية وعشرون ألفاً[٣].

١٢ ـ ثلاثون ألفاً[٤] كما روي عن الأئمة «عليهم السلام».

الأحزان ص٥٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٣٦ وعن كشف الغمة ج٢ ص٢٩٢ و ٢٥٩ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص٢٥٨ ومطالب السؤول ص٧٢ و٧٥ و (تحقيق ماجد العطية) ص٣٨١ ولواعج الأشجان ص١٠٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٦٢٩.

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٠ و ١٠١ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٤٢ و ٢٤٣ وج٢ ص٤ ومطالب السؤول ص٧٥ و (تحقيق ماجد العطية) ص٤٠٠ ومرآة الزمان ج١ ص١٣٢ وشذرات الذهب ج١ ص٦٧ وكشف الغمة ج٢ ص٢٥٩ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص٢٥٨ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٨٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٦٩٩.

(٢) راجع: مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٨.

(٣) إثبات الوصية ص١٤١.

(٤) الأمالي للصدوق ص١٧٧ و ٥٤٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٩٨ و ٣٨٦ وج٤٥ ص٢١٨ وج٢٢ ص٢٧٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٥٤ و ٣٤٩ و ٤٦٠ والملهوف ص١٧٠ و (نشر أنوار الهدى) ص١٩ ومثير الأحزان ص٧٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ص١٣ ولواعج الأشجان ص١٠٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٤٣٠ و ٥٩٨ ومقتل الحسين لأبي مخنف

١٣ ـ واحد وثلاثون ألفاً[١]. بإضافة جيش الحر.

١٤ ـ خمسة وثلاثون ألفاً.

ولكنه حين يذكر القادة، ومن كانوا تحت إمرتهم يقتصر على خمسة وعشرين ألفاً[٢]. ولعله لم يطلع على أسماء بقية القادة، وأعداد من كانوا تحت إمرتهم.

١٥ ـ أربعون ألفاً[٣].

١٦ ـ خمسون ألفاً[٤].

١٧ ـ ستة وخمسون ألفاً[٥].

١٨ ـ سبعون ألفاً[٦].

ص١٧٦ وإبصار العين ص٥٧ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٣٨ وذوب النضار ص٢٧ ومدينة المعاجز ج٣ ص٣٩٤ والمجالس الفاخرة ص١١٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص١٦٤.

(١) عمدة الطالب ص١٩٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٨.

(٣) نور العين في مشهد الحسين ص٢٣ وينابيع المودة ج٣ ص٦٦.

(٤) شرح شافيه أبي فراس ج١ ص٩٣ وحياة الإمام الحسين ج٣ ص١٢٠.

(٥) الهداية الكبرى للخصيبي ص٢٠٢.

(٦) بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٠٥ و ٣٠٦ ومدينة المعاجز ج٤ ص٦٢ و ٦٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٥٩٣.

١٩ ـ ثمانون ألفاً(١).

٢٠ ـ مئة ألف(٢).

آلة الحرب وعدد المحاربين:

وعن آلة الحرب وعدد المحاربين، نقول:

١ ـ تقدم عن بعض المصادر: أن أصحاب الحسين «عليه السلام» ونعني المقاتلين منهم كانوا اثنين وثلاثين فارساً، وأربعين راجلاً، أو خمسين راجلاً. وقيل: كانوا مئة راجل، وخمسة وأربعين فارساً، وقيل غير ذلك. ولم يكن لهم مدد، ولا أمل بأحد غير الله تعالى.

٢ ـ وتقدم أيضاً قولهم: إنه لم يكن لهم من السلاح إلا السيف والرمح. غير أن أحداث يوم عاشوراء تدل على أنه كان لدى بعض أنصاره «عليه السلام» بعض السهام أيضاً. ولكنه لم يصل إلى حد أن يعد ذلك من أسلحة تلك الجماعة.

أما جيش يزيد، فكان من حيث العدد ـ كما رأينا ـ يعد بالألوف، بل بعشرات الألوف، حتى إن بعض الأرقام قد بلغت إلى الثمانين ألفاً، بل إلى المئة ألف..

ونحن لا نرى: أن هذه الأرقام خيالية، فقد تقدم: أن بعض أهل

---

(١) تحفة الأزهار لابن شدقم.

(٢) حديقة الشيعة للأردبيلي ص٥٠٠.

الكوفة قد كتب إلى الإمام الحسين «عليه السلام»: أن لك ها هنا مئة ألف سيف، فلا تتأخر[١].

فإذا كان للإمام الحسين مئة ألف سيف في الكوفة، فإن لبني أمية بها قسماً كبيراً قد يعد بعشرات الألوف أيضاً، فكيف إذا انضم إليهم المئة ألف سيف الذين كتبوا إلى الإمام، حيث نقضوا عهدهم، وانحازوا إلى يزيد؟!

ومهما يكن من أمر، فقد يمكن ترجيح القول بأن المباشرين لحرب الحسين «عليه السلام» والحاضرين في الميدان كانوا ثلاثين ألفاً. وكانت هناك ألوف أخرى غير هؤلاء، منتشرة في مفارق الطرق، وحول الكوفة نفسها لمنع أي تسرب للمقاتلين في أي اتجاه، ما عدا اتجاه المعركة، في كربلاء للالتحاق بابن سعد، وتأمين المدد القريب له، إن احتاج إليه أيضاً.

ويشهد لما نقول:

ألف: ما روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»، عن أبيه عن

(١) الإرشاد للمفيد ج٢ ص٦٩ و (ط دار المفيد) ج٢ ص٧١ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٢٠ ولواعج الأشجان ص٣٥ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٩ والمجالس الفاخرة ص٢١٧ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٢١٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٧٠.

جده، من أن الإمام الحسن «عليه السلام» قال لأخيه الحسين «عليه السلام»:

«..ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله! يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، يدَّعون أنهم من أمة جدنا محمد «صلى الله عليه وآله»، وينتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك، وسفك دمك الخ..»(١).

ب: عن الإمام السجاد «عليه السلام» أنه قال: لا يوم كيوم الحسين «عليه السلام» إزدلف عليه ثلاثون ألف رجل، يزعمون أنهم من هذه الأمة، كل يتقرب إلى الله عز وجل بدمه! وهو بالله يذكرهم، فلا يتعظون، حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً(٢).

---

(١) الأمالي للصدوق ص١٠١ و (ط مؤسسة البعثة) ص١٧٧ المجلس رقم ٢٤ وموسوعة الإمام الحسين ج٢ ص٣٣٣ عنه، وعن الملهوف (نشر أنوار الهدى) ص١٩ ومثير الأحزان ص٢٣٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ص١٣ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٨٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٣٨ عن الإمام الصادق، وبحار الأنوار ج٤٥ ص٢١٨ وذوب النضار ص٢٧ ومدينة المعاجز ج٣ ص٣٩٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٥٤ و ٤٥٩.

(٢) الأمالي للصدوق ص٣٧٣ و ٣٧٤ و (ط مؤسسة البعثة) ص٥٤٧ المجلس رقم ٧٠ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٢٧٤ وج٤٤ ص٢٩٨ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٤٨ وأعيان الشيعة ج٧ ص٤٣٠ وإبصار العين ص٥٧.

غير أن قوله: كل يتقرب إلى الله عز وجل بدمه. يحتاج إلى بيان، فقد يقال: إن أكثر ذلك الجيش كانوا يعلمون أنهم معتدون وظالمون، ولكن حب الدنيا قد غلب عليهم. فكيف يكون جميعهم يتقرب إلى الله بدم الحسين؟!

ويجاب:

بأن النص المتقدم برقم [ألف] عن الإمام الحسن «عليه السلام» مروي عن الإمام السجاد «عليه السلام» أيضاً، فلعلهما نص واحد، ولم تذكر في النص الأول هذه الفقرة المشكلة.

أو يقال: إن جميع ذلك الجيش كان يظهر التقرب إلى الله تعالى فيما يفعل، لو سئل أي منهم عن ذلك، وإن كان في قرارة نفسه يعرف أنه عاص لله سبحانه.

ومن الواضح: أن المجرم يحاول أن يلتمس لنفسه الأعذار مهما كانت واهية لتبرير جريمته مهما عظمت، وقد كان جميع أفراد ذلك الجيش يدعون أنهم ملزمون بالوفاء ببيعتهم ليزيد، ويدعون أن الحسين خارج على إمامهم، وإن كانوا في قرارة أنفسهم يعرفون الحق، ثم يجحدونه..

أما دعوى: أن جل أهل الكوفة كانوا مكرهين على قتال الحسين «عليه السلام» فلا مجال لتأييدها، فقد كان بإمكانهم حين وصلوا إلى كربلاء أن يفعلوا كما فعل الحر الرياحي، وثلاثون آخرون، خرجوا من بينهم في يوم عاشوراء، أو في ليلته، والتحقوا بالحسين «عليه

السلام»، واستشهدوا معه. فلو أن شطراً من ذلك الجيش فعلوا ذلك لتغير مسار الأمور..

سوق الحدادين:

أما فيما يرتبط بالسلاح لذلك الجيش، فمن المعلوم: أن بيوت الأموال كانت في أيديهم، فلم يكن لديهم أية مشكلة فيما يرتبط بالأموال التي تشترى بها الأسلحة على أنواعها، ويكفي أن نذكر هنا ما ورد في بعض المؤلفات، وفيها:

إنه في اليوم السادس من المحرم كان سوق الحدادين بالكوفة قائماً على ساق. لهم وهج، ورهج، ووجبة وجلبة، فكل من تلقاه إما أن يشتري سيفاً، أو رمحاً، أو سهاماً، أو سناناً، ويحددها عند الحداد، وينقعها بالسم لإراقة دم ريحانة الرسول، ومهجة فؤاد البتول.

وكانت السهام كلها مسمومة، وبعضها ذو شعبة أو شعبتين، وبعضها ذو ثلاث شعب(١).

وقال العلامة الشيخ باقر شريف القرشي: يحدثنا المؤرخون عن ضخامة ذلك الاستعداد، فقالوا:

إن الحدادين وصانعي أدوات الحرب في الكوفة يعملون نهاراً في بري النبال، وصقل السيوف، في مدة كانت تربو على عشرة أيام(٢).

---

(١) وسيلة الدارين في أنصار الحسين للسيد إبراهيم الزنجاني ص٧٨.

(٢) حياة الإمام الحسين بن علي ج٣ ص١٢٤.

أهل الشام في جيش ابن سعد:

قال بعض المؤرخين: إنه لم يحضر واقعة كربلاء لمحاربة الإمام الحسين «عليه السلام» أحد من أهل الشام، بل كان جميعهم من أهل الكوفة(١).

ونقول:

إن النصوص لا تؤيد ذلك، فإن وجود حامية من أهل الشام في الكوفة أمر طبيعي، ولاسيما مع معرفة الأمويين بوجود تعاون وتعاطف بين أهل الكوفة وبين آل علي. فلا يتركون ولاتهم بلا حماية مناسبة لهم في محيط كهذا.

ويشهد لذلك:

١ ـ ما تقدم معنا عن ابن شهرآشوب حيث قال: وبعث شمر بن ذي الجوشن السلولي في أربعة آلاف من أهل الشام(٢).

٢ ـ تقدم قول ابن أعثم: إن ابن زياد خطب الناس بالكوفة: ثم نزل عن المنبر، ووضع لأهل الشام العطاء، فأعطاهم، ونادى فيهم بالخروج إلى عمر بن سعد، ليكونوا أعواناً له على قتال الحسين

---

(١) مروج الذهب ج٣ ص٦١ وتذكرة الخواص ج٢ ص١٦١ وبحار الأنوار ج ٤٥ ص ٧٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٣٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٨. وراجع: الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٨٩.

«عليه السلام» الخ..[١].

٣ ـ ذكر ابن شهرآشوب: أن الحسين «عليه السلام» حمل على قاتل القاسم بن الحسن، فقطع يده، وسلبه أهل الشام من يد الحسين[٢].

٤ ـ روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» قوله: تاسوعاء يوم حوصر فيه الحسين «عليه السلام» وأصحابه «رضي الله عنهم» بكربلاء، واجتمع عليه خيل أهل الشام، وأناخوا عليه[٣].

٥ ـ روى الصدوق قال: وأقبل عدو الله سنان بن أنس الأيادي، وشمر بن ذي الجوشن العامري في رجال من أهل الشام حتى وقفوا على رأس الحسين «عليه السلام»، فقال بعضهم لبعض: ما تنتظرون؟ أريحوا الرجل[٤].

٦ ـ وهناك عدة حوادث تذكر في كربلاء، وتنسب إلى رجل شامي، مثل:

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٨٩ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٣٤٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٨٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص١٠٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٥٥.

(٣) الكافي ج٤ ص١٤٧ وروضة المتقين ج٣ ص٢٤٨ والوافي ج١١ ص٧٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٠ ص٤٦٠ و (الإسلامية) ج٧ ص٣٣٩ ومرآة العقول ج١٦ ص٣٦٢ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٢٤.

(٤) الأمالي للصدوق ص١٣٨ و (ط مؤسسة البعثة) ص٢٢٦ المجلس رقم ٣٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٢ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٧١.

ألف: أن شامياً عرض على علي الأكبر الأمان. فرفض ذلك، ثم كر عليه الخ..[١].

وفي هذه الرواية إشكال لأنها تقول: إن أم علي الأكبر هي آمنة بنت أبي مرة ابن عروة بن مسعود.. مع أن الآخرين يذكرون: أن اسمها ليلى. إلا أن يكون أحدهما اسماً والآخر لقباً. أو يكون هنا اشتباه من الراوي.

ب: حديث الشامي الذي احتمل الإمام السجاد من مجلس عمر بن سعد، رواه القاضي النعمان[٢].

ج: روي: أن رجلاً شامياً رأى عبد الله بن حسن بن علي ـ وكان من أجمل الناس ـ فقال: لأقتلن هذا الفتى[٣].

وبعدما تقدم نقول:

إذن، لا مجال للقول: بأن المراد بـ «أهل الشام» هو التبعية للشام

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (تحقيق السيد عبد العزيز الطباطبائي) ص٧٣ وسر السلسلة العلوية ص٣٠ والشجرة المباركة في أنساب الطالبية ص٧٢.

(٢) شرح الأخبار ج٣ ص١٥٦.

(٣) الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج٢ ص٦ و (تحقيق الشيري) ج٢ ص١٢ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص٢٦٩ والعقد الفريد ج٥ ص١٢٥.

في الولاء وفي الانقياد، إذ لامانع من أن تكون هناك كتيبة أو أكثر مكونة من أهل الشام. وقد شاركت في ذلك القتال.

بل إن من المحتمل أن يكون يزيد قد أرسل من الشام قوة خصيصاً لمعونة ابن زياد على قتال الحسين «عليه السلام».

وكان ابن زياد يتوعد أهل الكوفة بوصول جيش الشام.

ولا يمكن الجزم بعدم حصول ذلك لمجرد عدم ذكره في المصادر التي بين أيدينا، فإن ثمة حرصاً على الهيمنة على الرواة، وعدم إعطاء أية فرصة للآخرين لإحداث أية بلبلة.

وربما كان اختلاط الفريق الشامي، وهو الأقل عدداً بفريق الكوفة الأكثر عدداً قد دعا بعض الرواة إلى التنصيص على شامية من فعل هذا الفعل أو ذاك..

ولعل الآخرين لم يجدوا كبير فائدة بالتنصيص المذكور، فأطلقوا كلامهم، فعدم ذكر بعضهم خصوصية بعض الكتائب من الناحية الجغرافية، لا يدل على أن من ذكرها قد أخطأ أو افترى فيما قال. فكيف إذا تكرر ذكر هذه الخصوصية في أكثر من مورد، وأكثر من مناسبة.

كما أن كون غالبية الجيش كانت من أهل الكوفة قد يدعو، بني أمية إلى الحذر من جعل القيادة لأي من أهل الشام لوجود الحساسية المفرطة، بين أهل الشام وأهل العراق، وخصوصاً أهل الكوفة، ولاسيما بعد حرب صفين.

الفصل السادس:

سياسة سحب الذرائع..

رسول ابن سعد إلى الحسين:

عن عمّار بن عبد الله بن يسار الجهني: أقبَلَ [عُمَرُ بنُ سَعدٍ] في أربَعَةِ آلافٍ حَتّى نَزَلَ بِالحُسَينِ «عليه السلام» مِنَ الغَدِ مِن يَومِ نَزَلَ الحُسَينُ «عليه السلام» نِينَوى.

قالَ: فَبَعَثَ عُمَرُ بنُ سَعدٍ إلَى الحُسَينِ «عليه السلام» عَزرَةَ بنَ قَيسٍ الأحمَسِيَّ، فَقالَ: اِيتِهِ فَسَلهُ مَا الَّذي جاءَ بِهِ؟ وماذا يُريدُ؟

وكانَ عَزرَةُ مِمَّن كَتَبَ إلَى الحُسَينِ «عليه السلام»، فَاستَحيى مِنهُ أن يَأتِيَهُ.

قالَ: فَعَرَضَ ذلِكَ عَلَى الرُّؤَساءِ الَّذينَ كاتَبوهُ، فَكُلُّهُم أبى وكَرِهَهُ.

قالَ: وقامَ إلَيهِ كَثيرُ بنُ عَبدِ اللهِ الشَّعبِيُّ ـ وكانَ فارِساً شُجاعاً، لَيس يَرُدُّ وَجهَهُ شَيءٌ ـ فَقالَ: أنَا أذهَبُ إلَيهِ، وَاللهِ، لَئِن شِئتَ لَأَفتِكَنَّ بِهِ.

فَقالَ لَهُ عُمَرُ بنُ سَعدٍ: ما أُريدُ أن يُفتَكَ بِهِ، ولكِنِ ائتِهِ فَسَلهُ مَا الَّذي جاءَ بِهِ؟

قالَ: فَأَقبَلَ إلَيهِ، فَلَمّا رَآهُ أبو ثُمامَةَ الصّائِدِيُّ، قالَ لِلحُسَينِ «عليه السلام»: أصلَحَكَ اللهُ أبا عَبدِ اللهِ! قَد جاءَكَ شَرُّ أهلِ الأَرضِ، وأجرَؤُهُ

عَلى دَمٍ وأفتَكُهُ.

فَقامَ إلَيهِ، فَقالَ: ضَع سَيفَكَ.

قالَ: لا وَاللهِ، ولا كَرامَةَ، إنَّما أنَا رَسولٌ، فَإِن سَمِعتُم مِنّي أبلَغتُكُم ما أُرسِلتُ بِهِ إلَيكُم، وإن أبَيتُمُ انصَرَفتُ عَنكُم.

فَقالَ لَهُ: فَإِنّي آخِذٌ بِقائِمِ سَيفِكَ، ثُمَّ تَكَلَّم بِحاجَتِكَ.

قالَ: لا وَاللهِ، لا تَمُسُّهُ.

فَقالَ لَهُ: أخبِرني ما جِئتَ بِهِ وأنَا أُبلِغُهُ عَنكَ، ولا أدَعُكَ تَدنو مِنهُ، فَإِنَّكَ فاجِرٌ.

قالَ: فَاستَبّا.

ثُمَّ انصَرَفَ إلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ فَأَخبَرَهُ الخَبَرَ.

قالَ: فَدَعا عُمَرُ قُرَّةَ بنَ قَيسٍ الحَنظَلِيَّ، فَقالَ لَهُ: وَيحَكَ يا قُرَّةُ! اِلقَ حُسَيناً فَسَلهُ ما جاءَ بِهِ؟ وماذا يُريدُ؟

قالَ: فَأَتاهُ قُرَّةُ بنُ قَيسٍ، فَلَمّا رَآهُ الحُسَينُ «عليه السلام» مُقبِلاً قالَ: أتَعرِفونَ هذا؟

فَقالَ حَبيبُ بنُ مُظاهِرٍ: نَعَم، هذا رَجُلٌ مِن حَنظَلَة تَميمِيٌّ، وهُوَ ابنُ اُختِنا، ولَقَد كُنتُ أعرِفُهُ بِحُسنِ الرَّأيِ، وما كُنتُ أراهُ يَشهَدُ هذَا المَشهَدَ، فَجاءَ حَتّى سَلَّمَ عَلَى الحُسَينِ «عليه السلام»، وأبلَغَهُ رِسالَةَ عُمَرَ بنِ سَعدٍ إلَيهِ لَهُ.

فَقالَ الحُسَينُ «عليه السلام»: كَتَبَ إلَيَّ أهلُ مِصرِكُم هذا أن أقدَمَ، فَأَمّا إذ كَرِهوني فَأَنَا أنصَرِفُ عَنهُم.

قالَ: ثُمَّ قالَ لَهُ حَبيبُ بنُ مُظاهِرٍ: وَيحَكَ يا قُرَّةَ بنَ قَيسٍ! أنّى تَرجِعُ إلَى القَومِ الظّالِمينَ! أنصُر هذَا الرَّجُلَ الَّذي بِآبائِهِ أيَّدَكَ اللهُ بِالكَرامَةِ وإيّانا مَعَكَ.

فَقالَ لَهُ قُرَّةُ: أرجِعُ إلى صاحِبي بِجَوابِ رِسالَتِهِ، وأرى رَأيي.

قالَ: فَانصَرَفَ إلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ، فَأَخبَرَهُ الخَبَرَ، فَقالَ لَهُ عُمَرُ بنُ سَعدٍ: إنّي لَأَرجو أن يُعافِيَنِي اللهُ مِن حَربِهِ وقِتالِهِ(١).

ونقول:

لا بأس بالنظر إلى ما يلي:

ابن سعد يخشى العواقب:

إن كراهة ابن سعد لقتال الحسين «عليه السلام» لم تكن عن ورع وخوف من الله، وقد أظهرت الأحداث اللاحقة هذا المعنى بما لا مجال للشك فيه، بل لو كان الحسين في مكة أو في المدينة، ثم قيل لابن

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤١٠ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١٠ و ٣١١ وموسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٨٦ وفيه: «فلان بن عبد الله السَّبيعِيُّ» بدل: كَثيرُ بنُ عَبدِ اللهِ الشَّعبِيُّ. ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٤٠ والإرشاد ج٢ ص٨٤ وروضة الواعظين ص١٩٩ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٨١ وفي الأخيرين: عُروَةَ بنَ قَيسٍ، وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٨٤ وراجع: أنساب الأشراف ج٣ ص٣٨٦ وراجع: إعلام الورى ج١ ص٤٥١ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٩٥ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٣٤.

سعد: إن ذهبت إليه، وقتلته، ولنياك الري، فقد يبادر إلى ذلك، ولربما قتله حتى وهو متعلق بأستار الكعبة.

والحقيقة هي: أن سبب تردد ابن سعد في قتال الحسين «عليه السلام»: هو أن ابن سعد كان يخشى من عواقب قتل الحسين «عليه السلام».

لا حياء من الحسين، بل خوف من السلطان:

أما القول بأن امتناع الذين كاتبوا الإمام الحسين بالقدوم عليهم عن اللقاء به «عليه السلام» كان حياءً منهم، فإنما هو مجرد استنتاج من الرواة. ناشئ عن الرغبة في إعطاء أولئك المخذولين بعض صفات الرجولة، والتصدق عليهم ببعض الفتات المغموس بالأقذار والقبائح..

مع أن من لا يخجل من مواجهة الحسين في الميدان وقتاله، وقتله هو وأصحابه، هل يخجل من مواجهته لدقائق معدودة يطرح فيها عليه سؤالاً، ويسمع منه جوابه عليه؟!

وأليس الأقرب إلى الاعتبار، والإنصاف: إبداء احتمال أن يكونوا قد خافوا من أن تجري الأمور في غير صالحهم، حين يعاتبهم الإمام «عليه السلام» على هذا الموقف المتناقض؟! فهم يكاتبونه، ثم يحاربونه. وإذا تأكد حكامهم من صحة هذا الأمر، فلا يوجد ضمان من أن يكون حسابهم لهم مريراً وعسيراً..

وقد رأينا: أن الحسين «عليه السلام» حين ذكرهم في يوم عاشوراء بكتبهم إليه أنكروها وقالوا: لم نفعل.

فقال لهم الحسين «عليه السلام»: سبحان الله، بلى والله لقد فعلتم(١).

قرة بن قيس مخذول:

وقد قال حبيب بن مظاهر «رحمه الله» عن قرة بن قيس: إنه كان يعرفه بحسن الرأي.

غير أننا نقول:

إن ظهور الحق له، ثم إصراره على البقاء في جيش يزيد، وقتاله للحسين «عليه السلام»، قد جعله يهوي إلى أسفل سافلين في الدنيا والآخرة، فإن من عرف الحق ثم عانده، وحارب أهله، وقتلهم، وهم أهل بيت النبي، وفيهم الإمامة والعلم والتقى، والفضل والطهارة ـ إن من يفعل ذلك ـ إيثاراً منه للدنيا، يكون ذنبه أعظم، وعقابه أشد، من عقاب الجاهل الطامع، أو الطامح.

ويلاحظ: أن الحر حين أراد أن يلتحق بالحسين «عليه السلام» قد حاول إبعاد قرة بن قيس هذا عن موقفه، فأشار عليه أن يذهب ليسقي

(١) تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٣٢٣ والدر النظيم ص١٦٩ وحياة الإمام الحسين للقرشي ج٣ ص١٨٧ عنهما. ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١١٨ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٤١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٦٢٢ وج٢٧ ص١٤١ و ١٤٣ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص٥٣.

فرسه. ثم همز الحر فرسه وصار إلى الحسين «عليه السلام».

فقال قرة بعد ذلك: والله لو أن الحر أطلعني على مراده لخرجت معه إلى الحسين.

وهو كاذب في كلامه هذا، فقد كان بإمكانه أن يفعل كما فعل الحر، وكما فعل ثلاثون رجلاً آخرون كانوا في جيش ابن سعد، وتركوه، والتحقوا بالحسين «عليه السلام».

ويلاحظ أيضاً: أن من دلائل خذلان قرة هذا: أنه كان على رأس مئة رجل من الأزد تولوا حراسة عبيد الله بن زياد في مسيره، عندما هرب من البصرة إلى الشام، وكان الذي أوكل إليهم هذه المهمة هو مسعود بن عمرو الأزدي(١).

لا مبرر لهذه الجيوش:

وقد جاء جواب الإمام «عليه السلام» لابن سعد، من خلال رسوله قرة بن قيس في غاية الدقة، وقد جعل هذا الجواب ابن زياد، وبني أمية، وكل من جاء لحربه في موقف الحرج والمهانة، حيث لم يترك لهم أية ذريعة أو فرصة تبرر لهم العدوان عليه، وتجييش كل هذه الجيوش لقتاله.. فقد قال لهم: إن أهل مصرهم هم الذين طلبوا منه

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٥٢١ و ٥٢٢ وراجع ص٥٢٥ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٤٠٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٩ ص٣١٠ والكامل في التاريخ ج٤ ص١٣٩.

أن يقدم عليهم، ولم يأت إليهم باقتراح منه، فإذا كانوا قد كرهوا مجيئه إليهم، فإنه ينصرف عنهم، ولم يكن ليكرههم على أمر لا يريدونه. إذن ما هو المبرر لهذا الحشد الهائل للجيوش؟! ولماذا يطلبون منه القدوم عليهم، ثم يأتون لحربه؟!

فالذنب في قدومه على من دعاه، وهم في جيش عمر بن سعد، بل لعلهم كانوا عمدة ذلك الجيش. فإذا أصروا على حربه كانوا هم البغاة والمعتدين عليه على أي حال..

في الشعير كفاية:

وذكروا أيضاً ما يلي:

١ ـ أرسَلَ الحُسَينُ «عليه السلام» إلَى ابنِ سَعدٍ: إنّي أُريدُ أن أُكَلِّمَكَ، فَالقَنِي اللَّيلَة بَينَ عَسكَري وعَسكَرِكَ. فَخَرَجَ إلَيهِ عُمَرُ بنُ سَعدٍ في عِشرينَ فارِساً، وَالحُسَينُ «عليه السلام» في مِثلِ ذلِكَ.

ولَمَّا التَقَيا أمَرَ الحُسَينُ «عليه السلام» أصحابَهُ، فَتَنَحَّوا عَنهُ، وبَقِيَ مَعَهُ أخوهُ العَبّاسُ «عليه السلام»، وَابنُهُ عَلِيٌّ الأَكبَرُ، وأمَرَ ابنُ سَعدٍ أصحابَهُ، فَتَنَحَّوا عَنهُ، وبَقِيَ مَعَهُ ابنُهُ حَفصٌ، وغُلامٌ لَهُ يُقالُ لَهُ لاحِقٌ.

فَقالَ الحُسَينُ «عليه السلام» لِابنِ سَعدٍ: وَيحَكَ! أما تَتَّقِي اللهَ الَّذي إلَيهِ مَعادُكَ؟ أتُقاتِلُني وأنَا ابنُ مَن عَلِمتَ يا هذا؟ [في الفتوح: من رسول الله «صلى الله عليه وآله»] ذَر هؤُلاءِ القَومَ، وكُن مَعي؛ فَإِنَّهُ أقرَبُ لَكَ مِنَ اللهِ.

فَقالَ لَهُ عُمَرُ: أخافُ أن تُهدَمَ داري!

فَقالَ الحُسَينُ «عليه السلام»: أنَا أبنيها لَكَ.

فَقالَ عُمَرُ: أخافُ أن تُؤخَذَ ضَيعَتي!

فَقالَ: أنَا أُخلِفُ عَلَيكَ خَيراً مِنها مِن مالي بِالحِجازِ.

فَقالَ: لي عِيالٌ أخافُ عَلَيهِم.

فَقالَ: أنَا أضمَنُ سَلامَتَهُم.

قالَ: ثُمَّ سَكَتَ فَلَم يُجِبهُ عَن ذلِكَ. [في الفتوح: فَلَم يُجِبْ عُمَرُ إلى شَيءٍ مِنْ ذلِكَ].

فَانصَرَفَ عَنهُ الحُسَينُ «عليه السلام» وهُوَ يَقولُ: ما لَكَ ذَبَحَكَ اللهُ عَلى فِراشِكَ سَريعاً عاجِلاً، ولا غَفَرَ لَكَ يَومَ حَشرِكَ ونَشرِكَ! فَوَاللهِ، إنّي لَأَرجو أن لا تَأكُلَ مِن بُرِّ العِراقِ إلّا يَسيراً.

فَقالَ لَهُ عُمَرُ [عند ابن شهرآشوب: مُستَهزِئاً]: يا أبا عَبدِ اللهِ، فِي الشَّعيرِ عِوَضٌ عَنِ البُرِّ! ثُمَّ رَجَعَ عُمَرُ إلى مُعَسكَرِهِ.

زاد ابن شهرآشوب قوله: فكان كما قال؛ لَم يَصِل إلَى الرَّيِّ، وقَتَلَهُ المُختارُ(١).

---

(١) راجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٤٥ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٢ و ٩٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٨٨ وج٤٥ ص٣٠٠ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٣٩ و ٦١٣ و ٦٢٢ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٥٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢١٣ ولواعج الأشجان ص١١٣.

٢ ـ قالَ أبو مِخنَفٍ: حَدَّثَني أبو جَنَابٍ، عَن هانِئِ بن ثُبَيتٍ الحَضرَمِيِّ ـ وكانَ قَد شَهِدَ قَتلَ الحُسَين «عليه السلام» ـ قالَ: بَعَثَ الحُسَينُ «عليه السلام» إلى عُمَرَ بن سَعدٍ عَمرَو بنَ قَرَظَةَ بن كَعبٍ الأنصاريَّ: أنِ القَنِي اللَّيلَ بَينَ عَسكَري وعَسكَرِكَ.

قالَ: فَخَرَجَ عُمَرُ بنُ سَعدٍ في نَحوٍ مِن عِشرينَ فارِساً، وأقبَلَ حُسَينٌ «عليه السلام» في مِثلِ ذلِكَ، فَلَمَّا التَقَوا أمَرَ حُسَينٌ «عليه السلام» أصحابَهُ أن يَتَنَحَّوا عَنهُ، وأمَرَ عُمَرُ بنُ سَعدٍ أصحابَهُ بِمِثلِ ذلِكَ.

قالَ: فَانكَشَفنا عَنهُما، بِحَيثُ لا نَسمَعُ أصواتَهُما ولا كَلامَهُما، فَتَكَلَّما فَأَطالا حَتّى ذَهَبَ مِنَ اللَّيلِ هَزيعٌ، ثُمَّ انصَرَفَ كُلٌّ واحِدٍ مِنهُما إلى عَسكَرِهِ بِأَصحابِهِ.

وتَحَدَّثَ النّاسُ فيما بَينَهُما، ظَنّاً يَظُنّونَهُ: أنَّ حُسَيناً «عليه السلام» قالَ لِعُمَرَ بن سَعدٍ: أُخرُج مَعي إلى يَزيدَ بنِ مُعاوِيَة، ونَدَعُ العَسكَرَين.

قالَ عُمَرُ: إذَن تُهدَمَ داري.

قالَ: أنَا أبنيها لَكَ.

قالَ: إذَن تُؤخَذَ ضِياعي.

قالَ: إذَن أُعطِيَكَ خَيراً مِنها مِن مالي بِالحِجاز.

قالَ: فَتَكَرَّهَ ذلِكَ عُمَرُ.

قالَ: فَتَحَدَّثَ النّاسُ بِذلِكَ، وشاعَ فيهِم مِن غَيرِ أن يَكونوا سَمِعوا

مِن ذلِكَ شَيئاً ولا عَلِموهُ(١).

٣ ـ قالَ أبو مِخنَفٍ: وأمّا ما حَدَّثَنا بِهِ المُجالِدُ بنُ سَعيدٍ، وَالصَّقعَبُ بنُ زُهَيرٍ الأزدِيُّ، وغَيرُهُما مِنَ المُحَدِّثينَ، فَهُوَ ما عَلَيهِ جَماعَةُ المُحَدِّثينَ، قالوا:

إنَّهُ قالَ: اِختاروا مِنّي خِصالاً ثَلاثاً:

إمّا أن أرجِعَ إلَى المَكانِ الَّذي أقبَلتُ مِنهُ.

وإمّا أن أضَعَ يَدي في يَدِ يَزيدَ بنِ مُعاوِيَة، [وعند البلاذري: فهو ابن عمي] فَيَرى فيما بَيني وبَينَهُ رَأيَهُ.

وإمّا أن تُسَيِّروني إلى أيِّ ثَغرٍ مِن ثُغورِ المُسلِمينَ شِئتُم، فَأَكونَ رَجُلاً مِن أهلِهِ، لي ما لَهُم، وعَلَيَّ ما عَلَيهِم.

زاد البلاذري قوله: ويُقالُ: إنَّهُ لَم يَسَلهُ إلّا أن يَشخَصَ إلَى المَدينَةِ فَقَط(٢).

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤١٣ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١٢ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٤ وموسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٣٥ عنهما، وعن الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٦٥ وتجارب الأمم ج٢ ص٧٠ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٩٩ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٢٩ ومدينة المعاجز ج٣ ص٤٨٢. وراجع: مثير الأحزان ص٥٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٣٦.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤١٣ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١٣ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٤ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١٠٠ ونهاية

٤ ـ عن المجالد بن سعيد الهمداني والصّقعب بن زهير: إنَّهُما كانَا التَقَيا مِراراً: ثلاثاً، أو أربَعاً؛ حُسَينٌ «عليه السلام» وعُمَرُ بنُ سَعدٍ؛ قالَ: فَكَتَبَ عُمَرُ بنُ سَعدٍ إلى عُبَيدِ اللهِ بنِ زِيادٍ:

أمّا بَعدُ، فَإِنَّ اللهَ قَد أطفَأَ النّائِرَةَ، وجَمَعَ الكَلِمَةَ، وأصلَحَ أمرَ الأُمَّةِ، هذا حُسَينٌ قَد أعطاني أن يَرجِعَ إلَى المَكانِ الَّذي مِنهُ أتى، أو أن نُسَيِّرَهُ إلى أيِّ ثَغرٍ مِن ثُغورِ المُسلِمينَ شِئنا، فَيَكونَ رَجُلاً مِنَ المُسلِمينَ، لَهُ ما لَهُم، وعَلَيهِ ما عَلَيهِم، أو أن يَأتِيَ يَزيدَ أميرَ المُؤمِنينَ، فَيَضَعَ يَدَهُ في يَدِهِ، فَيَرى فيما بَينَهُ وبَينَهُ رَأيَهُ، وفي هذا لَكُم رِضىً ولِلأُمَّةِ صَلاحٌ.

قالَ: فَلَمّا قَرَأَ عُبَيدُ اللهِ الكِتابَ قالَ: هذا كِتابُ رَجُلٍ ناصِحٍ لِأَميرِهِ، مُشفِقٍ عَلى قَومِهِ، نَعَم قَد قَبِلتُ.

قالَ: فَقامَ إلَيهِ شِمرُ بنُ ذِي الجَوشَنِ، فَقالَ: أتَقبَلُ هذا مِنهُ وقَد نَزَلَ

الأرب ج٢٠ ص٤٢٩. وراجع: سير أعلام النبلاء ج٣ ص٣١١ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢٢٠ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٣٢٢ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج٦ ص٢٦١٦ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص١٨٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٦٨٤ وراجع: الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج٢ ص٦ و (تحقيق الشيري) ج٢ ص١١ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص٢٦٨ وذخائر العقبى ص١٤٩ والإصابة ج٢ ص٧١. وراجع: أنساب الأشراف ج٣ ص٣٩٠ و (ط دار التعارف) ج٣ ص١٨٢.

بأرضِكَ إلى جَنبِكَ؟ وَاللهِ، لَئِن رَحَلَ مِن بَلَدِكَ ولَم يَضَع يَدَهُ في يَدِكَ لَيَكونَنَّ أولى بِالقُوَّةِ وَالعِزَّةِ، ولَتَكونَنَّ أولى بِالضَّعفِ وَالعَجزِ، فَلا تُعطِهِ هذِهِ المَنزِلَة، فَإِنَّها مِنَ الوَهَنِ.

ولكِن لِيَنزِل عَلى حُكمِكَ هُوَ وأصحابُهُ، فَإِن عاقَبتَ فَأَنت وَلِيُّ العُقوبَةِ، وإن غَفَرتَ كانَ ذلِكَ لكَ.

وَاللهِ، لَقَد بَلَغَني أنَّ حُسَيناً وعُمَرَ بنَ سَعدٍ يَجلِسان بَينَ العَسكَرَين، فَيَتَحَدَّثان عامَّةَ اللَّيلِ.

فَقالَ لَهُ ابنُ زِيادٍ: نِعمَ ما رَأَيتَ! الرَّأيُ رَأيُكَ.

٥ ـ زاد المفيد قوله: اخرُج بِهذَا الكِتابِ إلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ، فَليَعرِض عَلَى الحُسَينِ وأصحابِهِ النُّزولَ عَلى حُكمي، فَإِن فَعَلوا فَليَبعَث بِهِم إلَيَّ سِلما، وإن هُم أبَوا فَليُقاتِلهُم، فَإِن فَعَلَ فَاسمَع لَهُ وأطِع، وإن أبى أن يُقاتِلَهُم فَأَنتَ أميرُ الجَيشِ، وَاضرِب عُنُقَهُ، وَابعَث إلَيَّ بِرَأسِهِ...

فَأَقبَلَ شِمرٌ بِكِتابِ عُبَيدِ اللهِ إلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ، فَلَمّا قَدِمَ عَلَيهِ وقَرَأَهُ، قالَ لَهُ عُمَرُ: ما لَكَ وَيلَكَ؟ لا قَرَّبَ اللهُ دارَكَ، قَبَّحَ اللهُ ما قَدِمتَ بِهِ عَلَيَّ، وَاللهِ، إنّي لَأَظُنُّكَ أنَّكَ نَهَيتَهُ أن يَقبَلَ ما كَتَبتُ بِهِ إلَيهِ، وأفسَدتَ عَلَينا أمرَنا(١).

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤١٤ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١٣ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٥ وموسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٣٩ وقال: راجع:

ونقول:

في هذا الكلام مواضع تحتاج إلى بيان، فلاحظ ما يلي:

سحب الذرائع:

تقدم: أن الإمام الحسين «عليه السلام» هو الذي دعا ابن سعد للاجتماع به ليلاً.. وكأنه «عليه السلام» أراد:

١ ـ أن يخاطب أولاً عقل ابن سعد، ووجدانه، حيث لم تسلّ السيوف بعد، ولا تزال النفوس هادئة، ولا مجال بعد لادِّعاء أن القرارات الحكيمة لا تؤخذ ـ عادة ـ في ساحات القتال، حين يصبح همّ المقاتل هو القضاء على عدوه بأسرع ما يمكن. ويكون في هذه اللحظات في غاية التوتر والإنفعال، وأبعد ما يكون عن التروي، وعن الاستجابة إلى حكم العقل، وقضاء الوجدان.

٢ ـ لقد أراد «عليه السلام» أن يكون الإجتماع في أجواء هادئة،

الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٦٥ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣١١ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢٢٠ وراجع: ج٤٥ ص٥١ وراجع: الإرشاد للمفيد ج٢ ص٨٧ وروضة الواعظين ص٢٠١ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٨٢ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٤٠ وإعلام الورى ج١ ص٤٥٢ و ٤٥٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٨٩ ولواعج الأشجان ص١١٣ و ١١٤ وتجارب الأمم ج٢ ص٧١ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٩ و ٦٠٠ ومقتل الحسين ص١٠٠ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٣٠.

وأن يكون في الليل أيضاً، لكي لا يعيش ابن سعد هاجس الخوف من العيون ومن الأعناق المشرئبة إلى خيمة اجتماعه بالحسين «عليه السلام»، مع علمه بأن هناك من ينافسه ويرصد كل حركة من حركاته، يمكن أن يتخذ منها ذريعة للإيقاع به عند أسياده..

٣ ـ كما أنه «عليه السلام» حين واجه ابن سعد قد خاطب وجدانه، وسعى لإيقاظه من سباته العميق. وإعادته إلى التفكير المنطقي الذي يستبطن ظهور رغبة الحسين «عليه السلام» في أن لا يكون ابن سعد نفسه في معرض الغضب الإلهي في الآخرة وأنه «عليه السلام» يحب نجاته من سوء العاقبة.. ولذا قال له «عليه السلام»: أما تتقي الله الذي إليه معادك؟!

ثم قال له: أتقاتلني؟! وأنا ابن من علمت؟!

فهو «عليه السلام» يذكّره بأنه ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله». ومن أراد رضا الله، فإنه لا يعمل ما فيه إساءة لرسوله. ثم عرض عليه أن يكون في الوضع الأقرب إلى الله تعالى. وذلك حين يترك أهل الباطل، ويكون مع الحق وأهله.

وهنا بدأت ذرائع ابن سعد تتوالى وصارت تتهاوى وتتلاشى أمام المنطق الحسيني الرصين، فإن كل ما تذرع به ابن سعد كان له علاج صحيح ومقبول، لا يستطيع ابن سعد أن يتنكر له، أو أن يشكك فيه.

فداره إن هدمت يبنيها الحسين.

وضياعه التي تؤخذ منه يخلف عليه الحسين «عليه السلام» بخير

منها.

والخوف على العيال يزيله ضمان الحسين لسلامتهم.

ولماذا يجعل ابن سعد كل حياته ومستقبله ومصيره في الدنيا والآخرة، بيد من لا يهمهم إلا تحقيق مآربهم بأي ثمن؟!

أكثر من لقاء:

وقد ذكرت الروايات المتقدمة نصوصاً مختلفة لما جرى بين الإمام الحسين «عليه السلام» وبين عمر بن سعد، فقد يقال: إن هذا يشير إلى أن الاجتماع بين الإمام «عليه السلام» وبين عمر بن سعد قد تكرر بهدف إقامة الحجة على ذلك الطاغية، واستنفاد جميع الوسائل الإقناعية مع ذلك الرجل المخذول.

يضاف إلى ذلك: ما تقدم في رواية مجالد بن سعيد الهمداني، والصقعب بن زهير، أنهما قالا: «..إنهما كانا التقيا مراراً، ثلاثاً، أو أربعاً: حسين «عليه السلام»، وعمر بن سعد».

وقد يؤيد ذلك: قول شمر بن ذي الجوشن لعبيد الله بن زياد: «وَاللهِ، لَقَد بَلَغَني أنَّ حُسَيناً وعُمَرَ بنَ سَعدٍ يَجلِسانِ بَينَ العَسكَرَينِ، فَيَتَحَدَّثانِ عامَّةَ اللَّيلِ». فراجع النص المتقدم برقم [٤] في مصادره.

الخصال الثلاث:

وتقدم في النص رقم [٣] و [٢]: أن الحسين «عليه السلام» اقترح على عمر بن سعد وبني أمية أن يختاروا منه خصالاً ثلاثاً.

١ ـ أن يَرجِعَ إلى المَكانِ الَّذي مِنهُ أتى.

٢ ـ أن يُسَيِّروهُ إلى أيِّ ثَغرٍ مِن ثُغورِ المُسلِمينَ شاؤوا.

٣ ـ أن يَأتِيَ يَزيدَ أميرَ المُؤمِنينَ، فَيَضَعَ يَدَهُ في يَدِهِ، فَيَرى فيما بَينَهُ وبَينَهُ رَأيَهُ. فهو ابن عمه.

وهذا الكلام إما هو من مفتريات عمر بن سعد، أو من مفتريات غيره عليه لصالحه..

ويدل على أنه كلام مكذوب:

أولاً: ما تقدم في رواية هاني بن ثبيت الحضرمي أنه قال: وتَحَدَّثَ النّاسُ فيما بَينَهُما ظَنّاً يَظُنّونَهُ أنَّ حُسَيناً «عليه السلام» قالَ لِعُمَرَ بنِ سَعدٍ: أُخرُج مَعي إلى يَزيدَ بنِ مُعاوِيَة ونَدَعُ العَسكَرَينِ.

قالَ عُمَرُ: إذَن تُهدَمَ داري.

قالَ: أنَا أبنيها لَكَ.

قالَ: إذَن تُؤخَذَ ضِياعي.

قالَ: إذَن أُعطِيَكَ خَيراً مِنها مِن مالي بِالحِجازِ.

قالَ: فَتَكَرَّهَ ذلِكَ عُمَرُ.

قالَ: فَتَحَدَّثَ النّاسُ بِذلِكَ، وشاعَ فيهِم مِن غَيرِ أن يَكونوا سَمِعوا مِن ذلِكَ شَيئا ولا عَلِموهُ.

ثانياً: قالَ أبو مِخنَفٍ: فَأَمّا عَبدُ الرَّحمن بنُ جُندَبٍ فَحَدَّثَني عَن عُقبَة بنِ سِمعانَ قالَ: صَحِبتُ حُسَيناً، فَخَرَجتُ مَعَهُ مِنَ المَدينَةِ إلى

مَكَّة، ومِن مَكَّة إلى العِراق، ولم أُفارقهُ حَتّى قُتِلَ، ولَيسَ مِن مُخاطَبَتِهِ النّاسَ كَلِمَةٌ بِالمَدينَةِ، ولا بِمَكَّة، ولا فِي الطَّريق، ولا بِالعِراق، ولا في عَسكَرٍ إلى يَومِ مَقتَلِهِ إلّا وقد سَمِعتُها. ألا وَاللهِ، ما أعطاهُم ما يَتَذاكَرُ النّاسُ وما يَزعُمونَ؛ مِن أن يَضَعَ يَدَهُ في يَدِ يَزيدَ بنِ مُعاوِيَة، ولا أن يُسَيِّروهُ إلى ثَغرٍ مِن ثُغورِ المُسلِمينَ، ولكِنَّهُ قالَ: دَعوني فَلأَذهَبُ في هذِهِ الأَرضِ العَريضَةِ حَتّى نَنظُرَ ما يَصيرُ أمرُ النّاسِ(١).

وقال سبط ابن الجوزي:

قَد وَقَعَ في بَعضِ النُّسَخِ، أنَّ الحُسَينَ «عليه السلام» قالَ لِعُمَرَ بن سَعدٍ: دَعوني أمضي إلَى المَدينَةِ أو إلى يَزيدَ، فَأَضَعُ يَدي في يَدِهِ.

ولا يَصِحُّ ذلِكَ عَنهُ، فَإِنَّ عُقبَةَ بنَ سِمعانَ قالَ: صَحِبتُ الحُسَينَ «عليه السلام» مِنَ المَدينَةِ إلى العِراقِ، ولَم أزَل مَعَهُ إلى أن قُتِلَ، وَاللهِ، ما سَمِعتُهُ قالَ ذلِكَ(٢).

ثالثاً: روى سبط ابن الجوزي الحوار الذي جرى بين ابن سعد «لعنه الله» وبين الإمام الحسين «عليه السلام» على النحو التالي:

«وكان عمر بن سعد يكره قتال الحسين «عليه السلام»، فبعث إليه يطلب الاجتماع به، فاجتمعا خلوة، فقال له عمر: ما جاء بك؟!

فقال: أهل الكوفة.

---

(١) راجع المصادر في الهامش السابق، وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤١٣ و ٤١٤ و و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١٣ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٤.

(٢) تذكرة الخواص ج٢ ص١٥٢ و ١٥٣.

فقال: أما عرفت ما فعلوا معكم؟

فقال: من خادعنا في الله انخدعنا له.

فقال له عمر: قد وقعت الآن فما ترى؟

فقال: دعوني ارجع فأقيم بمكة [أو المدينة]، أو أذهب إلى بعض الثغور، فأقيم به كبعض أهله».

فقال: اكتب إلى ابن زياد بذلك.

فكتب إلى ابن زياد بما قال الخ..»(١). ثم ذكر تحريض الشمر عبيد الله بن زياد على رفض ذلك.

فنرى في هذا النص ما يلي:

١ ـ أنه رغم أن ابن سعد كان يكره قتال الحسين «عليه السلام». وقد قلنا: إن كراهته لذلك خوفاً من عواقبه وآثاره على مستقبله. فإنه لم يستجب للحسين «عليه السلام» بالرغم من أنه «عليه السلام» لم يترك له أية ذريعة إلا وأفرغها من محتواها.

٢ ـ إنه «عليه السلام» لم يعط أية إشارة إلى أنهم إن تركوه سوف يبايع يزيد بن معاوية، أو أنه قد تخلى عن مسؤولية طلب الإصلاح في أمة جده، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣ ـ إن هذا النص يقول: إن عمر بن سعد هو الذي طلب اللقاء

---

(١) تذكرة الخواص ج٢ ص١٥٢ و ١٥٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص١٧٩ عن التبر المذاب (نسخة مكتبة المرعشي بقم) ص ٧٨.

بالحسين «عليه السلام». وهذا لا يمنع من أن يكون قد حصل لقاء آخر، أو أكثر بطلب من الإمام «عليه السلام»، كما أشير إليه في نص آخر.

رابعاً: إن النص الذي ينسجم مع النهج الحسيني هو ما روي في عدد من المصادر، عن حسّان بن فائد بن بكير العبسيّ قال: أشهَدُ أنَّ كِتابَ عُمَرَ بنِ سَعدٍ جاءَ إلى عُبَيدِ اللهِ بنِ زيادٍ وأنَا عِندَهُ، فَإِذا فيهِ:

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

أمّا بَعدُ، فَإِنّي حَيثُ نَزَلتُ بِالحُسَينِ بَعَثتُ إلَيهِ رَسولي، فَسَأَلتُهُ عَمّا أقدَمَهُ، وماذا يَطلُبُ ويَسأَلُ، فَقالَ: كَتَبَ إلَيَّ أهلُ هذِهِ البِلادِ، وأتَتني رُسُلُهُم، فَسَأَلونِيَ القُدومَ فَفَعَلتُ؛ فَأَمّا إذ كَرِهوني، فَبَدا لَهُم غَيرُ ما أتَتني بِهِ رُسُلُهُم، فَأَنَا مُنصَرِفٌ عَنهُم.

فَلَمّا قُرِئَ الكِتابُ عَلَى ابنِ زِيادٍ قالَ:

الآنَ إذ عَلِقَتْ مَخالِبُنا بِهِ ... يَرجُو النَّجاةَ ولاتَ حينَ

قالَ: وكَتَبَ إلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ:

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

أمّا بَعدُ، فَقَد بَلَغَني كِتابُكَ، وفَهِمتُ ما ذَكَرتَ، فَاعرِض عَلَى الحُسَينِ أن يُبايِعَ لِيَزيدَ بنِ مُعاوِيَةَ هُوَ وجَميعُ أصحابِهِ، فَإِذا فَعَلَ ذلِكَ رَأَينا رَأيَنا، [زاد في المناقب: وإن أبى فائتني بِهِ] وَالسَّلامُ.

قالَ: فَلَمّا أتى عُمَرَ بنَ سَعدٍ الكِتابُ، قالَ: قَد حَسِبتُ ألّا يَقبَلَ ابنُ

زِيادٍ العافِيَةَ(١).

وليس في هذا النص أي إشارة إلى وضع الحسين «عليه السلام» يده بيد يزيد «لعنه الله»، أو أن يسيروه إلى ثغر من الثغور أو أن يرجع إلى مكة أو المدينة.

كما أن المنقول في هذا الكتاب عنه «عليه السلام» لم يتحدث عن البيعة ليزيد، وليس فيه ما يعطي أية ذريعة لمحاربته، وقتله، وسبي نسائه، فالعزم على قتاله قد جاء على سبيل البغي عليه، والظلم له..

ويلاحظ هنا ما يلي:

١ ـ أنه «عليه السلام» قد جعل ما أعلنه عن انصرافه عن أهل تلك البلاد مستنداً إلى كراهتهم، لا إلى خوفه من جيوش بني أمية، وخضوعه لإرادتهم.

---

(١) موسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٣٨ عن تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤١١ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١١ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٤١ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٨٦ وروضة الواعظين ص٢٠٠ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٨١ وإعلام الورى ج١ ص٤٥١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٨٥ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٣٦ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٩٧ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٢٧ وراجع: أنساب الأشراف ج٣ ص٣٨٦ والفتوح لابن أعثم ج١ ص٨٧ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩٧ و (ط الكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٧ وراجع: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٦.

٢ ـ إن الشعر الذي تمثل به ابن زياد:

الآنَ إذ عَلِقــتْ مَخالِبُنــا بــهِ يَرجُــو النَّجــاةَ ولاتَ حـــينَ

يدل على أن بني أمية كانوا عازمين على قتله، وعلى أنهم كانوا يتحينون الفرص للإيقاع به، وانهم مصممون على عدم تفويت هذه الفرصة.

ذبحك الله على فراشك:

وتقدم: أنه بعد أن لم يجب عمر بن سعد إلى شيء مما دعاه إليه الإمام الحسين «عليه السلام»، انصرف عنه الحسين «عليه السلام»، وهو يقول:

«ما لَكَ ذَبَحَكَ اللهُ عَلى فِراشِكَ سَريعاً عاجِلاً..

ولا غَفَرَ لَكَ يَومَ حَشرِكَ ونَشرِكَ»!

فليس هذا الدعاء للتشفي، ولا استجابة لفورة عاطفية، وهيجان مشاعر، بل هو أيضاً يهدف إلى تحقيق أمور هي:

ألف: الإعلان بأنه «عليه السلام» قد استنفد جميع الوسائل الإقناعية مع هذا الرجل، فلم يستجب لشيء منها..

ب: إن دعاء الإمام «عليه السلام» على ابن سعد بهذه المضامين من شأنه أن يهز عمر بن سعد من أعماق وجوده، لأنه إنما يقدم على جريمته النكراء بقتل أهل بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» حباً بنعيم الدنيا، ورجاء التمتع بملك الري.

وكان في قرارة نفسه يعرف كما يعرف جميع الناس: أن دعاء

الحسين «عليه السلام» مستجاب، لما لأهل البيت من كرامة عند الله، وقد شاهدوا من استجابة دعواتهم في المواقع المختلفة ما جعل ذلك من البديهيات بالنسبة للكثيرين..

فأطلق «عليه السلام» هذه الدعوة، وأسمعه إياها علَّه يتأثر بها، فإن لم يحصل ذلك، واستكبر وجحد، وأخذته العزة بالإثم يكون «عليه السلام» قد قام بواجبه نحو عمر بن سعد. وأما بالنسبة لابن سعد نفسه، فإنما على نفسها جنت براقش..

ج: كما أنه «عليه السلام» قد صاغ دعاءه هذا على شكل إخبار غيبي ـ يعلم فيه عمر بن سعد، والناس كلهم باقتراب أجل عمر هذا، كنتيجة للجريمة التي يقدم عليها. بل هو «عليه السلام» يخبره بكيفية قتله، وأنها ستكون «ذبحاً على فراشه».

وليكن حصول ذلك كله بعد ذلك بصورة دقيقة من أسباب هداية الناس للحق إلى يوم القيامة.

د: وأضاف «عليه السلام» إلى ذلك دعاء آخر، وهو أن لا يغفر الله لعمر بن سعد يوم حشره ونشره، وبذلك تكون الخيبات كلها قد تواترت عليه واستمرت.

هـ: ولنا أن نحتمل هنا أيضاً: أن يكون قوله «عليه السلام»: «إنّي لَأرجو أن لا تَأكُلَ مِن بُرِّ العِراق إلّا يَسيراً». قد جاء لاستدراج ابن سعد ليعبر عن مشاعره، ويعلن موقفه. وإذ به يقول مستهزئاً: «يا أبا عَبدِ اللهِ، فِي الشَّعيرِ عِوَضٌ عَنِ البُرِّ»!!

وهي إجابة تدل على مدى استكبار هذا الرجل، وشدة جحوده، فهو مصداق لقوله تعالى: **(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا)**(١).

ويبدو لنا: أن هذا الذي جرى إنما كان في الإجتماع الأخير، حيث لم يعد هناك أي حاجة إلى اجتماع آخر لفقدان أي أمل بحصول نتائج إيجابية، بعد استنفاد سائر الوسائل مع هذا الرجل المخذول.

ثلاثون التحقوا بالحسين ×:

وقد تقدم قولهم: إنه حين رد ابن سعد شروط الإمام «عليه السلام» تحول ثلاثون رجلاً مع الحسين «عليه السلام»، فقاتلوا معه(٢).

وسيأتي في فصل: من أحداث اليوم التاسع: أنهم اثنان وثلاثون

---

(١) الآية ١٤ من سورة النمل.

(٢) راجع: ذخائر العقبى ج٢ ص١٧٠ و (ط مكتبة القدسي) ص١٤٩ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج٦ ص٢٦١٧ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢٢٠ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٣٢٣ والعقد الفريد ج٥ ص١٢٨ وتذهيب التهذيب ج١ ص١٥٨ وتهذيب تاريخ مدينة دمشق ج٤ ص٣٣٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص٢٩٨ وسير أعلام النبلاء (ط سنة ١٤٢٧هـ) ج٣ ص٢٦٣ والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج٢ ص٦ و (تحقيق الشيري) ج٢ ص١٢ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٨٤ وجواهر المطالب ص٢٦٩.

رجلاً(١).

وقيل: عشرون رجلاً(٢).

ونلاحظ هنا ما يلي:

إن الحديث عن رد الشروط غير سديد، إن كان المراد بالشروط هو ما زعموه، من أن من بينها: أن يضع «عليه السلام» يده في يد يزيد..

فقد تقدم: أن عقبة بن سمعان قد كذب هذه الدعوى.

كما أن نفس قول الإمام «عليه السلام»: «إنَّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي والتنزيل، بنا فتح الله وبنا يختم.. ويزيد رجل فاسق، فاجر، قاتل للنفس المحترمة، شارب للخمر، معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله» يدل على كذب هذه المزعمة.

بالإضافة إلى أمور أخرى ذكرناها فيما سبق.

ومهما يكن من أمر، فقد يقال: إن التحاق هذا العدد بالإمام الحسين «عليه السلام» قد يقال: إنه كان تدريجياً، ولعل بعض هؤلاء قد

(١) الملهوف ص١٥٤ و (نشر أنوار الهدى) ص٥٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٩٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٤٥ ولواعج الأشجان ص١٢١ وأعيان الشيعة ج١ ص٦٠١.

(٢) ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد (القسم المطبوع ـ تحقيق السيد عبد العزيز الطباطبائي) ص٦٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص١٣.

التحق به «عليه السلام» قبل ليلة عاشوراء، وبعضهم التحق به في اليوم العاشر، وليلته.

ولكن كلام ابن طاووس صريح في أنهم قد التحقوا به في نفس ليلة عاشوراء. وقد حدد العدد بـ ٣٢ رجلاً.

إلا أن يقال: إن هؤلاء غير الذين التحقوا به بسبب رد الشروط، وفي الطريق، وفي يوم عاشوراء.

يضاف إلى ما تقدم: أن عرض الشروط المدعى إنما كان حين مجيء عمر بن سعد إلى كربلاء، قبل يوم العاشر بعدة أيام. حين كان «عليه السلام» يجتمع به، ويحاول إقامة الحجة عليه.

ويؤيده: زعمهم: أن ابن سعد قد عرضها على ابن زياد، ورفضها. وإنما يمكنه أن يفعل ذلك قبل أيام، كما قلنا.

منع الماء في اليوم السابع:

١ ـ عن حميد بن مسلم الأزدي: جاءَ مِن عُبَيدِ اللهِ بن زِيادٍ كِتابٌ إلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ:

أمّا بَعدُ، فَحُل بَينَ الحُسَينِ وأصحابِهِ وبَينَ الماءِ، ولا يَذوقوا مِنهُ قَطرَةً، كَما صُنِعَ بِالتَّقِيِّ الزَّكِي المَظلومِ أميرِ المُؤمِنينَ عُثمانَ بنِ عَفّانَ.

قالَ: فَبَعَثَ عُمَرُ بنُ سَعدٍ عَمرَو بنَ الحَجّاجِ عَلى خَمسِمِئَةِ فارِسٍ، فَنَزَلوا عَلَى الشَّريعَةِ، وحالوا بَينَ حُسَينٍ «عليه السلام» وأصحابِهِ

وبَينَ الماءِ أن يُسقَوا مِنهُ قَطرَةً، وذلِكَ قبلَ قَتلِ الحُسَين «عليه السلام» بِثَلاثٍ.

قالَ: ونازَلَهُ عَبدُ اللهِ بنُ أبي حُصَينٍ الأزدِيُّ ـ وعِدادُهُ في بَجيلَة ـ فَقالَ: يا حُسَينُ، ألا تَنظُرُ إلى الماءِ كَأَنَّهُ كَبِدُ السَّماءِ! وَاللهِ، لا تَذوقُ مِنهُ قَطرَةً حَتّى تَموتَ عَطَشاً!!

فَقالَ حُسَينٌ «عليه السلام»: اللّهُمَّ اقتُلهُ عَطَشاً، ولا تَغفِر لَهُ أبَداً.

قالَ حُمَيدُ بنُ مُسلِمٍ: وَاللهِ، لَعُدتُهُ بَعدَ ذلِكَ في مَرَضِهِ، فَوَاللهِ الَّذي لا إلهَ إلّا هُوَ، لَقَد رَأَيتُهُ يَشرَبُ حَتّى بَغِرَ، ثُمَّ يَقيءُ، ثُمَّ يَعودُ فَيَشرَبُ حَتّى يَبغَرَ فَما يَروى، فَما زالَ ذلِكَ دَأبَهُ حَتّى لَفَظَ عَصَبَهُ، يَعني نَفسَهُ(١).

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤١٢ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١١ وموسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٤٤ عنه، وعن: أنساب الأشراف ج٣ ص٣٨٩ و (ط دار التعارف) ج٣ ص١٨٠ والإرشاد ج٢ ص٨٦ وروضة الواعظين ص٢٠١ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٨٢ وإعلام الورى ج١ ص٤٥٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٨٩ وراجع: تذكرة الخواص ص٢٤٧ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٤٣ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٧ والأخبار الطوال ص٢٥٥ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج٦ ص٢٦٢٧ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٩٨ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٢٨ ومثير الأحزان (ط المكتبة الحيدرية) ص٥٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٤٠ ولواعج الأشجان

٢ ـ وقال الخوارزمي: فَأَضَرَّ العَطَشُ بِالحُسَينِ «عليه السلام» وبِمَن مَعَهُ، فَأَخَذَ الحُسَينُ «عليه السلام» فَأساً وجاءَ إلى وَراءِ خَيمَةِ النِّساءِ، فَخَطا عَلَى الأرضِ تِسعَ عَشرَةَ خُطوَةً نَحوَ القِبلَةِ، ثُمَّ احتَفَرَ هُنالِكَ، فَنَبَعَت لَهُ هُناكَ عَينٌ مِنَ الماءِ العَذبِ، فَشَرِبَ الحُسَينُ «عليه السلام» وشَرِبَ النّاسُ بِأجمَعِهِم، ومَلَؤوا أسقِيَتَهُم، ثُمَّ غارَتِ العَينُ، فَلَم يُرَ لَها أثَرٌ.

وبَلَغَ ذلِكَ عُبَيدَ اللهِ، فَكَتَبَ إلى عُمَرَ بن سَعدٍ:

بَلَغَني أنَّ الحُسَينَ يَحفِرُ الآبارَ، ويُصيبُ الماءَ، فَيَشرَبُ هُوَ وأصحابُهُ، فَانظُر إذا وَرَدَ عَلَيكَ كِتابي فَامنَعهُم مِن حَفرِ الآبارِ مَا استَطَعتَ، وضَيِّق عَلَيهِم، ولا تَدَعهُم أن يَذوقوا مِنَ الماءِ قَطرَةً، وَافعَل بِهِم كَما فَعَلوا بِالزَّكِيِّ عُثمانَ. وَالسَّلامُ.

فَضَيَّقَ عَلَيهِمُ ابنُ سَعدٍ غايَةَ التَّضييقِ.

فَاشتَدَّ العَطَشُ مِنَ الحُسَينِ «عليه السلام» وأصحابِهِ، وكادوا أن يَموتوا عَطَشاً(١).

٣ ـ قال ابن أعثم:

ص١١٠.

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٤٤ وذكر بعضه في الفتوح ج٥ ص٩١ من قوله: فَكَتَبَ إلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ.. وراجع: بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٨٧ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٣٨.

فَاشْتَدَّ العَطَشُ مِنَ الحُسَين «عليه السلام» وأصحابِهِ، وكادوا أن يَموتوا عَطَشاً(١).

٤ ـ عن عبد الله بن منصور، عن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جده [زين العابدين] «عليهم السلام»: بَلَغَ عُبَيدَ اللهِ بنَ زيادٍ أنَّ عُمَرَ بنَ سَعدٍ يُسامِرُ الحُسَينَ «عليه السلام» ويُحَدِّثُهُ، ويَكرَهُ قِتالَهُ، فَوَجَّهَ إلَيهِ شِمرَ بنَ ذِي الجَوشَنِ في أربَعَةِ آلافِ فارِسٍ.

وكَتَبَ إلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ: إذا أتاكَ كِتابي هذا فَلا تُمهِلَنَّ الحُسَينَ بنَ عَلِيٍّ، وخُذ بِكَظَمِهِ، وحُل بَينَ الماءِ وبَينَهُ، كَما حيلَ بَينَ عُثمانَ وبَينَ الماءِ يَومَ الدّارِ(٢).

ونقول:

الحسنان أوصلا الماء لعثمان:

ذكرت مصادر عديدة: أن عبيد الله بن زياد كتب إلى عمر بن سعد يأمره بمنع الماء عن الإمام الحسين «عليه السلام»، كما حيل بين عثمان وبين الماء في يوم الدار. فضيق عليهم ابن سعد غاية التضييق، حتى كادوا أن يموتوا عطشاً.

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٢.

(٢) الأمالي للصدوق ص٢٢٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣١٥ وألمح إليه في الملهوف ص١٤٨ و (نشر أنوار الهدى) ص٥٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٦٥.

وقد بدأ منع الماء في اليوم السابع، واستمر إلى حين استشهاد الإمام وأهل بيته وأصحابه في اليوم العاشر..

ونقول:

إن الحديث عن منع الماء عن عثمان يوم الدار غريب وعجيب، ولا مبرر له إلا أن يكون ابن زياد يريد أن يخدع الناس السذج والبسطاء، ممن لا علم لهم بالأمور.. بهذه الأباطيل. وإلا فإن طلحة والزبير اللذين كانا على رأس المحاصرين لعثمان هما اللذان منعا الماء عن عثمان. وكان علي «عليه السلام» هو الذي أوصل إليه الماء بواسطة ولديه: الحسن والحسين «عليهما السلام».

فهل يجازى الحسين على هذه المكرمة بمنع الماء عنه، حتى يقتل عطشاناً؟!

ولنفترض أنهم يريدون منع الماء عن الحسين وأصحابه، ولكن لماذا التوسل بالأكاذيب؟! أليس إلا لتكريس الأحقاد لدى بني أمية واتباعهم على علي وأهل بيته «عليهم السلام»؟!.

الكرامة الإلهية:

وقد رأينا كيف أن الله تعالى قد استجاب دعاء الإمام الحسين «عليه السلام» على الذي تجرأ عليه في أمر الماء، وهو عبد الله بن أبي حصين الأزدي، حيث قال «عليه السلام»: اللهم اقتله عطشاً.. ثم يروي حميد بن مسلم أنه قد رأى ابن أبي حصين لا يرتوي من الماء حتى خرجت روحه..

وقد ظهرت للإمام «عليه السلام» أمثال هذه الكرامة، المتمثلة باستجابة دعائه في العديد من الموارد، كما يعلم بمراجعة المصادر الحافلة بأخبار الإمام «عليه السلام» في عاشوراء..

ولعل استجابة دعائه «عليه السلام» على من آذاه يرسخ القناعة لدى عمر بن سعد، ويزيد من خوفه، ومن توقعاته أن تستجاب دعوة الحسين في حقه، ويتحقق ما أخبر به عن مصيره، وما يجري عليه (أي على ابن سعد) من أنه يذبح على فراشه، ونحو ذلك. وهذا يزيد من خزيه وآلامه بلا ريب.

عين الماء التي أظهرها الإمام ×:

وتقدم: أنه «عليه السلام» قد أخذ فأساً، وأتى إلى وراء خيمة النساء، فخطا تسع عشرة خطوة نحو القبلة، ثم احتفر هناك، فنبعت له عين من الماء العذب.. فشرب «عليه السلام» وشرب الناس بأجمعهم، وملأوا أسقيتهم، ثم غارت العين، فلم ير لها أثر..

ويبدو لنا: أنه «عليه السلام»: أراد أن يفهم الناس ـ ولاسيما ضعاف النفوس منهم ـ أن ما يجري عليه من قتل، وما يواجهه من مصائب وآلام، ومن سبي نساء، لا يعني أن يخلّ هذا بمقامه، ويدل على فقدانه منازل الكرامة والزلفى عند الله. ولكنها المسؤوليات الإلهية الجسام، المنبثقة من مصالح وحكم كبرى للدين وأهله، حيث أخذ عليهم إظهار الحق، وفضح الباطل، حتى لا يصبح الباطل نهجاً وديناً، وشريعة..

فمقامه «عليه السلام» محفوظ عند الله بلا ريب، بل يكون صبره على المصائب، وجهاده هذا من أسباب رفع درجته، وحصوله على أعظم منازل القرب والزلفى والكرامة عنده تعالى، وتأتي حالات استجابة دعائه «عليه السلام»، وظهور الكرامات الباهرة له «عليه السلام»، ومنها كشف هذه العين، وشرب جميع الناس، وملء أسقيتهم منها، ثم اختفاؤها. يأتي ذلك للتدليل على أنه «عليه السلام» لا يريد أن يستفيد من المعجزة والكرامة في تحقيق النصر على أعدائه إلا بمقدار ما يحفظ فيه إيمان الناس، ويؤكد ثقتهم بحقانية ما هم عليه، لأن استفادته من أسباب غير عادية، لا يمتلك عدوه مثلها يعد مصادرة لاختيار ذلك العدو. أي استعمال للقدرات الخارقة في هذه المصادرة، هي التي أوجبت سلبه القدرة على الاختيار، لأنه لا يصل إلى ما هو خارج دائرة السنن التي هيأها الله لعباده، وأخذ على نفسه أن لا يقهرهم بأسباب أرقى منها..

ولكن إظهار الله تعالى الكرامات لأنبيائه وأوصيائهم إنما هو بنحو لا يؤدي إلى المحذور الذي ذكرناه. أي أنه تعالى يظهرها له في غير الموارد التي تصادم وتصادر اختيار الآخرين، ولو كانوا خصومه. ليدل القريب والبعيد على أن ما يجري على الإمام الحسين «عليه السلام» لا يعني أنه هو المبطل، وعدوه هو المحق.. بل مقامه «عليه السلام» محفوظ له في جميع أحواله، لأن مقامه رهن بالحق الذي يلتزم به ويدافع عنه، وما يجري له هو من موجبات علو هذا المقام، بل هو في تنام وتعاظم متواصل.

بين برير.. وابن سعد:

١ ـ كَتَبَ عُبَيدُ اللهِ كِتاباً إلى عُمَرَ بن سَعدٍ يَحُثُّهُ عَلى مُناجَزَةِ الحُسَينِ «عليه السلام»، فَعِندَها ضَيَّقَ الأمرَ عَلَيهِم، وَاشتَدَّ بِهِمُ العَطَشُ، فَقالَ إنسانٌ مِن أصحابِ الحُسَينِ «عليه السلام» يُقالُ لَهُ: يَزيدُ بنُ حُصَينِ الهَمدانِيُّ ـ وكانَ زاهِداً ـ لِلحُسَينِ «عليه السلام»: إيذَن لي يَا ابنَ رَسولِ اللهِ لِآتِيَ ابنَ سَعدٍ فَأُكَلِّمَهُ في أمرِ الماءِ، عَساهُ يَرتَدِعُ.

فَقالَ لَهُ: ذلِكَ إلَيكَ.

فَجاءَ الهَمدانِيُّ إلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ، فَدَخَلَ عَلَيهِ ولَم يُسَلِّم،

قالَ: يا أخا هَمدانَ، ما مَنَعَكَ مِنَ السَّلامِ عَلَيَّ؟ ألَستُ مُسلِماً أعرِفُ اللهَ ورَسولَهُ؟

فَقالَ لَهُ الهَمدانِيُّ: لَو كُنتَ مُسلِماً كَما تَقولُ لَما خَرَجتَ إلى عِترَةِ رَسولِ اللهِ «صلى الله عليه وآله» تُريدُ قَتلَهُم!

وبَعدُ، فَهذا ماءُ الفُراتِ يَشرَبُ مِنهُ كِلابُ السَّوادِ وخَنازيرُها، وهذا الحُسَينُ بنُ عَلِيٍّ «عليه السلام» وإخوَتُهُ، ونِساؤُهُ، وأهلُ بَيتِهِ يَموتونَ عَطَشاً، قَد حُلتَ بَينَهُم وبَينَ ماءِ الفُراتِ أن يَشرَبوهُ، وتَزعُمُ أنَّكَ تَعرِفُ اللهَ ورَسولَهُ؟!

فَأَطرَقَ عُمَرُ بنُ سَعدٍ، ثُمَّ قالَ: وَاللهِ يا أخا هَمدانَ، إنّي لَأَعلَمُ حُرمَةَ أذاهُم، ولكِن:

دَعاني عُبَيدُ اللهِ مِن دونِ   إلى خِطَّةٍ فيها خَرَجتُ لِحيني

فوَاللهِ ما أدري وإنّي لَواقِفٌ عَلى خَطرٍ لا أرتَضيهِ ومَين[١]
أأترُكُ مُلكَ الرَّيِّ وَالرَّيُّ رَغبَةٌ أمَ ارجِعُ مَطلوباً بقتلِ حُسَينِ
وفي قتلِهِ النّارُ الّتي لَيسَ حِجابٌ ومُلكُ الرَّيِّ قُرَّةُ عَيني

يا أخا هَمدانَ! ما أجِدُ نَفسي تُجيبُني إلى تَركِ الرَّيِّ لِغَيري.

فَرَجَعَ يَزيدُ بنُ حُصَينٍ الهَمدانِيُّ، فَقالَ لِلحُسَينِ «عليه السلام»: يَابنَ رَسولِ اللهِ، إنَّ عُمَرَ بنَ سَعدٍ قَد رَضِيَ أن يَقتُلَكَ بِوِلايَةِ الرَّيِّ![٢].

٢ ـ وذكر ابن أعثم: أن الحسين «عليه السلام» أرسل بريراً إلى عمر بن سعد، فقال برير: يا عُمَرَ بنَ سَعدٍ، أتَترُكُ أهلَ بَيتِ النُّبُوَّةِ يَموتونَ عَطَشاً، وحُلتَ بَينَهُم وبَينَ الفُراتِ أن يَشرَبوهُ، وتَزعُمُ أنَّكَ تَعرِفُ اللهَ ورَسولَهُ؟!

قالَ: فَأَطرَقَ عُمَرُ بنُ سَعدٍ ساعَةً إلَى الأَرضِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأسَهُ وقالَ: إنّي ـ وَاللهِ ـ أعلَمُهُ يا بُرَيرُ عِلماً يَقيناً، أنَّ كُلَّ مَن قاتَلَهُم وغَصَبَهُم عَلى حُقوقِهِم فِي النّارِ لا مَحالَةَ، ولكِن وَيحَكَ يا بُرَيرُ! أتُشيرُ عَلَيَّ أن أترُكَ وِلايَةَ الرَّيِّ فَتَصيرَ لِغَيري؟ ما أجِدُ نَفسي تُجيبُني إلى ذلِكَ أبَداً، ثُمَّ أنشَأَ يَقولُ:

---

(١) المين: الكذب.

(٢) مطالب السؤول ص٧٥ و (تحقيق ماجد العطية) ص٤٠١ والفصول المهمة ج٢ ص٨٢١ وكشف الغمة ج٢ ص٢٥٨ وموسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٢٥ و ٢٦.

دَعــاني عُبَيــدُ اللهِ مِــن دونِ إلـى خِطَّـةٍ فيهـا خَرَجتُ لِحينـي

إلى آخر ما تقدم في النص السابق(١).

يزيد بن حصين أم برير بن خضير؟!:

تقدم: أن يزيد بن الحصين حاول إقناع عمر بن سعد في أمر الماء، فلم يوفق. لكن الخوارزمي وابن أعثم وآخرين ذكروا: أن اسمه برير بن خضير بدل يزيد بن الحصين.

ومن الواضح: أن كلمتي يزيد بن حصين، وبرير بن خضير يتقاربان في رسم الخط. ولاسيما بملاحظة عدم وجود النقط للحروف، أو قلته في ذلك الزمان.

وقد يؤكد وقوع التصحيف هنا: أن يزيد بن الحصين، ربما لا يكون له ذكر في سائر المراجع في غير هذا المورد..

إفساح المجال لجهود الأصحاب:

وكما رأينا الحسين «عليه السلام» قد اكتفى بمجرد الإذن لحبيب بن مظاهر، ليذهب إلى بني أسد، ليدعوهم إلى نصرته، ولم يحتم عليه ذلك.. فقد رأيناه «عليه السلام» يتعامل مع برير بن خضير ـ أو يزيد بن الحصين ـ بنفس الطريقة أيضاً. وذلك حين استأذنه في الذهاب إلى عمر بن سعد ليكلمه في أمر منع الماء، فقد اكتفى «عليه السلام» بقوله لبرير: «ذلك إليك».

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٦ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٤٨.

وقد قلنا فيما سبق: إنه «عليه السلام» وإن كان عالماً بنتيجة سعي حبيب وبرير، لعلمه بخبث عمر بن سعد، وبأنه لا ولن يخالف أمر ابن زياد، ولغير ذلك من أسباب، ولكنه لم يكن يريد أن يحرم أصحابه من ثواب السعي، ولا أن يفسح المجال لأي كان من الناس، لأن يحتمل، أو يتوهم أن ثمة تقصيراً قد حصل فيما يرتبط بالبحث عن حلول لمشكلة الماء..

كما أن سعي الأصحاب في تحسين ظروفهم في ذلك المقام الصعب حق لهم، فإنهم سوف يتحملون عبء الحرب الضروس مع قلة الأنصار، فإذا أضيف إلى ذلك ما يعانونه من عطش وأذى، فإن عدوهم قد يستسهل الفتك السريع بهم، ويرى أنها فرصته السانحة التي لا بد من المسارعة لاقتناصها. باعتبار أن ما يعانون منه من عطش وأذى سوف يضعف قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم.

الحق يعطي الحرب مشروعية:

وقالوا:

نَزَلوا [أي الحُسَينُ «عليه السلام» وأصحابُهُ بِكَربَلاءَ] وبَينَهُم وبَينَ الماءِ رَبوَةٌ، فَأَرادَ الحُسَينُ «عليه السلام» وأصحابُهُ الماءَ، فَحالوا بَينَهُم وبَينَهُ.

فَقالَ لَهُ شَهرُ بنُ حَوشَبٍ: لا تَشرَبوا مِنهُ حَتّى تَشرَبوا مِنَ الحَميمِ!

فَقالَ عَبّاسُ بنُ عَلِيٍّ «عليه السلام»: يا أبا عَبدِ اللهِ، نَحنُ عَلَى الحَقِّ، فَنُقاتِلُ؟

قالَ: نَعَم.

فَرَكِبَ فَرَسَهُ، وحَمَلَ بَعضَ أصحابِهِ عَلَى الخُيولِ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيهِم، فَكَشَفَهُم عَنِ الماءِ، حَتّى شَرِبوا وسَقَوا(١).

ونقول:

ملاحظتان:

أولاً: تقدم: أن الذي قال هذا الكلام وواجه الإمام الحسين «عليه السلام» بالإساءة في موضوع الشرب من ماء الفرات هو عبد الله بن أبي حصين الأزدي وعداده في بجيلة(٢).

ولكن ذلك لا يمنع من أن تكون إساءات أخرى في نفس هذا السياق قد صدرت من آخرين أيضاً، لكن الحسين «عليه السلام» لم يدع عليهم. ويذكر من هؤلاء: المهاجر بن أوس، وعمرو بن الحجاج(٣).

ومن الواضح: أن أمثال هذه الأمور يروق للسفهاء والأشرار تبادل الأدوار فيها.

وقد ذكر بعض الإخوة الأكارم: أن ظاهر هذا النص: إرادة طلب

(١) الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج٢ ص٥ و ٦ و (تحقيق الشيري) ج٢ ص١١.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤١٢ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١١ ومصادر كثيرة أخرى تقدمت.
(٣) أنساب الأشراف ج٣ ص٣٩٠ و (ط دار التعارف) ج٣ ص١٨١.

الماء، والقتال عليه قد حصل في أول نزول الحسين «عليه السلام» في كربلاء، حيث قال: «نَزَلوا وبَينَهُم وبَينَ الماءِ رَبوَةٌ فَأَرادَ الحُسَينُ «عليه السلام» وأصحابُهُ الماءَ الخ..». فلما منعوا من الماء قاتلوهم عليه، وخرج شمر أو شهر بن حوشب وقال ما قال. ثم إنهم في اليوم السابع تمكنوا من منعهم من الماء بصورة أقوى، وقال عبد الله بن أبي حصين ما قال في المرة الثانية. وهو كلام معقول ومقبول.

ثانياً: قد روى هذا النص البيهقي أيضاً. ولكنه ذكر شمر بن ذي الجوشن بدل: شهر بن حوشب(١).

ويبدو: أن هذا هو الصواب، فيكون ما ذكر في الإمامة والسياسة قد تعرض للتصحيف بسبب تشابه الرسم بين الكلمات..

قتال المحقين:

تقدم قول العباس بن علي «عليهما السلام» لأخيه الإمام الحسين «عليه السلام»: نحن على الحق، فنقاتل. وجواب الإمام بـ «نعم»، فبادر العباس إلى مهاجمة الذين كانوا على الماء فكشفوهم، حتى شربوا، وسقوا. وهذا يشير إلى أن ما يبرر الحرب ويعطيها مشروعية هو الحق، فمن يكون على الحق، يحق له أن يقاتل لاستنقاذ الحق من أسر البغاة والطغاة والمعتدين.

ويذكرنا هذا الموقف بقول رسول الله «صلى الله عليه وآله» في

(١) المحاسن والمساوئ ص٦١.

حرب بدر لأصحابه: قوموا فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله تعالى لكم(١).

العباس يأتي بالماء:

١ ـ عن حميد بن مسلم: لَمَّا اشتَدَّ عَلَى الحُسَينِ وأصحابِهِ العَطَشُ، دَعَا العَبّاسَ بنَ عَلِيٍّ بن أبي طالِبٍ «عليه السلام» أخاهُ، فَبَعَثَهُ في ثَلاثينَ فارِساً وعِشرينَ راجِلاً، وبَعَثَ مَعَهُم بِعِشرينَ قِربَةً، فَجاؤوا حَتّى دَنَوا مِنَ الماءِ لَيلاً، وَاستَقدَمَ أمامَهُم بِاللِّواءِ نافِعُ بنُ هِلالٍ الجَمَلِيُّ.

فَقالَ عَمرُو بنُ الحَجّاجِ الزُّبَيدِيُّ: مَنِ الرَّجُلُ؟ [في مقتل الحسين للخوارزمي: فَقالَ لَهُ هِلالُ بنُ نافِعٍ الجَمَلِيُّ: أنَا ابنُ عَمٍّ لَكَ مِن أصحابِ الحُسَينِ «عليه السلام»، جِئتُ حَتّى أشرَبَ مِن هذَا الماءِ الَّذي مَنَعتُمونا عَنهُ].

فَقالَ: ما جاءَ بِكَ؟

قالَ: جِئنا نَشرَبُ مِن هذَا الماءِ الَّذي حَلَّأتُمونا عَنهُ.

قالَ: فَاشرَب هَنيئاً. [زاد الخوارزمي قوله: مريئاً].

قالَ: لا وَاللهِ، لا أشرَبُ مِنهُ قَطرَةً وحُسَينٌ «عليه السلام»

(١) بحار الأنوار ج١٩ ص٢٢٥ و ٢٥٤ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٧٤ وتفسير القمي ج١ ص٢٦٤ ومجمع البيان (تفسير) ج٤ ص٤٤٠ والبرهان (تفسير) ج٢ ص٦٥٤ ونور الثقلين (تفسير) ج٢ ص١٣٠ وكنز العرفان في فقه القرآن ج١ ص٣٧٨ وكنز الدقائق (تفسير) ج ٥ ص ٣٠١.

عَطشانُ ومَن تَرى مِن أصحابِهِ! فَطلَعوا عَلَيهِ.

فَقالَ: لا سَبيلَ إلى سَقيِ هؤُلاءِ، إنَّما وُضِعنا بِهذَا المَكانِ لِنَمنَعَهُمُ الماءَ.

فَلَمّا دَنا مِنهُ أصحابُهُ قالَ لِرِجالِهِ: اِملَؤوا قِرَبَكُم، فَشَدَّ الرَّجّالَةُ فَمَلَؤوا قِرَبَهُم.

وثارَ إلَيهِم عَمرُو بنُ الحَجّاجِ وأصحابُهُ، فَحَمَلَ عَلَيهِمُ العَبّاسُ بنُ عَلِيٍّ «عليه السلام» ونافِعُ بنُ هِلالٍ، فَكَفّوهُم. [في الأخبار الطوال: فَجالَدَهُمُ العَبّاسُ «عليه السلام» عَلَى الشَّريعَةِ بِمَن مَعَهُ حَتّى أزالوهُم عَنها].

ثُمَّ انصَرَفوا إلى رِحالِهِم، فَقالوا: اِمضوا، ووَقَفوا دونَهُم، فَعَطَفَ عَلَيهِم عَمرُو بنُ الحَجّاجِ وأصحابُهُ، وَاطَّرَدوا قَليلاً.

ثُمَّ إنَّ رَجُلاً مِن صُداءَ طُعِنَ مِن أصحابِ عَمرِو بنِ الحَجّاجِ، طَعَنَهُ نافِعُ بنُ هِلالٍ، فَظَنَّ أنَّها لَيسَت بِشَيءٍ، ثُمَّ إنَّهَا انتَقَضَت بَعدَ ذلِكَ، فَماتَ مِنها، وجاءَ أصحابُ حُسَينٍ «عليه السلام» بِالقِرَبِ، فَأَدخَلوها عَلَيهِ(١).

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤١٢ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١٢ وأنساب الأشراف ج٣ ص٣٨٩ و (ط دار التعارف) ج٣ ص١٨١ وتجارب الأمم ج٢ ص٧٠ ومقاتل الطالبيين ص١١٧ وعن تذكرة الخواص ص٢٤٨. وراجع: الأخبار الطوال ص٢٥٥ باختصار، وبغية الطلب في تاريخ حلب ج٦ ص٢٦٢٧ وراجع: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٦

٢ ـ وعند الخوارزمي: فَقالَ نافِعٌ: وَيحَكَ كَيفَ تَأمُرُني أن أشرَبَ مِنَ الماءِ وَالحُسَينُ «عليه السلام» ومَن مَعَهُ يَموتونَ عَطَشاً؟!

فَقالَ: صَدَقتَ قَد عَرَفتُ هذا، ولكِن أُمِرنا بِأَمرٍ ولا بُدَّ لَنا أن نَنتَهِيَ إلى ما أُمِرنا بِهِ.

فَصاحَ هِلالٌ بِأَصحابِهِ ودَخَلوا الفُراتَ، وصاحَ عَمرٌو بِأَصحابِهِ لِيَمنَعوا، فَاقتَتَلَ القَومُ عَلَى الماءِ قِتالاً شَديداً.

فَكانَ قَومٌ يُقاتِلونَ وقَومٌ يَملَؤونَ القِرَبَ حَتّى مَلَؤوها.

وقُتِلَ مِن أصحابِ عَمرِو بنِ الحَجّاجِ جَماعَةٌ، ولَم يُقتَل مِن أصحابِ الحُسَينِ «عليه السلام» أحَدٌ.

ثُمَّ رَجَعَ القَومُ إلى مُعَسكَرِهِم بِالماءِ، فَشَرِبَ الحُسَينُ «عليه السلام» ومَن كانَ مَعَهُ.

ولُقِّبَ العَبّاسُ «عليه السلام» يَومَئِذٍ السَّقّاءَ(١).

ونقول:

لا نرى أننا بحاجة إلى التنويه بالخطة الحكيمة التي نفذها العباس

وراجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٤٤ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩١ ولواعج الأشجان ص١١٠ و ١١١ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٩ وج٧ ص٤٣٠ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٩٨ وقاموس الرجال ج١٠ ص٣٣٨.

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٤٤ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩١.

بن علي «رضوان الله تعالى عليه» ومن معه، حتى لقد حصلوا على الماء، ولم تلحق بهم أية خسائر، في حين أنه قد قتل جماعة من عدوهم الذي كان يفوقهم عدداً وعدة بأضعاف كثيرة.

مع أنه لم يكن لتلك الأعداد الكثيرة همّ سوى القتال. أما العباس

الفصل السابع:

لعنك الله ولعن أمانك..

أجيبوه، وإن كان فاسقاً:

١ ـ عن عبد الله بن شريك العامريّ: لَمّا قَبَضَ شِمرُ بنُ ذِي الجَوشَنِ الكِتابَ قامَ هُوَ وعَبدُ اللهِ بنُ أبِي المُحِلِّ ـ وكانَت عَمَّتُهُ أُمُّ البَنينَ ابنَةُ حِزامٍ عِندَ عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ «عليه السلام»، فَوَلَدَت لَهُ العَبّاسَ، وعَبدَ اللهِ، وجَعفَراً، وعُثمانَ ـ فَقالَ عَبدُ اللهِ بنُ أبِي المُحِلِّ بنِ حِزامِ بنِ خالِدِ بنِ رَبيعَةَ بنِ الوَحيدِ بنِ كَعبِ بنِ عامِرِ بنِ كِلابٍ: أصلَحَ اللهُ الأميرَ! إنَّ بَني اُختِنا مَعَ الحُسَينِ، فَإِن رَأَيتَ أن تَكتُبَ لَهُم أماناً فَعَلتَ.

قالَ: نَعَم، ونَعمَةَ عَينٍ.

فَأَمَرَ كاتِبَهُ، فَكَتَبَ لَهُم أماناً، فَبَعَثَ بِهِ عَبدُ اللهِ بنُ أبِي المُحِلِّ مَعَ مَولىً لَهُ يُقالُ لَهُ: كُزمانُ، فَلَمّا قَدِمَ عَلَيهِم دَعاهُم، فَقالَ: هذا أمانٌ بَعَثَ بِهِ خالُكُم.

فَقالَ لَهُ الفِتيَةُ: أقرِئ خالَنَا السَّلامَ، وقُل لَهُ: أن لا حاجَةَ لَنا في أمانِكُم، أمانُ اللهِ خَيرٌ مِن أمانِ ابنِ سُمَيَّةَ.

قالَ: فَأَقبَلَ شِمرُ بنُ ذِي الجَوشَنِ بِكِتابِ عُبَيدِ اللهِ بنِ زِيادٍ إلى

عُمَرَ بن سَعدٍ: فَلَمّا قَدِمَ بِهِ عَلَيهِ فَقَرَأَهُ قالَ لَهُ عُمَرُ: ما لَكَ وَيلَكَ! لا قَرَّبَ اللهُ دارَكَ، وقَبَّحَ اللهُ ما قَدِمتَ بِهِ عَلَيَّ! وَاللهِ إنّي لَأَظُنُّكَ أنتَ ثَنَيتَهُ أن يَقبَلَ ما كَتَبتُ بِهِ إلَيهِ، أفسَدتَ عَلَينا أمراً كُنّا رَجَونا أن يَصلُحَ، لا يَستَسلِمُ ـ وَاللهِ ـ حُسَينٌ، إنَّ نَفساً أبِيَّةً لَبَينَ جَنبَيهِ.

فَقالَ لَهُ شِمرٌ: أخبِرني ما أنتَ صانِعٌ؟ أتَمضي لِأَمرِ أميرِكَ، وتَقتُلُ عَدُوَّهُ، وإلاّ فَخَلِّ بَيني وبَينَ الجُندِ وَالعَسكَرِ.

قالَ: لا، ولا كَرامَةَ لَكَ، وأنَا أتَوَلّى ذلِكَ.

قالَ: فَدونَكَ، وكُن أنتَ عَلَى الرِّجالِ.

قالَ: فَنَهَضَ إلَيهِ عَشِيَّةَ الخَميسِ لِتِسعٍ مَضَينَ مِنَ المُحَرَّمِ.

قالَ: وجاءَ شِمرٌ حَتّى وَقَفَ عَلى أصحابِ الحُسَينِ «عليه السلام»، فَقالَ: أينَ بَنو اُختِنا؟

فَخَرَجَ إلَيهِ العَبّاسُ، وجَعفَرٌ، وعُثمانُ بَنو عَلِيٍّ «عليه السلام»، فَقالوا لَهُ: ما لَكَ وما تُريدُ؟

قالَ: أنتُم يا بَني اُختي آمِنونَ.

قالَ لَهُ الفِتيَةُ: لَعَنَكَ اللهُ ولَعَنَ أمانَكَ! لَئِن كُنتَ خالَنا أتُؤمِنُنا وَابنُ رَسولِ اللهِ «صلى الله عليه وآله» لا أمانَ لَهُ؟!(١).

---

(١) موسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٥٢ و ٥٣ عن تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤١٥ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١٥ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٦ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١٠٤ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٣٢

٢ ـ قالوا: أقبَلَ شِمرُ بنُ ذِي الجَوشَنِ حَتّى وَقَفَ عَلى مُعَسكَرِ الحُسَينِ «عليه السلام» فَنادى بِأعلى صَوتِهِ: أينَ بَنو أُختِنا عَبدُ اللهِ، وجَعفَرٌ، والعَبّاسُ بَنو عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ؟!

فَقالَ الحُسَينُ «عليه السلام» لِإخوَتِهِ: أجيبوهُ وإن كانَ فاسِقاً، فَإِنَّهُ مِن أخوالِكُم!

فَنادَوهُ، فَقالوا: ما شَأنُكَ وما تُريدُ؟

فَقالَ: يا بَني أُختي، أنتُم آمِنونَ، فَلا تَقتُلوا أنفُسَكُم مَعَ أخيكُمُ الحُسَينِ، وَالزَموا طاعَةَ أميرِ المُؤمِنينَ يَزيدَ بنِ مُعاوِيَةَ! [في الأمالي للشجري: هذا أمانٌ لَكَ ولِإِخوَتِكَ مِن أُمِّكَ، أخَذتُهُ لَكَ مِنَ الأَميرِ ـ يَعنِي ابنَ زِيادٍ ـ لِمَكانِكُم مِنّي؛ لِأَنّي أحَدُ أخوالِكُم].

فَقالَ لَهُ العَبّاسُ بنُ عَلِيٍّ «عليه السلام»: تَبّاً لَكَ يا شِمرُ، ولَعَنَكَ اللهُ، ولَعَنَ ما جِئتَ بِهِ مِن أمانِكَ هذا يا عَدُوَّ اللهِ! أتَأمُرُنا أن نَدخُلَ في طاعَةِ العِنادِ، ونَترُكَ نُصرَةَ أخينَا الحُسَينِ «عليه السلام»؟!

قال: فَرَجَعَ الشِّمرُ إلى مُعَسكَرِهِ مُغتاظاً(١).

والإرشاد ج٢ ص٨٩ وإعلام الورى ج١ ص٤٥٤ وليس فيهما صدره إلى «ابن سمية»، وراجع: بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٩٠ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٤١ وإبصار العين ص٥٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٦٥٧.

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٤ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٤٥ و ٢٤٦. وراجع: أنساب الأشراف ج٣ ص٣٩١ و (ط دار التعارف) ج٣

٣ ـ وعند ابن طاووس: فَناداهُ العَبّاسُ بنُ عَلِيٍّ «عليه السلام»: تَبَّت يَداكَ ولُعِنَ ما جِئتَ بِهِ مِن أمانِكَ يا عَدُوَّ اللهِ! أتَأمُرُنا أن نَترُكَ أخانا وسَيِّدَنَا الحُسَينَ بنَ فاطِمَةَ ونَدخُلَ في طاعَةِ اللّعناءِ أولادِ اللّعناءِ؟!

فَرَجَعَ الشِّمرُ إلى عَسكَرِهِ مُغضَباً(١).

وعند الشجري: فَقالَ لَهُ العَبّاسُ: لَعَنَكَ اللهُ ولَعَنَ أمانَكَ! وَاللهِ، إنَّكَ تَطلُبُ لَنَا الأمانَ أن كُنّا بَني أُختِكَ، ولا يَأمَنُ ابنُ رَسولِ اللهِ «صلى الله عليه وآله»؟!(٢).

٤ ـ ويقول ابن أعثم: إن ابن زياد كتب إلى عمر بن سعد يلومه على المُطاوَلَة، ويأمره إن أبى الحسين «عليه السلام» أن ينزل على حكم ابن زياد: أن يقتله هو وأصحابه، ويمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون.

ص١٨٣ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٧ وعن تذكرة الخواص ص٢٤٩ وراجع: الملهوف ص١٤٨ و (نشر أنوار الهدى) ص٥٤ ومثير الأحزان ص٥٥ والأمالي للشجري ج١ ص١٧٥ ولواعج الأشجان ص١١٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٦٠٠ وج٤ ص١٢٩.

(١) الملهوف ص١٤٨ و (نشر أنوار الهدى) ص٥٤ ومثير الأحزان ص٥٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٤١ ولواعج الأشجان ص١١٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٦٠٠.

(٢) الأمالي للشجري ج١ ص١٧٥.

وأمره بعد أن يقتل الحسين «عليه السلام»، فقال: «فَأَوطِئ الخَيلَ ظَهرَهُ وبَطنَهُ، فَإِنَّهُ عاقٌّ شَاقٌّ، قاطِعٌ، ظَلومٌ، فَإذا فَعَلتَ ذلِكَ جَزَيناكَ جَزاءَ الطّائِع المُطيع، وإن أبَيتَ ذلِكَ فَاقطَع حَبْلَنا وجُندَنا، وسَلِّم ذلِكَ إلى شِمرِ بنِ ذِي الجَوشَنِ؛ فَإِنَّهُ أحْزَمُ مِنكَ، وأمضى مِنكَ عَزِيمَةً ـ والسلام ـ.

وطَوَى الكتاب وأراد أن يسلمه إلى رجل يقال له: عبد الله بن [أبي المحل بن] حزام العامري.

فقال: أصلح الله الأمير! إن علي بن أبي طالب قد كان عندنا ههنا بالكوفة، فخطب إلينا فزوجناه بنتاً يقال لها: أم البنين بنت حزام، فولدت له عبد الله، وجعفراً، والعباس، فهم بنو أختنا، وهم مع الحسين أخيهم، فإن رسمت لنا أن نكتب إليهم كتاباً بأمان منك عليهم متفضلاً!

فقال عبيد الله بن زياد: نعم، وكرامة لكم، اكتبوا إليهم بما أحببتم، ولهم عندي الأمان.

قال: فكتب عبد الله بن [أبي] المحل بن حزام إلى عبد الله، والعباس، وجعفر بني علي «رضي الله عنهم» بالأمان من عبيد الله بن زياد، ودفع الكتاب إلى غلام له يقال له: عرفان، فقال: سر بهذا الكتاب إلى بني أختي، بني علي بن أبي طالب «رحمة الله عليهم»، فإنهم في عسكر الحسين «رضي الله عنه»، فادفع إليهم هذا الكتاب، وانظر ماذا يردون عليك.

قال: فلما ورد كتاب عبد الله بن أبي المحل على بني علي، ونظروا فيه، أقبلوا به إلى الحسين، فقرأه وقال له: لا حاجة لنا في

أمانك، فإن أمان الله خير من أمان ابن مرجانة.

قال: فرجع الغلام إلى الكوفة، فخبر عبد الله بن [أبي] المحل بما كان من جواب القوم.

قال: فعلم عبد الله بن [أبي] المحل أن القوم مقتولون(١).

ونقول:

لا بأس بملاحظة الأمور التالية:

هذه سياسة، وليست خلقاً ومبادئ:

إن سيرة ابن زياد تدل عليه، فهي مليئة بالموبقات والجرائم، حافلة بالغدر، والمكر ونكث العهود، وسفك دماء الأبرياء، وقتل الأبرار والأخيار، والأئمة، والعلماء، وغير ذلك مما يقصر البيان عن وصف بشاعته وفظاعته. ومع شدة نصبه وبغضه لعلي وذريته وشيعته. كيف نفهم مسارعته لإجابة طلب عبد الله بن أبي المحلى بأن يكتب له كتاب أمان للعباس وإخوته الثلاثة؟!

مع أنهم أبغض الخلق إليه؟! فهل أدركته نفحة أريحية، أو خلق كريم، دفعه إلى ذلك؟!

وهل يعد هذا فضيلة له؟!

ونجيب:

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٣ و ٩٤ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٤٦.

بأن استجابته هذه لو كانت لدوافع إيمانية أو إنسانية، لكان للحديث عنها في هذا السياق مجال، ولكن الأمر ليس كذلك، بل هي لدوافع شيطانية خبيثة، فيجب أن تعد من مخازيه، ورذائله، فإن من يوغل في الموبقات والمآثم، ويسفك دماء الأولياء والأئمة والأوصياء، ولو وجد من الأنبياء أحداً لم يتورع عن سفك دمه، لا يوفق للأعمال الصالحة، لأنها تتنافر مع طبعه، ومع خبث باطنه، وهل تجتمع النار مع الماء، والظلمة مع الضياء، والأرض مع السماء.

فهو يرى أنه سيربح في هذا المسعى في أكثر من اتجاه..

فأولاً: إن هذه الموافقة تكسبه نصرة ومودة وولاء طائفة كبيرة من الناس الذين تنتسب إليهم أم البنين «رضوان الله تعالى عليها»..

ثانياً: إن هذه الموافقة قد تسهم في تلميع صورته لدى بعض الناس، ويشد أنظارهم إليه..

ثالثاً: هو يكسر جناح الإمام الحسين «عليه السلام»، ويسدد له ضربة معنوية، ويحد من مستوى التعاطف معه، ويجعل الكثيرين من قصار النظر يرتابون في سلامة مساره، وصحة قراره «عليه السلام».

فقد يدور بخلد بعض قاصري النظر: أنه إذا كان إخوته «عليه السلام» قد تخلوا عنه، وأسلموه إلى القتل، فلماذا يقتل الآخرون أنفسهم معه.. كما أنه لو لم يكن إخوته القريبون منه، الواقفون على دقائق أموره قد عاينوا منه ما جعلهم ينفرون منه لما تخلوا عن

نصرته.

أو فقل: إن ذلك قد يثير الريب لدى بعض ضعفاء النفوس، في عدالة القضية التي يتبناها، أو في قدرته على إنجاحها، أو في درجة إخلاصه لها.. وما إلى ذلك.

الأمان لأربعة أشخاص:

١ ـ تقدم في رواية الطبري أن أبناء أم البنين كانوا أربعة، هم: العباس، وعبد الله، وجعفر، وعثمان. لكن ابن أعثم ذكر ثلاثة منهم، وأهمل ذكر عثمان. فهل كان ذلك منه عن عمد، أو أن الراوي أسقطه سهواً؟! كلاهما محتمل..

٢ ـ إن الطبري الذي صرح بأسماء الأربعة: العباس، وعبد الله، وجعفر، وعثمان. قد عاد وناقض نفسه في نفس الرواية فذكر أسماء ثلاثة منهم، وأهمل الرابع، وهو عبد الله.

٣ ـ كما أن الرواية المتقدمة برقم [٢] و [٤] ذكرت أسماء ثلاثة وأهملت ذكر عثمان..

متى تزوج علي × أم البنين؟!:

وذكرت رواية ابن أعثم: أن علياً «عليه السلام» كان عندهم في الكوفة فخطب أم البنين فزوجوه إياها، فقد يقال: إن هذا أيضاً اشتباه وغلط، فإن علياً «عليه السلام» إنما تزوج أم البنين قبل أن يقدم الكوفة بسنوات. والشاهد على ذلك: أنهم ذكروا في العباس «عليه السلام»: أنه ولد

في سنة ست وعشرين(١).

ويجاب:

بأن قول ابن أعثم: إن علي بن أبي طالب قد كان عندنا هاهنا بالكوفة، فخطب الينا فزوجناه الخ.. لا صراحة له في أن ذلك كان أيام خلافته، فلعله «عليه السلام» قدم الكوفة في إحدى السنين قبل خلافته التي بدأت في سنة ٣٥ هجرية. وكأن يكون قدم الكوفة لزيارة مسجد الكوفة وغيره من البقاع المباركة. أو قدمها لزيارة عمار بن ياسر حين كان والياً عليها، أو لأي أمر آخر..

توضيحان:

ونوضح هنا أمرين:

أحدهما: تقدم: أن الشمر حين طالب ابن سعد بتنفيذ مطالب ابن زياد بقتل الحسين، أو يعتزل، رفض ابن سعد ذلك وقال: لا، ولا كرامة. أنا أتولى ذلك.

قال: فدونك، وكن أنت على الرجالة.

فقوله: قال: فدونك ليس من كلام الشمر كما قد توهمه كلمة «قال». بل هي من كلام الراوي الذي قطع بها المشهد السابق الذي انتهى برفض ابن سعد طلب الشمر. ثم رتب ابن سعد على رفضه هذا ما يؤكده عملياً، حيث جعل الشمر على الرجالة..

---

(١) مستدركات علم رجال الحديث ج٤ ص٣٥٠.

الثاني: ورد في النص المتقدم برقم [٢] قوله: أتأمرنا أن ندخل في طاعة العناد، ونترك نصرة أخينا؟!

فإن كلمة: العناد محرفة ـ سهواً أو عمداً ـ عن كلمة: «اللعناء» الواردة في كلام ابن نما وابن طاووس.

إياكم والمثلة:

وتقدم: أن ابن زياد أمر عمر بن سعد، بأن يقتل الحسين وأصحابه، ثم يمثل بهم، فإنهم لذلك مستحقون..

وأمره بالنسبة للحسين خاصة: أن يوطئ الخيل ظهره وبطنه [صدره] بعد قتله.

ونلفت نظر القارئ:

أولاً: إلى ما ورد عن النبي «صلى الله عليه وآله»، من التحذير والنهي الأكيد عن المثلة في الإنسان وحتى في الحيوان..

ثانياً: لا ندري ما هي الأمور التي تجعل الإنسان مستحقاً للمثلة به، وإذا كان ثمة ما يكون سبباً في هذا الاستحقاق، فلماذا حذر رسول الله «صلى الله عليه وآله» من المثلة بهذه الشدة والحدة، فقال: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور؟!(١).

---

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٣ ص٧٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٩ ص١٢٨ و (الإسلامية) ج١٩ ص٩٦ ومستدرك الوسائل ج١٨ ص٢٥٦ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٤ ص١٦٨ و مستدرك سفينة

ولماذا أطلق نهيه هذا، ولم يستثن المواد التي يستحق فيها الناس أن يمثل بهم؟!

إلا إذا كان لابن زياد شريعة ودين خاص به، أوحاه إليه الشيطان، وما يأتي به الشيطان يختلف عن دين الإسلام، والشريعة التي جاء بها رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ثالثاً: لعل ابن زياد قد انطلق في أقواله وأفعاله هذه بالإمام الحسين وأصحابه من أحد أمور أربعة، أو منها جميعها:

أحدها: الحقد الهائل الذي كان يغلي في صدره على جميع الصالحين، وعلى رأسهم الأنبياء والأئمة والأولياء، والأخيار، للمنافرة والمناقضة فيما بينه وبينهم.

الثاني: إنه كان يريد بهذه التصرفات: كالمثلة، وأن تطأ الخيل صدره المقدس «عليه السلام» وظهره، ثم قطع رؤوس الشهداء، وسبي

البحار ج٩ ص٣٢٨ ونهج السعادة ج٧ ص١١٧ ومجمع الزوائد ج٦ ص٢٤٩ وج٩ ص١٤٢ والمعجم الكبير ج١ ص١٠٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٦ ونصب الراية ج٣ ص٢٢٤ والكامل في التاريخ ج٣ ص٣٩١ وتنزيه الأنبياء للمرتضى ص٢١٨ والمناقب للخوارزمي ص٣٨٦ وكشف الغمة ج٢ ص٦٠ والفصول المهمة لابن الصباغ ج١ ص٦٢٣ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص١٠٣ وينابيع المودة ج٢ ص٣٠ وج٣ ص٤٤٥ وروضة الواعظين ص١٣٧ والإختصاص للمفيد ص١٥٠ وذخائر العقبى ص١١٦ وبحار الأنوار ج٤٠ ص١٠٥ وج٤٢ ص٢٤٦ و ٢٥٧ و ٢٨٨ والغدير ج١١ ص٦١.

النساء، وما إلى ذلك، كسر الهيبة، وإزالة حالة التقديس للحسين «عليه السلام» وأهل البيت من نفوس الناس. والنزول بهم إلى أدنى الدرجات، وتكريس الإحساس بضآلة أمرهم، وصغر شأنهم، وبوار عزهم..

الثالث: يأتي في هذا السياق إظهار حالة من البشاعة في المنظر، تنفر منها الطباع، وتشمئز منها النفوس.

الرابع: التأثير على روحيات الناس، بإفهامهم: أنه ليست هناك حدود للبطش في من يتوهم أن له الحق في الاعتراض على الحاكم، أو أن له حقاً عنده يمكن أن يطالبه به في يوم ما.. فإنه إذا كان هذا هو مصير أقدس الناس على وجه الأرض، وأعلمهم، وأفضلهم، واكرمهم على الله ورسوله، فكيف سيكون مصير أي إنسان آخر؟! فإنه مهما بلغ مقامه، وعلا شأنه لن يصل إلى مقام الحسين «عليه السلام» في الأمة..

أجيبوه، فإنه من أخوالكم:

رأينا: أن الحسين «عليه السلام» قال للعباس وإخوته حين ناداهم شمر بن ذي جوشن: أجيبوه، وإن كان فاسقاً، فإنه من أخوالكم. فيثور هنا سؤال عن سبب إلزام الإمام إخوته بإجابة رجل فاسق مجرم، استناداً إلى أنه من أخوالهم.

فإن هذا الاستناد يعطي: أن الخؤلة تكفي لإلزامهم بالإجابة. فكيف يمكن فهم ذلك.

ونجيب:

أولاً: بإن كلمة «أجيبوه» في مثل هذا المورد لا تفيد الإلزام، لأنها واردة في مقام توهم الخطر، أو توهم مرجوحية عدم إجابته.

ويشهد لما نقول:

قوله: وإن كان فاسقاً. فإنه يشير إلى أن فسق وإجرام الشمر، أو عمر بن سعد من شأنه أن يجعل إجابته ممنوعة، أو مرجوحة على أقل تقدير.

ثانياً: إن قوله «عليه السلام»: فإنه من أخوالكم. كأنه يريد أن يشير به إلى أن هذه القرابة إن كان لها أثر إيجابي على صعيد المراعاة، فإن فسق وانحراف المتلبس بهذه القرابة من شأنه أن يطيح بذلك الأثر، إلا أن لكم أن تفترضوا ـ إنطلاقاً من خلقكم الرضي، وعلى سبيل التكرم، وغض البصر، ومن موقع الشمم، وبعد الهمم ـ أن ذلك الأثر الإيجابي لم يسقط، وأن المطلوب هو إجابة ندائه، لمعرفة ما جاء به، فعسى ولعل أن يكون هو قد استيقظ من غفلته، وأصبح بصدد مراعاة ما توجبه عليه الرحم، من صيانة وحفظ، وصلة، وأداء للحق والإلزام والالتزام به.

ولكن المفاجأة كانت تكمن في أنهم حين أجابوه وسألوه عما يريد، ظهر لهم: أنه جاء ليطلب منهم ليس فقط أن يقطعوا رحمهم الأقرب إليهم ـ وهو أخوهم ـ بل وأن يتخلوا عنه، وأن يكونوا بهذه القطيعة قد سهلوا على أعدائه الفتك به، وبجميع أصحابه، وسبي نسائه، مع أنه الإمام المعصوم، والهادي والمرشد، والعالم الرباني، وهو سيدهم

وفخرهم وعزهم، ورائدهم إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

ولعله لو لم يكن لإجابتهم الشمر إلا هذه الفضيحة له لكفاه خزياً في الدنيا والآخرة.

الحسين × عاق، شاق قاطع ظلوم:

وحين أمر ابن زياد عمر بن سعد بأن يقتل الحسين «عليه السلام»، ويوطئ الخيل ظهره وبطنه علل ذلك بقوله ـ حسب رواية ابن أعثم والطبري وغيرهما ـ: فإنه عاق، شاق، قاطع ظلوم.

وسؤالنا هو: عن مقصود عبيد الله بن زياد بهذه الأمور الأربعة، وعن صدقه في مزاعمه هذه، فقد وصفه:

أولاً: بأنه «عاق»، فلمن كان الحسين «عليه السلام» عاقاً، وما هي مفردات عقوقه له، فإن كان عاقاً ليزيد وبني أمية فإنما يكون العقوق لصاحب الفضل، والمنعم، وذي الحق. وأي فضل، وأية نعمة، وأي حق كان ليزيد وبني أمية على الإمام الحسين «عليه السلام»؟!

ألم يكن يزيد وبنو أمية هم الغدرة والمعتدون على الله ورسوله وأهل بيته، والناقضون لعهودهم، والمتآمرون عليهم، والمبطلون لتدبيرهم، والغاصبون لحقوقهم؟!

ثانياً: وصف عبيد الله بن زياد الإمام الحسين «عليه السلام»: بأنه «شاق». أي شاق لعصا المسلمين، بسبب عدم بيعته ليزيد وبني أمية..

ونجيب:

بأنه متى وجبت طاعة هذا الطاغية، القاتل للنفس المحترمة،

الشارب للخمر، والفاسق والباغي على الإمام الحسين «عليه السلام»؟! فإن الحسين «عليه السلام» لم يبايعه، كما أنه قد تسلط على الأمة بالغدر والقهر، ونكث العهد الذي أعطاه أبوه للإمام الحسين «عليه السلام» نفسه..

فإن أباه كان قد شرط على نفسه أن لا يعهد لأحد بعده، وأن يكون الأمر من بعده للحسن، ثم للحسين، ثم نقض شرطه، وخان عهده، وعهد لولده. ولا شرعية لخلافة تقوم على الغدر، ونقض العهد..

ثالثاً: قد وصف ابن زياد الحسين «عليه السلام» بأنه «قاطع». والمراد: أنه قاطع لبني أمية، أو للرحم.

والسؤال هو: متى كانت الحبال موصولة ليقال: إنها قد قطعت؟! فإن الحروب التي أثارها معاوية ضد علي، ثم ضد الحسن «عليهما السلام»، قد قطعت كل صلة، ثم جاء نقضه لعهده، وإخلاله بما شرط على نفسه، حين جعل ولده ولياً لعهده استمراراً لقطيعته التي كان بنو أمية قد بدأوها قبل عشرات السنين، بل من عهد النبي «صلى الله عليه وآله».

رابعاً: قد وصف ابن زياد الإمام الحسين «عليه السلام»: بأنه «ظلوم» ويا ليته ذكر لنا هو، أو أي كان من الناس مفردة واحدة من مفردات ظلم الإمام الحسين «عليه السلام».

وهل يمكن أن يكون سيد شباب أهل الجنة ظالماً، أو ظلوماً؟! فإنه لو كان كذلك للزم أن يكون جعله سيد شباب أهل الجنة ظلماً أيضاً. فهل يمكن نسبة هذا الأمر القبيح إلى الله سبحانه، وهو يقول: **(وَقَدْ**

خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا)[١].

ويقول: **(وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)**؟![٢]..

وأليست نسبة الظلم إلى الحسين «عليه السلام» قد جاءت على قاعدة: رمتني بدائها وانسلت؟! وإذا لم تستح فاصنع ما شئت.

---

(١) الآية ١١١ من سورة طه.

(٢) الآية ٤٦ من سورة فصلت.

الباب العاشر:

اليوم التاسع وليلة العاشر..

الفصل الأول:

من أحداث اليوم التاسع..

بداية:

هناك أحداث عديدة جرت في اليوم التاسع من شهر المحرم على الإمام الحسين «عليه السلام» وأهل بيته وصحبه «رضوان الله تعالى عليهم». ونحن نذكر في هذا الفصل ما وفقنا الله تعالى للاطلاع عليه، وأرشدتنا المصادر التي بين أيدينا إليه، فنقول:

متى بدأت المواجهة؟!:

١ ـ عن سعد بن عبيدة: إنّا لَمُستَنقِعونَ فِي الماءِ مَعَ عُمَرَ بن سَعدٍ، إذ أتاهُ رَجُلٌ، فَسارَّهُ وقالَ لَهُ: قَد بَعَثَ إلَيكَ ابنُ زيادٍ جُوَيرِيَة بنَ بَدرٍ التَّميمِيَّ، وأمَرَهُ إن لَم تُقاتِلِ القَومَ أن يَضربَ عُنُقَكَ.

قالَ: فَوَثَبَ إلى فَرَسِهِ فَرَكِبَهُ، ثُمَّ دَعا سِلاحَهُ (لعل الصحيح: بسلاحه) فَلَبِسَهُ، وإنَّهُ عَلى فَرَسِهِ، فَنَهَضَ بِالنّاسِ إلَيهِم، فَقاتَلوهُم(١).

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٩٣ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٩٥ وأنساب الأشراف ج٣ ص٤٢٤ و (ط دار التعارف) ج٣ ص٢٢٦ وفيه: ابن حويرة بدل بن بدر، وتاريخ مدينة دمشق ج٤٥ ص٥٣ والبداية والنهاية ج٨

٢ ـ عن أبي مخنف، عن سليمان بن أبي راشد، عن حميد بن مسلم: إنَّ عُبَيدَ اللهِ بنَ زِيادٍ دَعا شِمرَ بنَ ذِي الجَوشَنِ، فَقالَ لَهُ: أُخرُج بِهذَا الكِتابِ إلى عُمَرَ بن سَعدٍ، فَليَعرِض عَلَى الحُسَينِ وأصحابِهِ النُّزولَ عَلى حُكمي، فَإِن فَعَلوا فَليَبعَث بِهِم إلَيَّ سِلماً، وإن هُم أبَوا فَليُقاتِلهُم، فَإِن فَعَلَ فَاسمَع لَهُ وأطِع، وإن هُوَ أبى فَقاتِلهُم، فَأَنتَ أميرُ النّاسِ، وثِب عَلَيهِ، فَاضرِب عُنُقَهُ، وَابعَث إلَيَّ بِرَأسِهِ.

قالَ أبو مِخنَفٍ: حَدَّثَني أبو جَنابٍ الكَلبِيُّ، قالَ: ثُمَّ كَتَبَ عُبَيدُ اللهِ بنُ زِيادٍ إلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ:

أمّا بَعدُ، فَإِنّي لَم أبعَثكَ إلَى حُسَينٍ لِتَكُفَّ عَنهُ ولا لِتُطاوِلَهُ، ولا لِتُمَنِّيَهُ السَّلامَةَ وَالبَقاءَ، ولا لِتَقعُدَ لَهُ عِندي شافِعاً...

أُنظُر، فَإِن نَزَلَ حُسَينٌ وأصحابُهُ عَلَى الحُكمِ، وَاستَسلَموا، فَابعَث بِهِم إلَيَّ سِلماً، وإن أبَوا فَازحَف إلَيهِم حَتّى تَقتُلَهُم، وتُمَثِّلَ بِهِم؛ فَإِنَّهُم لِذلِكَ مُستَحِقّونَ! فَإِن قُتِلَ حُسَينٌ فَأَوطِئِ الخَيلَ صَدرَهُ وظَهرَهُ؛ فَإِنَّهُ عاقٌّ، مُشاقٌّ، قاطِعٌ ظَلومٌ!!

ولَيسَ دَهري في هذا أن يُضَرَّ بَعدَ المَوتِ شَيئاً، ولكِن عَلَيَّ قَولٌ لَو قَد قَتَلتُهُ فَعَلتُ هذا بِهِ!!

إن أنتَ مَضَيتَ لِأَمرِنا فيهِ جَزَيناكَ جَزاءَ السّامِعِ المُطيعِ، وإن أبَيتَ فَاعتَزِل عَمَلَنا وجُندَنا، وخَلِّ بَينَ شِمرِ بنِ ذِي الجَوشَنِ وبَينَ العَسكَرِ،

ص١٧١و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٨٥ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج٦ ص٢٦٣٨.

فَإِنّا قَد أمَرناهُ بِأَمرِنا، وَالسَّلامُ.

زاد أبو حنيفة الدينوري قوله: «فَنادى عُمَرُ بنُ سَعدٍ في أصحابِهِ أن انهَدوا إلَى القَومِ»(١).

٣ ـ قال الخوارزمي: إن هناك من يقول:

إنَّ عُبَيدَ اللهِ بنَ زيادٍ دَعا حُوَيرَةَ بنَ يَزيدَ التَّميمِيَّ، وقالَ: إذا وَصَلتَ بِكِتابي إلى عُمَرَ بن سَعدٍ، فَإِن قامَ مِن ساعَتِهِ لِمُحارَبَةِ الحُسَينِ فَذاكَ، وإن لَم يَقُم فَخُذهُ وقَيِّدهُ، وَاندُب شَهرَ بنَ حَوشَبٍ لِيَكونَ أميراً عَلَى النّاس.

فَوَصَلَ الكِتابُ، وكانَ فِي الكِتابِ: إنّي لَم أبعَثكَ ـ يَا ابنَ سَعدٍ ـ

---

(١) موسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٥٠ و ٥١ عن المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤١٤ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١٤ وأنساب الأشراف ج٣ ص٣٩٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٥ ص٥١ وليس فيه زيادة من: قال أبو مخنف إلى الأخير، والإرشاد للمفيد ج٢ ص٨٨ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٧ وروضة الواعظين ص٢٠١ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٨٢ وإعلام الورى ج١ ص٤٥٣ كلها نحوه، وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٩٠ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٤١ وراجع: الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٦٦ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٠٠ و ٣١١ والأخبار الطوال ص٢٥٥ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج٦ ص٢٦٢٧ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٦ مختصر عنه، ولواعج الأشجان ص١١٤ وتجارب الأمم ج٢ ص٧٢ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٥ وأعيان الشيعة ج١ ص٦٠٠ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١٠١ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٣١.

لِمُنادَمَةِ الحُسَينِ، فَإذا أتاكَ كِتابي فَخَيِّرِ الحُسَينَ بَينَ أن يَأتِيَ إلَيَّ وبَينَ أن تُقاتِلَهُ.

فَقامَ عُمَرُ بنُ سَعدٍ مِن ساعَتِهِ، وأخبَرَ الحُسَينَ «عليه السلام» بذلِكَ.

فَقالَ لَهُ الحُسَينُ «عليه السلام»: أخِّرني إلى غَدٍ(١).

ونقول:

هل هذا تصحيف؟!:

١ ـ قوله في النص الأخير المتقدم: «..واندب شهر بن حوشب ليكون أميراً على الناس..» لعله تصحيف عن شمر بن ذي الجوشن، لتقارب رسم الخط بينهما، وقد مر معنا نظير هذا في مورد آخر.

ويؤيد ما قلناه: أن سائر النصوص التي حفلت بها المصادر المختلفة تذكر: شمر بن ذي الجوشن، لا شهر بن حوشب.

٢ ـ كما أن الظاهر: أن حويرة بن يزيد التميمي مصحف عن جويرية بن بدر التميمي، أو العكس.

التكرار في النصوص:

يلاحظ القارئ الكريم: أن ثمة تكراراً في النصوص، كنا نود أن نتحاشى الوقوع فيه، ولكننا وجدنا: أن ذلك قد يضيع بعض الفوائد

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٤٥.

والعوائد على القارئ الكريم، فرضينا بارتكاب هذا القدر من التكرار، لكي يبقى القارئ قادراً على استيعاب النصوص، بصورة أكثر وضوحاً.

كما أن ذلك يفيد في تلمس مرامي الرواة والمؤرخين، وأهدافهم من صياغاتهم للأحداث، ومن طريقة عرضهم لها.. فيلاحظ ذلك..

عجلة ابن زياد:

قد يتوهم: أن ما تقدم، من أن ابن زياد أمر رجلاً بقتل عمر بن سعد إن لم يقاتل الحسين «عليه السلام» يدل على أن ابن سعد كان مكرهاً على قتال الحسين «عليه السلام». وقد يكون هناك من يرى: أن هذا يخفف من ذنبه، ويجعل الجرم الأكبر على غيره.

ونقول:

لو أغمضنا النظر عن القرائن الكثيرة التي أظهرتها تصرفات ابن سعد، والدلالة على رغبته في تولي هذا الأمر، فإننا نقول: إن هذا التوهم، باطل من أساسه، لما يلي:

أولاً: إن ابن زياد لم يكن يثق بابن سعد، لأنه أدرك أن ابن سعد خائف من عواقب هذا الأمر عليه، أي أن ابن سعد حين كان يظهر تردده لم يكن ذلك منه خوفاً من الله تعالى، ومن عقابه وعذابه.. بل لأنه يخشى من أن يصبح موضع نقمة الناس، ويتعرض للخطر والضرر.

ثانياً: إنه هو نفسه يصرح في الشعر المعروف عنه بأن رغبته

في ملك الري هي التي حملته على قتل الحسين «عليه السلام».

ثالثاً: قد صرح ابن زياد: بأن ابن سعد إن لم يقاتل الحسين «عليه السلام»، فإنه لا يكرهه على ذلك، كما في الفتوح لابن أعثم، بل يكتفي باسترجاع العهد الذي كتبه له على الري.

رابعاً: إن ابن زياد كان في عجلة من أمره، فإنه يخشى أن تستجد أمور وأحوال، يتمكن فيها الإمام الحسين «عليه السلام» من الخروج من هذه الضائقة، ويأمن من هذا الخطر الذي يواجهه، فكانت كل لحظة تمر على ابن زياد، يكون فيها الإمام «عليه السلام» على قيد الحياة بمثابة كابوس شديد الوطأة عليه، ولأجل ذلك كان يوالي رسائله إلى ابن سعد يحثه فيها على الإسراع في هذا الأمر.. ويهدده على تأخره، ولا يهدده بهدف إكراهه على نفس ارتكاب هذه الجريمة، فهو يعلم أنه راغب ومقتنع بارتكابها..

كما أن ابن زياد ـ فيما يبدو ـ قد اختار ابن سعد لهذا الأمر، لأنه يريد لهذا الأمر أن يتم على يد أحد أبناء الصحابة، ومن يعد من قريش، وابن أحد أركان الشورى العمرية التي أتت بعثمان أول خليفة أموي.. لكي يوهم الناس أن قوم الحسين «عليه السلام» هم الذين ضاقوا ذرعاً به وقتلوه.

هل حصلت حرب في اليوم التاسع؟!:

ذكرت رواية سعد بن عبيد: أن ابن سعد لما علم أن ابن زياد قد أمر جويرية بقتله، إن لم يبادر إلى قتال الحسين «عليه السلام» وثب

إلى فرسه، ونهض الناس إلى الحسين وأصحابه، فقاتلوهم.

ولم تحدد هذه الرواية الوقت الذي حصل فيه ذلك، ولكن الرواية التي ذكرها الخوارزمي ذكرت أن ابن زياد أمر جويرية بما تقدم، وكتب إلى ابن سعد، فلما وصل إليه الكتاب قام من ساعته، وأخبر الحسين «عليه السلام» بذلك، فقال له «عليه السلام»: أخِّرني إلى الغد.. فهذا يدل على أن هذا القتال قد حصل في اليوم التاسع قبل التأجيل إلى الغد.

كما أن الدينوري قد صرح: بأن ابن سعد لما وصل إليه كتاب ابن زياد بتولية شمر إن استمر على المماطلة، قال لأصحابه: إنهدوا إلى القوم.

ومعنى هذا: أن كتاب ابن سعد قد وصل إليه في اليوم التاسع. فإن كان قد وصل إليه الخبر عن مهمة جويرية بن بدر أيضاً في نفس تلك اللحظة، فلا بد أن يكون القتال قد بدأ في اليوم التاسع على شكل مناوشات لم تصل إلى مستوى الحرب الشاملة، ثم جرت اتصالات بين الفريقين انتهت بتأجيل المعركة الفاصلة إلى اليوم التالي..

علماً بأن تحرك ابن سعد بجيشه نحو الحسين «عليه السلام» إنما كان بعد صلاة العصر من اليوم التاسع كما سيأتي في النص التالي.. والانتقاع بالماء في هذا الوقت طبيعي ومتوقع..

ولعل هذا الاحتمال أولى بالاعتماد والاعتبار من احتمال أن يكون خبر جويرية بن بدر، وكتاب ابن زياد قد وصلا إلى ابن سعد

في اليوم العاشر. فإن الحرب قد بدأت في اليوم العاشر بعد صلاة الصبح مباشرة.. ومن البعيد أن يستنقع عمر بن سعد وأصحابه في الماء في هذه الساعة..

على أنه إذا كان من الثابت أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد استمهل ابن سعد تلك الليلة لكي يحييها «عليه السلام» هو وأصحابه بالعبادة والدعاء والتهجد، فمن البعيد أن يستنقع الطرف الآخر بالماء بعد صلاة الفجر في اليوم التالي، بل ينشغل بتكتيب الكتائب، وتنظيم الصفوف، وتحديد المهمات، وما إلى ذلك.

من المكلف بقتل ابن سعد؟!:

قد يقال: إن النصوص التي ذكرناها آنفاً، ونصوصاً أخرى تقدمت تظهر تناقضاً واختلافاً. فهل بعث ابن زياد الشمر إلى ابن سعد لكي ينذره بلزوم المبادرة إلى قتال الحسين «عليه السلام» فإن لم يفعل، فليتولى الشمر أمر الجيش، وليضرب عنق ابن سعد. أو أن الذي أمره ابن زياد بقتل ابن سعد إن تلكأ عن قتال الحسين هو جويرية بن بدر؟!

أو أنه أمر جويرية، إن لم يقاتل ابن سعد الحسين «عليه السلام»: أن يأخذه ويقيده، ويندب شهر بن حوشب ليكون على الناس؟!

ويجاب بما يلي:

١ ـ إن هذه النصوص غير متناقضة، إذ يمكن أن يكون قد أرسل الشمر أولاً، فلما أصر ابن سعد على أن يكون هو متولي القتال،

وعطل دور الشمر، وأبطأ مرة أخرى في أمر القتال، عاد ابن زياد إلى التأكيد عليه في ذلك، ثم أرسل جويرية إليه بنفس ما كان قد أمر به شمراً.

٢ ـ إن ما ورد في بعض النصوص المتقدمة ـ وهو الأخير ـ، من أن ابن زياد أمر جويرية بأخذ ابن سعد وتقييده لا ينافي ما ذكر في النص الأول المتقدم، من أنه أمر جويرية بأن يضرب عنق ابن سعد. إذ لعله أمره أولاً بتقييده، ثم بدا له في ذلك، فعاد وأمره بقتله.

لا نذر ولا عهد في معصية الله:

وتقدم: أن عبيد الله بن زياد «لعنه الله» أراد أن يبرر أوامره لابن سعد بالمثلة بالحسين وأصحابه، بعد قتلهم، وبأن يوطئ الخيل صدره وظهره، بأنه يعلم أن ذلك لا يضر الميت. ولكنه أراد أن يفي بما كان قد قطعه على نفسه، بأن يفعله بالإمام الحسين «عليه السلام».

ونقول:

أولاً: بعد أن اعترف ابن زياد: بأن هذا العدوان على الأموات لا يضرهم شيئاً، فهو إذن يحكم على نفسه بأحد أمرين:

١ ـ فإما هو سفيه، طائش، أرعن، لا ينطلق في تصرفاته من وعي وفكر، ولا يتحكم عقله بحركته، ولا يهيمن على افعاله.. فيقدم على فعل ما لا أثر له، ولا فائدة فيه.

٢ ـ وإما أنه لا يسيطر على نفسه، ولا يقدر على ضبط مشاعره وانفعالاته، بسب الحقد الذي يعتلج في صدره، فيمارس أبشع انواع

الجرائم، حتى في حق الأئمة الأتقياء، وأوصياء الأنبياء. فكيف إذا علقت مخالبه بمن هو من عامة الناس، ممن لا حول لهم ولا قوة؟!

ثانياً: روي عنهم «عليهم السلام»: «ولا نذر في معصية»، أو نحو ذلك(١).

وروي أيضاً: «لا يمين في معصية الله»، أو نحو ذلك(٢). وحكم العهد أيضاً كذلك.

ملاحظة: لعل ابن زياد أراد التخفيف من قبح ما يقدم عليه، ويحدَّ من درجة الملامة له، والإستهجان لفعله، حتى من قبل أنصاره ومؤيديه، فقدَّم لهم عذراً هو أقبح من ذنب، لأنه يتضمن الرد على الله ورسوله، بجعله هذه الجريمة الهائلة مورداً للعهد، أو النذر، أو اليمين التي لا مورد ولا أثر لها في الإلزام، أو في الطاعات ـ كما قلنا.

يا خيل الله اركبي:

عن أبي مخنف، عن الحارث بن حصيرة، عن عبد الله بن شريك العامريّ ـ في ذِكرِ ما حَدَثَ في عَصرِ يَومِ التّاسوعاءِ ـ: إنَّ عُمَرَ بنَ سَعدٍ نادى: يا خَيلَ اللهِ اركَبي، وأبشِري! [في الطبقات الكبرى: قَدِمَ

____

(١) الأحاديث في ذلك كثيرة، فراجع: وسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٣ ص٣١٧ ـ ٣٢١ و (الإسلامية) ج١٦ ص١٩٩ ـ ٢٠٢.

(٢) الأحاديث في ذلك كثيرة، فراجع: وسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٣ ص٢١٧ ـ ٢٢٣ و (الإسلامية) ج١٦ ص١٢٩ ـ ١٣٣.

شِمرُ بنُ ذِي الجَوشَنِ الضِّبابِيُّ عَلى عُمَرَ بن سَعدٍ بِما أمَرَهُ بِهِ عُبَيدُ اللهِ، عَشِيَّةَ الخَميس، لِتِسعٍ خَلَونَ مِنَ المُحَرَّمِ، سَنَةَ إحدى وسِتّينَ بَعدَ العَصر، فَنودِيَ فِي العَسكَرِ فَرَكِبوا] فَرَكِبَ فِي النّاس، ثُمَّ زَحَفَ نَحوَهُم بَعدَ صَلاةِ العَصر، وحُسَينٌ «عليه السلام» جالِسٌ أمامَ بَيتِهِ، مُحتَبِياً بِسَيفِهِ، إذ خَفَقَ بِرَأسِهِ عَلى رُكبَتَيهِ، وسَمِعَت أُختُهُ زَينَبُ «عليها السلام» الصَّيحَةَ، فَدَنَت مِن أخيها، [في الفتوح: وحَرَّكَتهُ] فَقالَت: يا أخي، أما تَسمَعُ الأصواتَ قَدِ اقتَرَبَت؟!

قالَ: فَرَفَعَ الحُسَينُ «عليه السلام» رَأسَهُ، فَقالَ: إنّي رَأيتُ رَسولَ اللهِ «صلى الله عليه وآله» فِي المَنامِ، [في الفتوح: وأبي عَلِيّاً، وفاطِمَةَ أُمّي، وأخِي الحَسَنَ «عليهم السلام»، فَقالوا: يا حُسَينُ] فَقالَ لي: إنَّكَ تَروحُ إلَينا. [في الفتوح: عَن قَريبٍ، وقَد وَاللهِ يا أُختاه دَنَا الأمرُ في ذلِكَ].

قالَ: فَلَطَمَت أُختُهُ وَجهَها، وقالَت: يا وَيلَتا!

فَقالَ: لَيسَ لَكِ الوَيلُ يا أُخَيَّةُ، اسكُني رَحِمَكِ الرَّحمنُ! [في الفتوح: ولا تَصيحي، فَتَشمَتَ بِنَا الأعداءُ].

وقالَ العَبّاسُ بنُ عَلِيٍّ «عليه السلام»: يا أخي! أتاكَ القَومُ.

قالَ: فَنَهَضَ، ثُمَّ قالَ: يا عَبّاسُ، اركَب ـ بِنَفسي أنتَ يا أخي ـ حَتّى تَلقاهُم، فَتَقولُ لَهُم: ما لَكُم، وما بَدا لَكُم؟ وتَسأَلُهُم عَمّا جاءَ بِهِم؟ [في الفتوح: وَارجِع إلَيَّ بِالخَبَرِ].

فَأَتاهُمُ العَبّاسُ «عليه السلام»، فَاستَقبَلَهُم في نَحوٍ مِن عِشرينَ

فارسا، فيهم زُهَيرُ بنُ القَينِ، وحَبيبُ بنُ مُظاهِرٍ، فَقالَ لَهُمُ العَبّاسُ «عليه السلام»: ما بَدا لَكُم، وما تُريدونَ؟

قالوا: جاءَ أمرُ الأميرِ بِأَن نَعرِضَ عَلَيكُم أن تَنزِلوا عَلى حُكمِهِ، أو نُنازِلَكُم! [في الفتوح: أو نُلحِقَكُم بِمَن سَلَفَ].

قالَ: فَلا تَعجَلوا حَتّى أرجِعَ إلى أبي عَبدِ اللهِ، فَأَعرِضَ عَلَيهِ ما ذَكَرتُم.

قالَ: فَوَقَفوا، ثُمَّ قالوا: اِلقَهُ فَأَعلِمهُ ذلِكَ، ثُمَّ القَنا بِما يَقولُ.

قالَ: فَانصَرَفَ العَبّاسُ «عليه السلام» راجِعا يَركُضُ إلَى الحُسَينِ «عليه السلام» يُخبِرُهُ بِالخَبَرِ. [في الفتوح: فَأَطرَقَ الحُسَينُ «عليه السلام» ساعَةً، وَالعَبّاسُ «عليه السلام» واقِفٌ بَينَ يَدَيهِ].

ووَقَفَ أصحابُهُ يُخاطِبونَ القَومَ، فَقالَ حَبيبُ بنُ مُظاهِرٍ لِزُهَيرِ بنِ القَينِ: كَلِّمِ القَومَ إن شِئتَ، وإن شِئتَ كَلَّمتُهُم.

فَقالَ لَهُ زُهَيرٌ: أنتَ بَدَأتَ بِهذا، فَكُن أنتَ تُكَلِّمُهُم.

فَقالَ لَهُم حَبيبُ بنُ مُظاهِرٍ: أما وَاللهِ، لَبِئسَ القَومُ عِندَ اللهِ غَداً قَومٌ يَقدَمونَ عَلَيهِ قَد قَتَلوا ذُرِّيَّةَ نَبِيِّهِ «عليه السلام»، وعِترَتَهُ وأهلَ بَيتِهِ «صلى الله عليه وآله»، وعُبّادَ أهلِ هذَا المِصرِ المُجتَهِدينَ بِالأَسحارِ، وَالذّاكِرينَ اللهَ كَثيراً. [في الفتوح: بِاللَّيلِ وَالنَّهارِ، وشيعَتَهُ الأَتقِياءَ الأَبرارَ].

فَقالَ لَهُ عَزرَةُ بنُ قَيسٍ: إنَّكَ لَتُزَكّي نَفسَكَ مَا استَطَعتَ!

فَقالَ لَهُ زُهَيرٌ: يا عَزرَةُ! إنَّ اللهَ قَد زَكّاها وهَداها، فَاتَّقِ اللهَ يا

عَزرَةُ، فَإنّي لَكَ مِنَ النّاصِحينَ، أنشُدُكَ اللهَ يا عَزرَةُ أن تَكونَ مِمَّن يُعينُ الضَّلالَ عَلى قَتلِ النُّفوسِ الزَّكِيَّةِ! [في الفتوح: الطّاهِرَةِ، عِترَةَ خَيرِ الأنبياءِ].

قالَ: يا زُهَيرُ! ما كُنتَ عِندَنا مِن شيعَةِ أهلِ هذَا البَيتِ. إنَّما كُنتَ عُثمانِيّاً!

قالَ: أفَلَستَ تَستَدِلُّ بِمَوقِفي هذا أنّي مِنهُم؟! أما وَاللهِ، ما كَتَبتُ إلَيهِ كِتابا قَطُّ، ولا أرسَلتُ إلَيهِ رَسولاً قَطُّ، ولا وَعَدتُهُ نُصرَتي قَطُّ، ولكِنَّ الطَّريقَ جَمَعَ بَيني وبَينَهُ، فَلَمّا رَأَيتُهُ ذَكَرتُ بِهِ رَسولَ اللهِ «صلى الله عليه وآله» ومَكانَهُ مِنهُ، وعَرَفتُ ما يُقدَمُ عَلَيهِ مِن عَدُوِّهِ وحِزبِكُم، فَرَأَيتُ أن أنصُرَهُ، وأن أكونَ في حِزبِهِ، وأن أجعَلَ نَفسي دونَ نَفسِهِ، حِفظاً لِما ضَيَّعتُم مِن حَقِّ اللهِ وحَقِّ رَسولِهِ «صلى الله عليه وآله».

قالَ: وأقبَلَ العَبّاسُ بنُ عَلِيٍّ «عليه السلام» يَركُضُ حَتَّى انتَهى إلَيهِم، فَقالَ: يا هؤُلاءِ، إنَّ أبا عَبدِ اللهِ يَسأَ لُكُم أن تَنصَرِفوا هذِهِ العَشِيَّةَ حَتّى يَنظُرَ في هذَا الأمرِ... [في الفتوح: ثُمَّ يَلقاكُم غَداً إن شاءَ اللهُ تَعالى].

وكانَ العَبّاسُ بنُ عَلِيٍّ «عليه السلام» حينَ أتى حُسَيناً «عليه السلام» بِما عَرَضَ عَلَيهِ عُمَرُ بنُ سَعدٍ قالَ: اِرجِع إلَيهِم، فَإِنِ استَطَعتَ أن تُؤَخِّرَهُم إلى غُدوَةٍ، وتَدفَعَهُم عِندَ العَشِيَّةِ؛ لَعَلَّنا نُصَلّي لِرَبِّنَا اللَّيلَةَ، ونَدعوهُ ونَستَغفِرُهُ، فَهُوَ يَعلَمُ أنّي قَد كُنتُ اُحِبُّ الصَّلاةَ لَهُ، وتِلاوَةَ كِتابِهِ، وكَثرَةَ الدُّعاءِ، وَالاِستِغفارِ!

قالَ أبو مِخنَفٍ: حَدَّثَني الحارِثُ بنُ حَصِيرَةَ، عَن عَبدِ اللهِ بنِ شَريكٍ العامِرِيِّ، عَن عَلِيِّ بن الحُسَين «عليه السلام» قالَ: أتانا رَسولٌ مِن قِبَلِ عُمَرَ بنِ سَعدٍ، فَقامَ مِثلَ حَيثُ يُسمَعُ الصَّوتُ، فَقالَ: [في الفتوح: يا شيعَةَ الحُسَينِ بنِ عَلِيٍّ] إنّا قَد أجَّلناكُم إلى غَدٍ، فَإِنِ استَسلَمتُم سَرَّحنا بِكُم إلى أميرِنا عُبَيدِ اللهِ بنِ زيادٍ، وإن أبَيتُم فَلَسنا تارِكيكُم.

[في الفتوح: فَانصَرَفَ الفَريقانِ بَعضُهُم مِن بَعضٍ](١).

---

(١) موسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٥٥ ـ ٥٨ عن المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤١٦ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١٥ وأنساب الأشراف ج٣ ص٣٩١ و (ط دار التعارف) ج٣ ص١٨٤ وليس فيه من: «إذ خفق» إلى «رحمك الرحمان»، والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٧ وليس فيه من: «فقال حبيب بن مظاهر لزهير» إلى «وحق رسوله «صلى الله عليه وآله»..»، والبداية والنهاية ج٨ ص١٧٦ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٩٠ والإرشاد ج٢ ص٨٩ وإعلام الورى ج١ ص٤٥٤ نحوه، وليس في الأربعة الأخيرة من «فقال حبيب بن مظاهر لزهير» إلى «في هذا الأمر»، وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٩١ وراجع: تجارب الأمم ج٢ ص٧٣ وروضة الواعظين ص٢٠٢ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٨٣ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩٨ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١٠٤ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٣٢ وإبصار العين ص٥٩.

وراجع: الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٧ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٤٩ وأشار إلى ذلك في الأخبار الطوال ص٢٥٦ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج٦ ص٢٦٢٧. وراجع: الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٦٦ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٠١.

وفي الفتوح وغيره: أنه حين أخبرهم العباس بطلب الحسين «عليه السلام» تأجيلهم إلى الغد، قال:

فَخَبَّرَ القَومُ بِهذا أميرَهُم عُمَرَ بنَ سَعدٍ، فَقالَ لِلشِّمرِ بنِ ذِي الجَوشَنِ: ما تَرى مِنَ الرَّأيِ؟

فَقالَ: أرى رَأيَكَ أيُّهَا الأَميرُ!

[**وعند ابن نما:** أمّا أنَا لَو كُنتُ الأَميرَ لَم أُنظِرهُ].

فَقالَ عُمَرُ: إنَّني أحبَبتُ أن لا أكونَ أميراً، قالَ: ثُمَّ إنّي أكرهتُ.

قالَ: وأقبَلَ عُمَرُ عَلى أصحابِهِ، فَقالَ: مَا الَّذي عِندَكُم في هذَا الرَّأيِ؟

فَقالَ رَجُلٌ مِن أصحابِهِ يُقالُ لَهُ: عَمرُو بنُ الحَجّاجِ: سُبحانَ اللهِ العَظيمِ! لَو كانوا مِنَ التُّركِ وَالدَّيلَمِ وسَألوا هذِهِ المَنزِلَةَ لَقَد كانَ حَقّاً عَلَينا أن نُجيبَهُم إلى ذلِكَ، وكَيفَ وهُم آلُ الرَّسولِ مُحَمَّدٍ «صلى الله عليه وآله» وأهلُهُ؟!

فَقالَ عُمَرُ بنُ سَعدٍ: إنّا قَد أجَّلناهُم في يَومِنا هذا(١).

زاد ابن نما قوله: «فَكانَ لَهُم في تِلكَ اللَّيلَةِ دَوِيٌّ كَالنَّحلِ مِنَ الصَّلاةِ وَالتِّلاوَةِ، فَجاءَ إلَيهِم جَماعَةٌ مِن أصحابِ عُمَرَ بن سَعدٍ»(١).

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٧ و ٩٨ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٤٩ و ٢٥٠ وراجع: مثير الأحزان ص٥٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٣٨ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٩١ و ٣٩٢ والعوالم، الإمام الحسين ص٢٤٣.

(١) مثير الأحزان ص٥٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٣٨.

ونقول:

هنا أمور يحسن الالتفات إليها، فلاحظ ما يلي:

إنقلاب المفاهيم:

إن من أعظم الكوارث في الأمة: أن تفقد القدرة على التمييز بين الحق والباطل، فإن هذا يؤدي بها إلى السقوط والضياع، والاختلاف. وأعظم منه أن تنقلب المفاهيم لدى الناس إلى الحد الذي يرون فيه الحق باطلاً، والباطل حقاً. وان يجد الإنسان نفسه في موقع المحارب للحق من موقع الرضا بالباطل، والتبني والإلتزام به، وربما التضحية من أجله.

وهذا ما كان ابن سعد يريد أن يكرسه بصورة إيحائية وتلقينية، من خلال النداء الذي أطلقه في أصحابه: «يا خيل الله اركبي، وأبشري».

فهو يعلن: أن هذه الخيل الشيطانية التي تريد أن توغل في دماء إمام معصوم هو أقدس، وأطهر، وأفضل، وخير، وأعلم، وأتقى من على وجه الأرض ـ يعلن ـ أنها خيل الله، ويخاطبها بهذا الخطاب الوقح، الذي يجعل من إجرامها فضيلة، ومن موبقاتها في حق أهل الله جهاداً في سبيل الله..

السكينة والرضا:

وقد رأينا: أن الإمام الحسين «عليه السلام» في نفس لحظة إطلاق هذا النداء، وتحرك حشود الأعداء باتجاهه «عليه السلام» وأصحابه، لا يذعره ذلك، ولا يهتز، ولا يتحرك من مكانه، بل يسلم

نفسه إلى السكينة والطمأنينة إلى الحد الذي استولى عليه سبات احتاج معه من حوله إلى إيقاظه منه..

رؤى الإمام الحسين ×:

١ ـ وقد رأينا: أن رؤى الإمام الحسين «عليه السلام» التي كان يرى فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأحياناً كان يراه ويرى معه علياً والحسن، وفاطمة «عليهم السلام».. إن هذه الرؤى قد تعددت، من المدينة إلى مكة، إلى طريق كربلاء، إلى كربلاء نفسها.

وهذا فيما يبدو من الألطاف الإلهية بالحسين «عليه السلام»، وبأهل بيته وأصحابه «رضوان الله تعالى عليهم»، بل هو من السياسات الربانية، لإعداد أهل بيت الحسين «عليه السلام»، وأصحابه، والنساء لمواجهة الفاجعة، وغير ذلك من أحداث هائلة، والسبي بعدها، ويعطيهم المزيد من الثبات والقدرة على الصمود أمام الأعداء، ويضاعف من درجات الصبر على الآلام، ليتمكنوا من القيام بما يجب عليهم القيام به، من الذب عن حريم الدين، ومواجهة الطاغوت بالحقائق الدامغة التي تذله، والحجج القاطعة، والبراهين الساطعة التي تبدد آماله، وتسقط أهدافه..

وقد كانت هذه السكينة التي ظهرت على الإمام الحسين «عليه السلام»، والسبات الذي هيأ لرؤياه «عليه السلام» جده رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومن معه من أحبته في لحظة تحرك جيش العدو نحوهم هي من أحرج اللحظات، وأشدها إثارة.

٢ ـ وقد حملت هذه الرؤيا معها البشارة بالشهادة له «عليه السلام». التي ستكون ثمرتها: أن يكون خروجه من آلام الدنيا، ومصائبها ومصاعبها إلى الآخرة ليكون في جنان الخلد مع جده، وأبيه، وأمه وأخيه..

وهذا الإخبار الصادق من شأنه أن يعطيهم القدرة على تحمل وطأة ذلك الحادث الجلل الذي ينتظرهم.

بنفسي أنت يا أخي:

تقدم: أن الإمام الحسين «عليه السلام» قال لأخيه العباس: «اركب ـ بنفسي أنت يا أخي ـ حتى تلقاهم».

فقد تضمنت هذه الفقرة أمرين:

أولهما: تفدية العباس «رضوان الله تعالى عليه» بنفسه. فيأتي هنا سؤال: هل يصح للأفضل أن يجعل نفسه فداءً لمن هو دونه في الفضل والكرامة والمقام؟!

الثاني: إنه خاطبه بـ «يا أخي»، وهو خطاب كان يمكن الاستغناء عنه لولا أنه «عليه السلام» أراد الإشارة إلى معنى بعينه، رأى أنه لا بد من الإشارة إليه، والدلالة عليه.

وللتوضيح نقول:

١ ـ من الذي قال: إنه لا يجوز للأفضل تفدية الأقل منه فضلاً بنفسه؟! فالإنسان يضحي بنفسه لحفظ حياة ولده.. ولا يلام على ذلك. وقد أوجب الله الجهاد على العالم والجاهل في سبيل المستضعفين، مع

أن المستضعف قد لا يكون هو الأفضل.

نعم، الإمام «عليه السلام» إنما يراعي مصلحة الدين كما سيأتي. وقد تكون مصلحة الدين كامنة في مثل هذه التضحية.

٢ ـ وقد يقال: لا صراحة في قوله «عليه السلام»: «بنفسي أنت». بأنه «عليه السلام» يود لو يقتل دونه، فإن المقام لم يكن مقام إقدام على قتل محتم، بل كانت السلامة هي الراجحة، بملاحظة الأعراف السائدة بين الناس في حالات كهذه. وإن كانت حالات عداء، فإن قتل الرسل أمر معيب يتحاشاه حتى الفجرة والكفرة والطواغيت، وإنما كان «عليه السلام» يريد أن يرسل العباس ليبلغ ابن سعد رسالة، ثم يرجع إليه بالخبر ـ كما في رواية ابن أعثم.

ولأجل ذلك نلاحظ: أن العباس حين كلمهم إنما كلمهم بصفته رسولاً، ولم يقرر شيئاً معهم، بل أخبرهم أن عليه أن يعود إلى مرسله، وهو الحسين «عليه السلام» بمطالبهم، ليكون هو الذي يتخذ القرار فيها، ويصدر القرار منه وعنه.

نعم، لا يمكن نفي احتمال أن يتعرض إلى شيء من الأذى الذي لا يصل إلى درجة القتل من سفهاء حاقدين، يتلذذون بهذه الممارسات. ولا يجرؤون على الانتهاء بالأمور إلى الحد الأقصى، خوفاً من مؤاخذة أسيادهم، الذين يعاملونهم بمزاجية وانفعال، وبطش..

بل إنه «عليه السلام» قد علم أخاه العباس العبارة التي يستعملها في خطابه لهم، فأمره أن يقول لهم: ما لكم؟ وما بدا لكم؟! لكي يظهر

«عليه السلام» لهم أنه كان إلى تلك اللحظة يعيش شعور الأمن من جهتهم، لعدم وجود مبرر ظاهر للعداء، أو القتال.

وهذا يظهر للأجيال عكس ما يفتريه عليه بنو أمية وشيعتهم، فإنه «عليه السلام» لم يأت للحرب، بل جاء لطلب الإصلاح، وكانوا هم الذين يلاحقونه، ويجمعون الجيوش ليقتلوه.

فتكون كلمة «بنفسي أنت» بمثابة قوله: إنني أقيك بنفسي من كل ما تتعرض له.

بل إنه حتى لو بلغت الأمور إلى الخطر الأكيد والشديد، فإن للحسين «عليه السلام» أن يقول للعباس: إن ذلك من المكانة لدي، والمعزة في نفسي، والمحبة والمودة ما يجعلني أقيك بروحي، وأدفع عنك بكل وجودي. إذا كانت هذه الوقاية عزاً للدين، وتحقيقاً للغايات، ولم تكن مجرد عمل انفعالي غير منتج..

٣ ـ وأما وصفه «عليه السلام» بالأخوة، فهو أيضاً يشير إلى هذا الحب، وأن إرساله في المهمات الصعبة والخطرة لا يعني أن ثمة تهاوناً به، فهو أخوه في النسب، وأخوه في الإيمان، وأخوه أيضاً وشريكه في الجهاد والتضحية في سبيل الله، وكل ذلك يفرض عليه أن يقوم بما تفرضه عليه هذه الأخوة بجميع معانيها..

إطراقة الإمام × لها مغزى:

وتقدم: أن العباس «رضوان الله تعالى عليه» حين أخبر أخاه بمراد الأعداء أطرق «عليه السلام» ساعة، والعباس واقف بين يديه، فلماذا

فعل «عليه السلام» ذلك؟!

ويجاب:

بأن لهذه الإطراقة فوائد:

فأولاً: لعله «عليه السلام» أراد أن لا يتوهم أحد أنه يرتجل مواقفه، ويندفع في أموره من دون تروٍ أو تدبر. فإنه «عليه السلام» كان مطهراً معصوماً، ويكون علمه من علم رسول الله «صلى الله عليه وآله» وإن لم يسمعه منه ـ كما صرحت به بعض الروايات التي ذكرناها في كتابنا هذا ـ وهو من أعقل الناس، وأفضلهم وأورعهم، وأتقاهم، ولا يلقي الكلام على عواهنه، بل تكون الأمور واضحة لديه وضوح الشمس لذي عينين.

ولكن أهل الباطل، وأعداء الحق يحاولون إثارة الشبهات، وإشاعة الأباطيل والترهات ضد الحق وأهله. ومن الأمور التي يثيرونها هنا: أن الحسين «عليه السلام» قد تسرع في اتخاذه هذا الموقف من يزيد، واندفع إليه تحت تأثير توهج مشاعري، من دون نظر في العواقب، ومن دون تمحيص للأمور.

ثانياً: إن الإمام «عليه السلام» كان يعلم أن حوالي عشرين رجلاً من أصحابه، وفيهم حبيب بن مظاهر، وزهير بن القين «رحمهما الله» كانوا يقفون وجهاً لوجه مع الجماعة التي جاءت من قبل ابن سعد.

وهؤلاء الصفوة سوف يتجاذبون مع تلك الجماعة أطراف الحديث في نفس هذا الواقع الذي يفرض نفسه عليهم. وسوف يحتج

أصحابه «عليه السلام» على ذلك الطرف، بما يزيل كل عذر له، وبما يأخذ عليه السبل، إلا إذا لزم طريق الجحود للحق عن سابق معرفة وتصميم. وهذا ما حصل بالفعل كما صرحت به الرواية المتقدمة..

هل كان زهير عثمانياً؟!:

وقد قال عزرة بن قيس لزهير بن القين: إنه كان ـ بنظرهم ـ عثمانياً، وليس شيعياً. فأقسم زهير: أنه لم يكن له أي ارتباط بالحسين «عليه السلام»، فقد قال: أما والله، ما كتبت إليه كتاباً قط، ولا أرسلت إليه رسولاً قط، ولا وعدته نصرتي قط..

ونقول:

١ ـ تقدم معنا حين كنا نتحدث عن الأحداث التي جرت في الطريق بين مكة والكوفة كلام حول عثمانية زهير، فلا بأس بمراجعة ما كتبناه هناك.

٢ ـ ما ذكره زهير عن كيفية اتخاذه قراره بنصرة الحسين «عليه السلام» يدل على أنه قرار سديد، مستند إلى معطيات واقعية، ومن دون تأثر بمشهد عاطفي، ولا كان انصياعاً لعلاقة صداقة، أو مصلحة، أو قرابة أو أي شيء آخر يفرض عليه أن يرد الجميل.

ولم يواجه أيضاً بطلب النصرة من الحسين «عليه السلام» ولا واجه حرجاً من أي نوع، فهو لم يكتب للحسين «عليه السلام» كتاباً قط، ولا أرسل إليه رسولاً قط، ولا وعده نصرته قط.

وإنما الطريق هو الذي جمع بينه وبينه، فذكرته رؤيته رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وذكرته مكانته منه «صلى الله عليه وآله».. وعرف ما يريده به أعداؤه، فقاده عقله إلى لزوم نصرته، وأن يحفظ حق الله وحق رسوله الذي ضيعوه.

إنصرفوا حتى أنظر في الأمر:

وتقدم: أن رد الإمام «عليه السلام» الذي كان سديداً، وكان هادئاً قد جاء مشوباً بشيء من الإبهام المتعمد، فهو «عليه السلام» لم يشر إلى القتال، لا من قريب، ولا من بعيد. كما أن كلماته قد اختيرت بدقة بالغة، فقد قال لهم العباس «عليه السلام»: إن أبا عبد الله يسألكم أن تنصرفوا هذه العشية، حتى ينظر في هذا الأمر.

فترى أنه «عليه السلام»:

١ ـ قد سألهم ـ أو طلب منهم ـ الإنصراف، ولم يقل: يأمركم بالإنصراف مثلاً، أو نحو ذلك، لكي لا تأخذهم حالة الاستكبار والعنجهية، والعناد.

٢ ـ إنه «عليه السلام» لم يقل لهم: أجِّلوا الحرب إلى الغد مثلاً، لكي لا يفهم منه أنه موافق على الحرب، وأن الرغبة فيها مشتركة بينه وبينهم.

٣ ـ إنه «عليه السلام» لم يقل لهم: على أن نلتقي غداً، أو نحو ذلك، لكي لا يفهم منه أيضاً: أن مراده باللقاء هو لقاء الحرب.

٤ ـ إنه «عليه السلام» قد ألمح لهم إلى أن سبب طلبه الإنصراف

هو الحاجة إلى التأمل والتفكير في حل..

من أسباب طلب الحسين التأجيل:

وقد تقدم: أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد علل طلبه التأجيل بأنه يريد أن يصلي لربه، ويدعو، ويستغفر في تلك الليلة، فهو يعلم: أني قد كنت أحب الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والإستغفار.

ومن المعلوم: أن أصحابه سيشاركونه في جهده هذا..

ونكتفي هنا بالتذكير بما يلي:

١ ـ إنه لا ريب في أن الإمام «عليه السلام» وأصحابه الأبرار «رضوان الله تعالى عليهم» كانوا يعرفون أن الشهادة بانتظارهم، وكانوا موطنين أنفسهم عليها. ولكن مما لا ريب فيه أيضاً: أن مما يرفع درجات الشهيد، هو مدى إخلاصه، وشدة يقينه، وطمأنينته، وسكينته، وشدة رغبته بهذه الشهادة، وتعلقه بها، وتلذذه بالمصائب والآلام التي يتعرض لها في مسيره إليها.

ومما يساعد على بلورة كل هذه المعاني بصورة أتم هو: الصلاة، والدعاء، والإستغفار، الذي هو ذكر الله، وقد قال تعالى مشيراً إلى ذلك: **(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)**(١).

فأراد «عليه السلام» أن يجعل من تلك الليلة سبباً ووسيلة لتعميق هذه المشاعر والحالات، وسواها في أنفسهم «رضوان الله تعالى

____

(١) الآية ٢٨ من سورة الرعد.

عليهم»، لكي ترتفع بها درجاتهم، وتعلو بها مقاماتهم، وتتضاعف مثوباتهم.

٢ ـ بالنسبة لقوله «عليه السلام» «كنت أحب الصلاة..» لا يريد أن يخبر به عن أمر عرض له في الماضي ثم زال. فإن كلمة كنت من الأفعال الناقصة، لكن معناها مجرد عن معنى الماضي، فهو يحب الصلاة في الماضي والحاضر، فهي كقوله تعالى: **(وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)**(١)، أو **(وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا)**(٢)، فتصير في المعنى شبيهة بكان التامة التي معناها الكون في السابق والثبات على ما كان كما كان، فكأنه «عليه السلام» قال: كنت وما زلت على هذه الحال.

٣ ـ إذا كان جيش ابن سعد يقوم بالرقابة المستمرة لمعسكر الإمام الحسين «عليه السلام»، ولا بد أن يعدوا عليهم أنفاسهم إن استطاعوا، لأنهم يرون أن غفلتهم عنهم قد تأتيهم بالمفاجأت الكبيرة، والخطيرة..

فذلك يعني: أن يرى، ويسمع شطر من ذلك الجيش، ممن يتناوبون على الحراسة والرقابة طيلة تلك الليلة، عبادات الحسين وأصحابه، ودعاء واستغفار هذه الجماعة التي يقودها خير أهل الأرض، وهم الصفوة، وأبرار هذه الأمة.

---

(١) الآية ١٧ و ٩٢ و ١٠٤ و ١١١ من سورة النساء، والآية ٥٠ و ٥٩ و ٧٣ من سورة الأحزاب، والآية ٤ من سورة الفتح.

(٢) الآية ٩٦ و ١٠٠ من سورة النساء، والآية ٧٠ من سورة الفرقان، والاية ٥ من سورة الأحزاب، والآية ١٤ من سورة الفتح.

فلا نعجب بعد هذا إذا رأينا أن اثنين وثلاثين رجلاً من جيش بني أمية قد تحولوا إلى الحسين «عليه السلام»، فكانوا من أعوانه وأنصاره، والمستشهدين بين يديه(١).

٤ ـ لكن ذلك لا يعني أنه لم يكن للحسين «عليه السلام» مقاصد أخرى أيضاً، فإن جيش ابن سعد قد تحفّز للهجوم بعد صلاة العصر، مما يعني قيام احتمال أن يحصل معظم الاشتباك في ظلمة الليل.. وهذا ما لا يريده الإمام الحسين «عليه السلام»، لأن معناه: أن يحجب الظلام معظم الجرائم التي سوف تقترفها أيدي أولئك الفجار عن الأنظار، وكان من مقاصد الحسين «عليه السلام» أن يكون لنفس الجيش الذي جاء لقتاله نصيب في نقل الأحداث التي تجري. فلو جرت الأحداث ليلاً، فكيف يمكن للناس نقل ما يجري بدقة؟! كما أن درجة الوثوق بدقة المنقول سوف تتضاءل، وسنجد من يدعي أنها أخبار مبنية على الحدس والتخمين.

ومن المعلوم: أن لظهور هذه الوقائع، والوثوق بصحتها ودقتها الأثر الكبير في إظهار مدى المظلومية التي عاشها أهل الحق، وهم: الحسين «عليه السلام»، وأهل بيته، وأصحابه، ومدى القسوة التي

---

(١)الملهوف ص١٥٤ و (نشر أنوار الهدى) ص٥٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٩٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٤٥ ولواعج الأشجان ص١٢١ وأعيان الشيعة ج١ ص٦٠١، ومثير الأحزان ص ٥٢ لكنه قال: فجاء إليهم جماعة من أصحاب عمر بن سعد.

أظهرتها تصرفات وممارسات أهل الباطل ضدهم.

٥ ـ وربما كان من جملة أسباب طلب التأجيل: ما ذكرته إحدى الروايات الواردة عن الطبري والبلاذري، فهي تقول: وإنما أراد بذلك أن يردهم عنه تلك العشية، حتى يأمر بأمره، ويوصي أهله(١).

وهذا لا ينافي ما روي، من أنه «عليه السلام» ترك وصاياه وأماناته عند أم سلمة رحمها الله تعالى(٢).

فإن ما تركه عند أم سلمة هو ما يرتبط بشؤون الإمامة، وهي

---

(١) تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١٦ وأنساب الأشراف ج٣ ص٣٩٢ و (ط دار التعارف) ج٣ ص١٨٤. وراجع: سير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٠١ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٩٠ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٨ وإبصار العين ص٥٩ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٣٣ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١٠٦ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٨ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٣٣.

(٢) الكافي ج١ ص٣٠٤ وبصائر الدرجات ص١٩٧ والغيبة للطوسي ص١٩٥ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص١٧٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٣٠٨ وكتاب الصراط المستقيم ج ص١٦١ وبحار الأنوار ج٤٦ ص١٨ و ١٩ وج٢٢ ص٢٢٤ وج٢٦ ص٥٠ وراجع ص٢٠٧ ومرآة العقول ج٣ ص٣٢١ و ٤٧ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص١٤٠ وإعلام الورى ج١ ص٤٨٣ وقاموس الرجال ج١٢ ص٢٠٥ وعن إثبات الهداة ج٥ ص٢١٤ و ٢١٦.

مواريث الأنبياء وكتبهم، كعصا موسى، والتوارة، والإنجيل، وكتب علي «عليه السلام» ومنها: الجفر والجامعة، ونحو ذلك.

وما يريد أن يوصي به ليلة عاشوراء هو الأوامر والنواهي التي تتعلق بمواصلة مسيرته، واستكمال استثمارها على أفضل وجه وأتمه.

٦ ـ أشرنا فيما سبق: إلى أن الإمام الحسين «عليه السلام» يريد أن يختار لشهادته أفضل الظروف لتحقيق أرقى النتائج على صعيد الإصلاح في الأمة، وهذا ما حصل بالفعل، وبقيت كربلاء منارة رشاد، تنشر النور، والهدى، والإيمان، وقد فضحت الباطل، واسقطته، ولم يعد قادراً على إطفاء نور الحق، لا مباشرة، ولا على سبيل المكر والالتفاف كما أشير إليه بقوله تعالى: **(يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)**(١).

ابن سعد يشاور الشمر:

وتقدم: أن ابن سعد قد سأل الشمر لعنه الله عن رأيه في طلب التأجيل. فقال شمر: «أرى رأيك أيها الأمير» وعن ابن أعثم: أنه قال: أما أنا لو كنت الأمير لم أنظره. أي لم أؤجله.

ويبدو لنا:

١ ـ أن ابن سعد لعنه الله كان يخشى من مكر الشمر به، ولا يأمن

(١) الآية ٨ من سورة الصف.

من سعيه لدى ابن زياد للإيقاع به. فأراد أن يشركه في الرأي، لكي يأمن مكره وشره.

فأجابه الشمر جواباً فيه مجاملة له، إن لم نقل: إنه جواب ماكر، حيث قال له: أرى رأيك أيها الأمير، مع أنه لم يكن قد سمع من ابن سعد ما يدل على رأيه..

وبعد هذا.. فإذا اعتبرنا أن ما ذكره ابن أعثم إنما هو من ملحقات الجواب الماكر للشمر، حيث قال له: أما أنا لو كنت الأمير لم أنظره. فيكون الشمر قد احتفظ لنفسه بالتميز عن ابن سعد، حتى إذا استجد بينه وبين ابن سعد، ما يغضبه، فإنه قد يوظف هذه الواقعة في الكيد له، والتحريض عليه.

٢ ـ ثم عقب ابن سعد على كلام الشمر، بادِّعائه: أن ابن زياد قد أكرهه على إمارة هذا الجيش. مع أنه قد تقدم: أنه كاذب في دعواه هذه، ولكنه أراد أن يدفع عن نفسه بعض ما يتوقعه من سلبيات سيواجهها.

وقد تأتي هذه السلبيات من نفس الجيش الذي يقوده، ويستغني به بسبب الجريمة التي كان بصدد ارتكابها..

٣ ـ ثم حاول ابن سعد أن يحصِّن نفسه من مكر الشمر، فسعى إلى الحصول على المدد من سائر أعوانه، فوجد بغيته لدى عمرو بن الحجاج، الذي صاغ له عذراً لا يستطيع ابن زياد أن يتجاهله، حيث ذكر أن الأعراف الحربية تقضي بضرورة إمهال المستمهل حتى لو

كان من قومية أخرى، ومن أتباع دين آخر، فكيف إذا كان من يطلب المهلة هم آل الرسول محمد «صلى الله عليه وآله»، وأهله؟!..

٤ ـ غير أن الله سبحانه قد خذلهم حتى في هذا المورد، فقد أدانوا أنفسهم في نفس البيان الذي أرادوا أن يجعلوا منه وسيلة للخروج من مأزقهم. فقد اعترف عمرو بن الحجاج، وبنى ابن سعد قراره بالتأجيل على اعترافه، ولم نر من الشمر، ولا من غيره أي اعتراض. ـ اعترف ـ بأن من يواجهونهم بجيوشهم، ويتسابقون إلى قتلهم هم آل الرسول محمد «صلى الله عليه وآله» وأهله.

صوم تاسوعاء وعاشوراء:

عن عبد الملك: سَألتُ أبا عَبدِ اللهِ «عليه السلام» عَن صَومِ تاسوعا وعاشورا مِن شَهرِ المُحَرَّمِ؟

فَقالَ: تاسوعا يَومٌ حوصِرَ فيهِ الحُسَينُ «عليه السلام» وأصحابُهُ «رَضِيَ اللهُ عَنهُم» بِكَربَلاءَ، وَاجتَمَعَ عَلَيهِ خَيلُ أهلِ الشّامِ، وأناخوا عَلَيهِ، وفَرِحَ ابنُ مَرجانَةَ وعُمَرُ بنُ سَعدٍ بِتَوافُرِ الخَيلِ وكَثرَتِها.

وَاستَضعَفوا فيهِ الحُسَينَ «عليه السلام» وأصحابَهُ رَضِيَ اللهُ عَنهُم، وأيقَنوا أن لا يَأتِيَ الحُسَينَ «عليه السلام» ناصِرٌ، ولا يُمِدُّهُ أهلُ العِراقِ.

بِأَبِي المُستَضعَفُ الغَريبُ.

ثُمَّ قالَ: وأمّا يَومُ عاشورا فَيَومٌ أُصيبَ فِيهِ الحُسَينُ «عليه السلام» صَريعاً بَينَ أصحابِهِ، وأصحابُهُ صَرعى حَولَهُ عُراةً.

أَفَصَوْمٌ يَكونُ في ذَلِكَ اليَومِ؟! كَلّا ورَبِّ البَيتِ الحَرامِ(١).

ونقول:

الحصار واجتماع الجيوش عليه:

١ ـ تقول الرواية عن الإمام الصادق «عليه السلام»: تاسوعاء يوم حوصر فيه الحسين، فقد يقال: ألم يبدأ الحصار في اليوم السابع؟!

ويجاب:

بأن ما حصل في اليوم السابع هو منع الماء، وهو لا يعد حصاراً كاملاً، بل هو تضييق عليه في أمر بعينه، ولعلهم أبقوا له فسحة في أمور أخرى، فلم يمنعوا الناس من الوصول إليه، والتعامل أو التداول معه أو مع أصحابه في بعض الشؤون.. كما أنهم لم يمنعوا أصحابه من الاتصال بالآخرين، أو طلب حاجاتهم في المحيط الذي كانوا فيه..

ثم إنهم في اليوم التاسع حاصروه «عليه السلام» حصاراً تاماً. كما قالت الرواية.

٢ ـ ذكرت: أن اجتماع الخيل على الإمام الحسين «عليه السلام» كان في اليوم التاسع.. فقد يقال: إن هذا لا ينسجم مع قولهم: إن

---

(١) الكافي ج٤ ص١٤٧ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٩٥ وروضة المتقين ج٣ ص٢٤٨ والوافي ج١١ ص٧٣ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٠ ص٤٦٠ و (الإسلامية) ج٧ ص٣٣٩ ومرآة العقول ج١٦ ص٣٦٢ والعوالم، الإمام الحسين ص٣٢٤.

الجيوش قد تكاملت عليه في اليوم السادس من المحرم عشرين ألفاً، أو اثنين وعشرين ألفاً، أو أكثر من ذلك.

ويجاب:

بأن بلوغ عدد الجيش الذي جاء لحربه «عليه السلام» هذه الأعداد الكبيرة، لا يعني: اجتماع ما كانوا قد هيأوه لهذه المهمة، فقد عرفنا: أن عدد الذين ازدلفوا للحسين يوم عاشوراء، كانوا ثلاثين ألفاً. وهذا يزيد على هذه الأرقام بعدة ألوف. بل تقدم: أنهم يذكرون أرقاماً تزيد على الثلاثين ألفاً بعشرات الألوف أيضاً.

بأبي المستضعف الغريب:

وعن قول الإمام الصادق «عليه السلام»: بأبي المستضعف الغريب نقول:

١ ـ إن أمثال هذه الكلمات يؤتى بها للدلالة على ما يعانيه قائلها، من ألم وأسى تجاه مأساة عظيمة ومظلومية هائلة قد تعرض لها من كان يجب أن يعامل بمزيد من المحبة والإكرام، والإجلال والإعظام؟!

٢ ـ إن استضعاف شخص أو جماعة لا يعني سوى الهيمنة على إراداتهم، واستلاب قرارهم، ومصادرة حرياتهم، وفرض الضعف عليهم.. وهذا الاستضعاف، أو فرض الضعف عليهم يكون على العموم بغير وجه حق، بل على سبيل الظلم والعدوان، والبغي، والاستكبار.

٣ ـ إن هذا الاستضعاف العدواني، الباغي، لا ينقص من قيمة من

فرض عليه الاستضعاف.. ولاسيما إذا استمر يكافح وينافح عن حقه، وعن حريته، وعما يراد استلابه منه، إلى آخر رمق في حياته..

٤ ـ إن من كان كذلك، فإنه يستحق كل الإجلال والإكبار، وأن يعيش الناس لأجله الشعور بالأسى والحزن، والحسرة على فوات الفرصة، وعدم التمكن من نصرته، ومن الدفع عنه، والتضحية في سبيله، وفدائه بالأموال، والأبناء، والآباء، والأنفس.

٥ ـ إن هذا الأمر يتأكد إذا أضيف إلى تلك الرزايا والآلام التي فرضها عليه الأشقياء، حالة الغربة، ووحشتها، وهمومها.. وما يتوقعه لأطفاله، ونسائه من بعده من مشاق، ومن هواجس ومخاوف تقض مضاجعهم، وتستلب النوم من أعينهم، والراحة والسكينة من قلوبهم.

هل كان الأصحاب عراة؟!:

وذكرت الرواية المتقدمة: أن أصحاب الحسين «عليه السلام» أصيبوا، فكانوا صرعى حوله عراة..

ويبدو لنا: أن المقصود بالعري هو سلب أعدائهم ثيابهم بعد موتهم، حتى لو بقي منها ما يستر عوراتهم، لزهد سالبيهم فيه. أو لأنهم يخافون أن يعيروا بهذا الفعل، وأن يوصفوا بالدناءة لأجله. فقد كانوا ـ أو كان بعضهم يتحاشى أمثال هذه الأمور، ولكنه لا يهتم لقتل أقدس وأعلم وأفضل، وأطهر وأنقى الناس.. ومن هو وارث علم الرسول، والإمام المفروض طاعته على جميع البشر.

الفصل الثاني:

ليلة العاشر.. مع أصحابه وأهل بيته..

خطبة الحسين × ليلة عاشوراء:

١ ـ عن أبي مخنف، عن الحارث بن حصيرة، عن عبد الله بن شريك العامريّ، عن عليّ بن الحسين «عليه السلام»:

جَمَعَ الحُسَينُ «عليه السلام» أصحابَهُ بَعدَما رَجَعَ عُمَرُ بنُ سَعدٍ، وذلِكَ عِندَ قُربِ المَساءِ.

قالَ عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ «عليه السلام»: فَدَنَوتُ مِنهُ لِأَسمَعَ وأنَا مَريضٌ، فَسَمِعتُ أبي وهُوَ يَقولُ لِأَصحابِهِ:

أُثني عَلَى اللهِ تَبارَكَ وتَعالى أحسَنَ الثَّناءِ، وأحمَدُهُ عَلَى السَّرّاءِ وَالضَّرّاءِ، اللّهُمَّ إنّي أحمَدُكَ عَلى أن أكرَمتَنا بِالنُّبُوَّةِ، وعَلَّمتَنَا القُرآنَ، وفَقَّهتَنا فِي الدّينِ [في الفتوح: وأكرمتنا من كرامة رسول الله «صلى الله عليه وآله»]، وجَعَلتَ لَنا أسماعاً وأبصاراً وأفئِدَةً [في الفتوح: وجعلتنا من الشاكرين]، ولَم تَجعَلنا مِنَ المُشرِكينَ.

أمّا بَعدُ، فَإِنّي لا أعلَمُ أصحاباً أولى [أوفى] ولا خَيراً مِن أصحابي، ولا أهلَ بَيتٍ أبَرَّ ولا أوصَلَ مِن أهلِ بَيتي [في الفتوح: لا أعلم أصحاباً أصح (لعلها: أنصح) منكم، ولا أعدل ولا أفضل أهل

بيت]، فَجَزاكُمُ اللهُ عَنّي جَميعاً خَيراً.

ألا وإنّي أظُنُّ يَومَنا مِن هؤُلاءِ الأعداءِ غَداً، ألا وإنّي قَد رَأيتُ لَكُم، فَانطَلِقوا جَميعاً في حِلٍّ، لَيسَ عَلَيكُم مِنّي ذِمامٌ، هذا لَيلٌ [الليل] قَد غَشِيَكُم، فَاتَّخِذوهُ جَمَلاً(١).

زاد ابن أعثم قوله: «وليأخذ كل رجل منكم بيد صاحبه، أو رجل من إخوتي، وتفرقوا في سواد هذا الليل، وذروني وهؤلاء القوم، فإنهم لا يطلبون غيري، ولو أصابوني وقدروا على قتلي لما طلبوكم»(٢).

---

(١) موسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٦٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤١٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١٧ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٧ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٩١ وإعلام الورى ج١ ص٤٥٥ وفيها: «أوفى» بدل أولى، وروضة الواعظين ص٢٠٢ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٨٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٩٢ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٤٣ ولواعج الأشجان ص١١٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٦٠٠ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١٠٧ كلها نحوه. وتجارب الأمم ج٢ ص٧٤ والبداية والنهاية ج٨ ص١٧٦ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٩١ وراجع: مثير الأحزان ص٥٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٣٨ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٨ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٥ والملهوف (نشر أنوار الهدى) ص٥٥ وتجارب الأمم ج٢ ص٧٤ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص٤٩ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٧ .

(٢) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٥ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٤٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٦١٢ عنه.

٢ ـ عن الضحّاك بن عبد الله المشرقيّ: قَدِمتُ ومالِكَ بنَ النَّضرِ الأرحَبِيَّ عَلَى الحُسَينِ «عليه السلام»، فَسَلَّمنا عَلَيهِ، ثُمَّ جَلَسنا إلَيهِ، فَرَدَّ عَلَينا، ورَحَّبَ بِنا، وسَأَلَنا عَمّا جِئنا لَهُ، فَقُلنا: جِئنا لِنُسَلِّمَ عَلَيكَ، ونَدعُوَ اللهَ لَكَ بِالعافِيَةِ، ونُحدِثَ بِكَ عَهداً، ونُخبِرَكَ خَبَرَ النّاسِ، وإنّا نُحَدِّثُكَ أنَّهُم قَد جَمَعوا عَلى حَربِكَ، فَرَ رَأيَكَ.

فَقالَ الحُسَينُ «عليه السلام»: حَسبِيَ اللهُ ونِعمَ الوَكيلُ!

قالَ: فَتَذَمَّمنا وسَلَّمنا عَلَيهِ، ودَعَونَا اللهَ لَهُ.

قالَ: فَما يَمنَعُكُما مِن نُصرَتي؟

فَقالَ مالِكُ بنُ النَّضرِ: عَلَيَّ دَينٌ، ولي عِيالٌ.

فَقُلتُ لَهُ: إنَّ عَلَيَّ دَيناً، وإنَّ لي لَعِيالاً، ولكِنَّكَ إن جَعَلتَني في حِلٍّ مِنَ الاِنصِرافِ إذا لَم أجِد مُقاتِلاً قاتَلتُ عَنكَ ما كانَ لَكَ نافِعاً، وعَنكَ دافِعاً!

قالَ: قالَ: فَأَنتَ في حِلٍّ.

فَأَقَمتُ مَعَهُ، فَلَمّا كانَ اللَّيلُ قالَ: هذَا اللَّيلُ قَد غَشِيَكُم، فَاتَّخِذوهُ جَمَلاً، ثُمَّ لِيَأخُذ كُلُّ رَجُلٍ مِنكُم بِيَدِ رَجُلٍ مِن أهلِ بَيتي، تَفَرَّقوا في سَوادِكُم، ومَدائِنِكُم حَتّى يُفَرِّجَ اللهُ، فَإِنَّ القَومَ إنَّما يَطلُبُوني، ولَو قَد أصابوني لَهَوا عَن طَلَبِ غَيري.

فَقالَ لَهُ إخوَتُهُ، وأبناؤُهُ، وبَنو أخيهِ، وَابنا عَبدِ اللهِ بنِ جَعفَرٍ: لِمَ نَفعَلُ؟ لِنَبقى بَعدَكَ؟ لا أرانَا اللهُ ذلِكَ أبَداً.

بَدَأَهُم بِهذَا القَولِ العَبّاسُ بنُ عَلِيٍّ «عليه السلام»، ثُمَّ إنَّهُم تَكَلَّموا

بهذا ونَحوِهِ.

فَقالَ الحُسَينُ «عليه السلام»: يا بَني عَقيلٍ! حَسبُكُم مِنَ القَتلِ بِمُسلِمٍ، اذهَبوا قَد أذِنتُ لَكُم.

قالوا: فَما يَقولُ النّاسُ؟! يَقولونَ: إنّا تَرَكنا شَيخَنا وسَيِّدَنا [في الفتوح: وابن بنت نبينا محمد «صلى الله عليه وآله»]، وبَني عُمومَتِنا خَيرَ الأَعمامِ، ولَم نَرمِ مَعَهُم بِسَهمٍ، ولَم نَطعَن مَعَهُم بِرُمحٍ، ولَم نَضرِب مَعَهُم بِسَيفٍ، ولا نَدري ما صَنَعوا!

لا وَاللهِ [في الفتوح: يا ابن بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»]، لا نَفعَلُ، ولكِن تَفديكَ أنفُسُنا وأموالُنا وأهلُونا، ونُقاتِلُ مَعَكَ حَتّى نَرِدَ مَورِدَكَ، فَقَبَّحَ اللهُ العَيشَ بَعدَكَ.

قالَ: فَقامَ إلَيهِ مُسلِمُ بنُ عَوسَجَة الأَسَدِيُّ، فَقالَ: [في الفتوح: يا ابن بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، نحن عليك هكذا، وننصرف وقد أحاط بك الأعداء؟ لا والله لا يراني الله أفعل ذلك أبداً] أنَحنُ نُخَلّي عَنكَ ولَمّا نُعذِر إلَى اللهِ في أداءِ حَقِّكَ؟! أما وَاللهِ، حَتّى أكسِرَ في صُدورِهِم رُمحي، وأضرِبَهُم بِسَيفي ما ثَبَتَ قائِمُهُ في يَدي، ولا اُفارِقُكَ، ولَو لَم يَكُن مَعي سِلاحٌ اُقاتِلُهُم بِهِ لَقَذَفتُهُم بِالحِجارَةِ دونَكَ حَتّى أموتَ مَعَكَ.

قالَ: وقالَ سَعيدُ بنُ عَبدِ اللهِ الحَنَفِيُّ: وَاللهِ، لا نُخَلّيكَ حَتّى يَعلَمَ اللهُ أنا حَفِظنا غَيبَةَ رَسولِ اللهِ «صلى الله عليه وآله» فيكَ.

وَاللهِ، لَو عَلِمتُ أنّي اُقتَلُ، ثُمَّ اُحيا، ثُمَّ اُحرَقُ حَيّاً، ثُمَّ اُذَرُّ، يُفعَلُ

ذلِكَ بي سَبعينَ مَرَّةً ما فارَقتُكَ حَتّى ألقى حِمامي دونَكَ، فَكَيفَ لا أفعَلُ ذلِكَ! وإنَّما هِيَ قَتلَةٌ واحِدَةٌ، ثُمَّ هِيَ الكَرامَةُ الَّتي لا انقِضاءَ لَها أبَداً؟!

قالَ: وقالَ زُهَيرُ بنُ القَينِ: وَاللهِ، لَوَدِدتُ أنّي قُتِلتُ، ثُمَّ نُشِرتُ، ثُمَّ قُتِلتُ حَتّى أُقتَلَ كَذا ألفَ قَتلَةٍ، وأنَّ اللهَ يَدفَعُ بِذلِكَ القَتلَ عَن نَفسِكَ وعَن أنفُسِ هؤُلاءِ الفِتيَةِ مِن أهلِ بَيتِكَ.

قالَ: وتَكَلَّمَ جَماعَةُ أصحابِهِ بِكَلامٍ يُشبِهُ بَعضُهُ بَعضاً في وَجهٍ واحِدٍ، فَقالوا: وَاللهِ، لا نُفارِقُكَ، ولكِنَّ أنفُسَنا لَكَ الفِداءُ، نَقيكَ بِنُحورِنا وجِباهِنا وأيدينا، فَإِذا نَحنُ قُتِلنا كُنّا وَفَّينا، وقَضَينا ما عَلَينا(١).

---

(١) موسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٦٣ و ٦٤ عن المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤١٨ و ٤١٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١٧ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٨ والبداية والنهاية ج٨ ص١٧٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٨ ص١٩١ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٩١ والملهوف ص١٥١ و (نشر أنوار الهدى) ص٥٥ ومثير الأحزان ص٥٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٣٨ وروضة الواعظين ص٢٠٢ و (ط دار إحياء التراث) ص١٨٣ وإعلام الورى ج١ ص٤٥٥ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١٠٨ كلها نحوه. وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٩٢ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٤٤ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٥ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٤٦ والمنتظم في تاريخ الأمم ج٥ ص٣٧٧ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩٩ ولواعج الأشجان ص١١٩ وراجع: مقاتل الطالبيين ص١١٢ وأنساب الأشراف ج٣ ص٣٩٣ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٣٤ وراجع: الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٦٦ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٠١ وعن تذكرة الخواص

٣ ـ عن عبد الله بن منصور، عن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جده [زين العابدين] «عليهم السلام»: لَمّا وَصَلَ الكِتابُ [مِن عُبَيدِ اللهِ بنِ زِيادٍ] إلى عُمَرَ بنِ سَعدٍ، أمَرَ مُنادِيَهُ، فَنادى: إنّا قَد أجَّلنا حُسَيناً وأصحابَهُ يَومَهُم ولَيلَتَهُم.

فَشَقَّ ذلِكَ عَلَى الحُسَينِ «عليه السلام» وعَلى أصحابِهِ.

فَقامَ الحُسَينُ «عليه السلام» في أصحابِهِ خَطيباً، فَقالَ:

اللّهُمَّ إنّي لا أعرِفُ أهلَ بَيتٍ أبَرَّ، ولا أزكى، ولا أطهَرَ مِن أهلِ بَيتي، ولا أصحاباً هُم خَيرٌ مِن أصحابي، وقَد نَزَلَ بي ما قَد تَرَونَ، وأنتُم في حِلٍّ مِن بَيعَتي، لَيسَت لي في أعناقِكُم بَيعَةٌ، ولا لي عَلَيكُم ذِمَّةٌ.

وهذَا اللَّيلُ قَد غَشِيَكُم، فَاتَّخِذوهُ جَمَلاً، وتَفَرَّقوا في سَوادِهِ، فَإِنَّ القَومَ إنَّما يَطلُبونَني، ولَو ظَفِروا بي لَذَهَلوا عَن طَلَبِ غَيري.

فَقامَ إلَيهِ عَبدُ اللهِ بنُ مُسلِمِ بنِ عَقيلِ بنِ أبي طالِبٍ، فَقالَ: يَا ابنَ رَسولِ اللهِ، ماذا يَقولُ لَنَا النّاسُ إن نَحنُ خَذَلنا شَيخَنا وكَبيرَنا وسَيِّدَنا، وَابنَ سَيِّدِ الأَعمامِ، وَابنَ نَبِيِّنا سَيِّدِ الأَنبِياءِ، لَم نَضرِب مَعَهُ بِسَيفٍ، ولَم نُقاتِل مَعَهُ بِرُمحٍ؟

لا وَاللهِ، أو نَرِدَ مَورِدَكَ، ونَجعَلَ أنفُسَنا دونَ نَفسِكَ، ودِماءَنا دونَ دَمِكَ، فَإِذا نَحنُ فَعَلنا ذلِكَ فَقَد قَضَينا ما عَلَينا، وخَرَجنا مِمّا لَزِمَنا.

ص٢٤٩.

وقامَ إلَيهِ رَجُلٌ يُقالُ لَهُ: زُهَيرُ بنُ القَينِ البَجَلِيُّ، فَقالَ: يَا ابنَ رَسولِ اللهِ، وَدِدتُ أنّي قُتِلتُ، ثُمَّ نُشِرتُ، ثُمَّ قُتِلتُ، ثمَّ نُشِرتُ، ثُمَّ قُتِلتُ، ثُمّ نُشِرتُ فيكَ وفِي الَّذينَ مَعَكَ مِئَة قَتلَةٍ، وإنَّ اللهَ دَفَعَ بي عَنكُم أهلَ البَيتِ.

فَقالَ لَهُ و لِأَصحابِهِ: جُزيتُم خَيراً(١).

ونقول:

أصحابه × أوفى أصحاب:

لقد وصف الإمام الحسين «عليه السلام» أصحابه ـ كما في المصادر المتقدمة ـ بقوله: «لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر، ولا أوصل من أهل بيتي»(٢).

---

(١) الأمالي للصدوق ص٢٢٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣١٥ و ٣١٦ وراجع: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٤٤ وموسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٦٤ و ٦٥ عنهم، والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٦٥ وتجارب الأمم ج٢ ص٧٥.

(٢) الإرشاد للمفيد ج٢ ص٩١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٩٢ و ٣٩٣ وروضة الواعظين ص١٨٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٤٣ ولواعج الأشجان ص١١٨ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص١٨٣ وراجع: مقاتل الطالبيين ص٧٤ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١٧ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٧ والملهوف في قتلى الطفوف ص٥٥ وإعلام الورى ج١ ص٤٥٥ وينابيع المودة ج٣ ص٦٥ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١٠٧ ونهاية الأرب للنويري ج٢٠ ص٤٣٤ وشرح

وفي نص آخر: «اللهم إني لا أعلم أهل بيت أبر، ولا أزكى، ولا أطهر من أهل بيتي، ولا أصحاباً هم خير من أصحابي»(١).

ونقول:

١ ـ ورد في بعض المصادر «أولى» بدل أوفى، والظاهر: أنها تصحيف بسبب تشابه الرسم.

ويؤيد ذلك: أن كلمة «أولى» لا تعطي معنى واضحاً في موردها، ولم يذكر «المفضل عليه» فيها، فأصحابه أولى بأي شيء؟! ومن هم الذين يكون أصحابه «عليه السلام» أولى منهم؟!

٢ ـ لقد وصف «عليه السلام» أهل بيته: بأنهم أوصل وأبر أهل بيت.. ووصف أصحابه بالوفاء.. والسبب في وصف أهل بيته بذلك: أنه «عليه السلام» قد وصفهم بما يتوقع منهم ومن كل أهل بيت..

فإن صلة القربى وظروف العيش الواحدة تفرض على أعضاء الأسرة التعاون والتكافل، والسعي في قضاء حاجات بعضهم بعضاً. وتوفير حالة الأنس والرضا، والمودة فيما بينهم.

أما الأصحاب، فإن الارتباط فيما بينهم يبقى أضعف من ارتباط

إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٦١١ و ٦١٢ وج٢٧ ص١٤٥ وراجع: الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٥.

(١) الأمالي للصدوق ص٢٢٠ المجلس رقم ٣٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣١٦ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٦٥ وتجارب الأمم ج٢ ص٧٥.

القارب، وهو ارتباط يستند إلى اختياراتهم، وقراراتهم، وإلى تعهدات يأخذونها على أنفسهم، ما دام الأنس والانسجام بين الصاحب وصاحبه قائماً، فإن الإلتزامات بمبادئ وقيم، وأخلاق الصحبة تبقى قائمة..

والتخلي عن ذلك يعتبر إخلالاً بالصحبة، وينتهي الأمر عند هذا الحد. وهو أسهل وأيسر من تخلي القريب عن قريبه، فإن ذلك إذا حصل لا يؤثر على القرابة ولا يخل بها، بل إن تبعات التخلي عن الأقارب تبقى تلاحق فاعله إلى أن يتراجع.

والمطلوب منهم في مثل هذه الحالات: هو الوفاء بما التزموا به، أو بما يتوقع من أمثالهم في مجالات التعامل الاجتماعي، وما تفرضه الأعراف والأخلاق والقيم، والأحكام..

٣ ـ تقدم: أن بعض الروايات ذكرت: أنه وصف «عليه السلام» أهل بيته بالأبر، والأزكى، والأطهر. وليس المراد بالطهارة هنا ما ورد في آية التطهير، لأن هذه الآية المباركة نزلت في خصوص أصحاب الكساء، ومعهم أيضاً بقية الأئمة المعصومين، كما دلت عليه الروايات، فلا تشمل أهل بيت الحسن والحسين، وبيوت باقي الأئمة «عليهم السلام».

والمقصود بأهل بيت الحسين في كلامه «عليه السلام» هم: الأرحام القريبون، كالإخوة، والأخوال، والأعمام وأبنائهم، والأخوات، وأبنائهن.. ولذا وصف «عليه السلام» في رسالته لأهل الكوفة مسلم بن عقيل بقوله: «وثقتي من أهل بيتي».

وهي كلمة قد تشير إلى احتمال أن يكون في أهل بيته «عليه السلام» من ليس ثقة عنده.

ويدل وصفه «عليه السلام» لأهل بيته الذين كانوا معه في كربلاء بهذه الأوصاف الجليلة على أن أهل بيته «عليه السلام» كانوا في أرقى درجات الطهر والصفاء، والاستقامة من خلال التربية الصالحة التي شملتهم..

أوفى الناس كان عثمانياً قبل أيام!!:

ويبقى هنا سؤال، وهو: أن زهير بن القين مثلاً كان عثمانياً، وكان يتحاشى اللقاء بالإمام الحسين «عليه السلام». وبعد أن طلب الإمام الحسين «عليه السلام» اللقاء به تردد في إجابة طلبه، ولولا إصرار زوجته عليه فربما كان لم يفعل.

كما أن عدداً من أصحابه «عليه السلام» إنما التحقوا به في الطريق، أو في كربلاء.. فلم يمض على صحبتهم له إلا القليل، ولعله لم ير من وفائهم له ما يدل عليه، فضلاً عن أن يخوله أن يعتبرهم أوفى الناس.. فكيف إذا كانوا من أهل الوفاء لرمز قضيته ليست محقة، كما هو الحال بالنسبة لزهير، فإن وفاءه لقضية كقضية عثمان، ليس مستحسناً.

ونحن نعلم: أن علياً «عليه السلام» الذي كان مع الحق، والحق معه كان لا يرى حقانيتها، وإن كان يحاول درء الفتنة، وأن لا تتفاقم الأمور إلى الحد الذي يجر إلى ما هو أسوأ وأشر، وأخطر وأضر.

كما أننا لا نقصد في كلامنا الذي تقدم فيه توضيح حال الأصحاب وأوصافهم الحر الرياحي، الذي كان من قادة جيوش الظالمين والجبارين. وقد جعجع بالإمام، وضيق عليه حتى ألجأه إلى النزول في كربلاء. وهذا كان وفاء من الحر للقتلة والجبارين.

وكما أن الوفاء لإبليس وشياطينه مذموم وقبيح، فإن الوفاء ليزيد وابن زياد مذموم وقبيح أيضاً.

ولا نقصد بكلامنا هذا أيضاً أبا الحتوف، وأخاه سعداً اللذين كانا في جيش عمر بن سعد، وكانا من الخوارج، فلما رأيا ما انتهت إليه الأمور بالحسين «عليه السلام» وسمعا صراخ النساء والأطفال مالا إلى الحسين، وهاجما جيش ابن سعد واستشهدا «رضوان الله تعالى عنهما».

وإنما لم نقصد بكلامنا هذا من كان من أصحابه «عليه السلام» قبل الحر الرياحي، وأبي الحتوف الجعفي، وأخيه سعد لأن هؤلاء حين وصف الحسين أصحابه بالوفاء لم يكونوا في جملة أصحابه، فقد يقال: إنهم لم يكونوا في جملة من قصدهم في كلامه هذا.

ونجيب:

أولاً: إن الإمام «عليه السلام» قد استفاد هنا من صيغة أفعل التفضيل، فقال: أوفى. أبر. ونحو ذلك.

ومن المعلوم: أن هناك أموراً تفضل على غيرها لأجل قوة حضورها في نفسها، ولما هو كامن في ذاتها، فيقال: فلان أقوى،

وهذا القلم أثمن، أو هذا الشكل أجمل، أو فلان أفضل أو أعلم، أو أشد ذكاء، أو أشد سواداً، أو بياضاً، أو أشد مرارة أو حلاوة، وما إلى ذلك. لأن ما استُنِدَ إليه في التفضيل مفهوم مشكك متفاوت الحضور في تجلياته في أفراده.

وهناك أمور لا مجال للتفضيل بينها في أنفسها، بل هي إما أن توجد أو لا توجد، وإن وجدت، فإنها تكون على نحو واحد، فإن تكثر وجوده، فإن تكثره لا يعني سوى التكرار للأفراد وزيادة عددها..

فمثلاً الخبر إما صادق أو كاذب، والإنسان إما وفي أو غير وفي، فلا مجال للتفاضل بين الأفراد المتكثرة، لأن حضور الخصوصية في الأفراد في مستوى واحد، وعلى نسق واحد.

نعم، يمكن التفضيل بين أفراد هذه العناوين من حيث القلة والكثرة، فيقال لمن جاء بمئة خبر مقابل آخر جاء بمئة خبر أيضاً: فلان أصدق من فلان، إذا كان أحدهما قد صدق في تسعين خبراً. وصدق الآخر في خمس وتسعين مثلاً، والتفاضل في عدد الأفراد إنما هو تفاضل في أمر خارج عن حقيقة ذات الخبر وخصوصية الصدق فيها، أو بالنسبة للوفاء المقابل للخيانة، أو المقابل لنكث العهد، أو لخلف الوعد.

ثانياً: إنه «عليه السلام» قال: لا أعلم أصحاباً أوفى. ولم يقل: إنني أعلم أنهم «رحمهم الله» أوفى من كل أحد. حيث إنه «عليه السلام» إنما يتحدث مع الناس وفق الدلائل الظاهرية التي تتوفر له ولغيره،

حيث لم يكن فيها ما يدل على وجود من هو أوفى منهم. مما يعني: أنهم قد بلغوا في وفائهم درجة الكمال التام.

ثالثاً: مع غض النظر عن ذلك، فإننا نقول: نحن نعلم: أنه «عليه السلام» لو أراد أن يعلم لعلم، لأنه إمام، والله يُعْلِمُ الإمام بما يريد.. ولا يريد الإمام أن يعلم إلا ما يكون مفيداً لتأييد الدين، ونشر الحق.. أو يفيده هو في نيل منازل الكرامة، أو ما كان من شؤون الإمامة.

فقوله «عليه السلام»: لا أعلم أصحاباً أوفى، أو خيراً من أصحابي يعطي: أنه «عليه السلام» يريد أن يبقي هذا الأمر على درجة من الغموض في بعض نواحيه. أي أنه يريد أن يفهم الناس أن أصحابه قد بلغوا أقصى الدرجات في الوفاء. فهم متساوون مع جميع من بلغ هذه الدرجة، فلا يوجد أوفى منهم.. وإن لم يكن هناك من بلغ هذه الدرجة، فذلك يعني: أن أصحابه هم الأوفى. فلم يبين الإمام للناس هذا الأمر، لأن مطلوبه حاصل على كل حال. أي سواء وصلوا إلى درجة لم يصل إليها غيرهم، أو وصلوا إلى درجة ساووا فيها كل من وصل.

ولكن هل صاروا هم الأفضل والأوفى بحيث إن أحداً لا يصل إلى مرتبة الكمال التام التي قد يبلغها غيرهم أيضاً؟! كسلمان، وأبي ذر، والمقداد، وعمار، والأشتر، وسواهم، فيكونون مساوين لأصحابه «عليه السلام»؟!

إنه «عليه السلام» قد أبقى هذا الأمر في دائرة الغموض والإبهام.

ربما لكي تبقى علاقة الناس بهم، وبسائر صلحاء الأمة وخيارها ـ كسلمان ونظرائه ـ في دائرة السلامة، والاعتدال، فلا يضيّع الناس حق أحد منهم.. ولا ينتهي الأمر بالاستهانة بأقوال النبي «صلى الله عليه وآله» في حقهم، لاسيما وأن الناس لا يقتصرون في أمثال هذه الأمور على دلالات النصوص بحرفيتها.

ثالثاً: إنه «عليه السلام» قد نسب الأصحاب الذين هم أوفى إلى نفسه، فقال: من أصحابي. ولم يقل مثلاً: لا يوجد أصحاب أوفى من هؤلاء الناس، أو نحو ذلك، لأن هذه الكلمة لو جاءت بهذه الصيغة لكانت قد أثبتت لهم صفة الوفاء وصفة كونهم خير أصحاب في جميع حالاتهم، وفي سائر أدوار حياتهم، فهم خير وأوفى حتى حين كانوا من أعوان الظلمة، ومن مؤيدي المناهج والسياسات الباطلة ـ كما هو الحال بالنسبة للحر، وأبي الحتوف، وأخيه، وزهير بن القين، وغيرهم.

وهذا ما لا يريده الإمام «عليه السلام»، ولا يمكن أن يكون من مقاصده.

رابعاً: إن كلمات الإمام الحسين «عليه السلام» هذه، قد قالها لأصحابه في ليلة العاشر، وهو وإن لم ير من كثير منهم مفردات كثيرة تدل على خيريتهم، وكونهم الأوفى.. ولكن طريقته وأسلوبه هذا يعطي: أنه يخبر عن أمر عيني كامن فيهم، وقد علم به «عليه السلام»، واطلع عليه بما له من خصوصية الإمامة، وما يختصه الله به من علومها.

وقد ذكرنا أكثر من مرة: أن للنبي «صلى الله عليه وآله» والإمام «عليه السلام» أن يستفيد من علومه الخاصة في تأييد الدين، من دون المساس بالاختيار واتخاذ القرار الذي منحه الله للناس، ولذا كان «صلى الله عليه وآله» يطعم الجيش كله من كف من تمر، أو من كتف شاة، أو نحو ذلك.. ليرسخ الإيمان في القلوب، ولكنه يكلفهم بحفر الخندق في غزوة الأحزاب، ويأمرهم بقتال الأقران، وقهر الأعداء بسيوفهم. ولا يعطل إرادة أعدائهم، أو يشل حركتهم.

فالإمام إذن يعرف مقامات أصحابه في الفضل والخيرية، وفي الوفاء، و.. و.. الخ.. من طرق غير عادية، ثم يخبرهم عن هذه المقامات، لكي يزيد من يقينهم، ويضاعف من صبرهم وثباتهم.. ويخبرنا أيضاً بهذا المقام لهم ليكون ارتباطنا بهم مستنداً إلى علم الإمامة، الذي لا يخطئ، فإننا سنكون بأمس الحاجة إلى هذا الارتباط اليقيني والواعي، بالاستناد إلى هذه الأخبار، ليكون ارتباطنا وعلاقتنا بهم في غاية السلامة والصحة..

خامساً: إذا كان الإمام «عليه السلام» قد تلقى علمه بهذه الخصوصية وتلك من خلال وسائل غير عادية، ولو بالكشف والقراءة لما في القلوب ـ ولذلك شواهد ونظائر كثيرة في حياة الأئمة «عليهم السلام» ـ فذلك يعني: أن أصحابه «عليه السلام»، أو أن كثيراً منهم قد رأوا من كرامات الإمام ما ترك فيهم أثراً عميقاً. كما أنهم، أو أن كثيراً منهم قد دعا الله بأدعية، وأخلص لله إخلاصاً استحق به الحصول على هذه المقامات المجيدة، والمزايا الفريدة، التي سوغت

للإمام الحسين «عليه السلام» أن يخبر عن هذا التحول الهائل الذي عرض لهم، وبدَّل حياتهم.. ليكون ذلك من الدروس التي نستفيدها على مر الدهور والعصور.

هذا الليل، فاتخذوه جملاً:

وقد تقدم: أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد أحلَّ أصحابه وأهل بيته من بيعته، ولم يعد له عليهم ذمام، وأذن لهم بالانصراف، مستفيدين من ظلمة الليل كساتر لهم عن الأنظار..

فالسؤال هو: إذا كان الدفع عن النبي والإمام واجباً، فهل يرتفع هذا الواجب بهذا الإذن وأمثاله؟! ليصبحوا أحراراً في نصرته وعدمها؟!

وهل يجعلهم هذا الإذن معذورين في ترك نصرته؟ وكيف يجوز لهم أن يسلموه للقتل، فيقتل وهم ينظرون إليه؟!

وإذا كان لا يحل لهم ذلك، فهل يصبح أمرهم بالإنصراف عنه أمراً بمعصية الله سبحانه؟! وهل؟ وهل؟

ونجيب:

بأن الإلزام بالنصرة والدفع عن الإمام له مناشئ ومسوغات عديدة، وقد تجتمع هذه المسوغات في مورد بعينه، كما هو الحال هنا، فإذا اقتضت المصلحة رفع بعضها، وهو قابل للرفع والوضع، فلا يعني ذلك ارتفاع ما عداه.. ولاسيما إذا كان ليس مما يقبل الرفع والوضع..

وهذا ما حصل بالفعل، فإن الدفاع عن النبي والإمام واجب عقلي، لأنه ينتهي إلى كون ذلك دفاعاً عن الدين ورموزه، فيجب نصر النبي والإمام على كل مسلم ، سواء بايعه، أو لم يبايعه. وهذا ما أشار إليه العباس «رضوان الله عليه» بقوله:

والله إن قطعتم يميني إني أحامي أبداً عن ديني

وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين

كما أن نصر النبي والإمام، والدفاع عنه واجب شرعي وإنساني، وعاطفي، وأخلاقي، واجتماعي، وغيره.. ولا يعذر الناس من يتخلف عنه، كما لا يعذرون من لا يدافع عن عرضه، وعن أخيه وأبيه، وولده، وما إلى ذلك. وهو أيضاً واجب شرعي، ويجب، أو فقل: ربما يتأكد وجوبه بالنذر، والقسم، وبالعهد. ويجب أيضاً بالبيعة التي هي عقد بين المبايع والمبايع له، ويلتزم فيه معطي البيعة بالنصر، والمعونة، والمؤازرة، وما إلى ذلك.

ويمكن التحلل من عقد البيعة بإحلاله منه من قبل من أعطيت له. كما قد يمكن التحلل من النذر وغيره.

ولكن هذا الإحلال، وإن أسقط مفاعيل البيعة وآثارها، ولكن وجوب الدفاع والنصر قد يبقى ثابتاً، ولكن بمسوغ ومثبت آخر، كالوجوب العقلي، أو الأخلاقي، أو الشرعي المجعول من قبل الله تعالى، أو بأي موجب آخر، مما تقدمت الإشارة إليه..

ولو أن والداً يتعرض للقتل على يد عدو مهاجم، أَذِنَ لولده بترك

نصرته، والدفاع عنه، ثم تركه ذلك الولد ومضى، لكان ملوماً، بل مهاناً عند الناس.

ومن الواضح: أن الإمام الحسين «عليه السلام» لم يكن يريد لأصحابه أن يقتلوا معه، انصياعاً لمنطق البيعة، ومن خلالها.. بل هو يرى أن من يدافع عنه «عليه السلام» لمجرد الوفاء بالبيعة قد لا يستحق مقام الشهادة والشهداء في كربلاء، الذين يمتازون عن جميع الشهداء من الأولين والآخرين: بأنهم سيكونون شركاء في أعمال أهل الإيمان إلى يوم القيامة..

ولا يفوز بهذه الشراكة إلا المشتاق إلى هذه الشهادة، والشديد الصفاء والإخلاص، والاندفاع لها.

وقد ذكر بعض الإخوة الأكارم ما يلي:

إن ظاهر الإمام «عليه السلام» بإحلاله إياهم من بيعته يترتب لهم جواز الإنصراف، فلو كان مع الإحلال يبقى مانع عن الإنصراف من جهة الوجوب العقلي أو الشرعي لما حسن استعمال مثل هذا الكلام بمثل هذا الظهور.

ثم إن الإشكال لا يختص بهؤلاء الموجودين ليلة العاشر، وما فرقهم عن غيرهم ممن استأذن في الانصراف، وتعلل بالدين والعيال ونحو ذلك، ممن لقي الإمام «عليه السلام» في الطريق؟!

نعم، يمكن الفرق بأن من حضر وسمع الواعية لا يعذر أبداً لما يدل عليه قوله «عليه السلام»: أكبه الله على وجهه في النار، بخلاف

من انصرف قبلها، فإنه يحاسب، إلا أنه ليس بالضرورة أن يكب في النار مباشرة، وبلا حساب، وإجراء موازنة بين حسناته وسيئاته..

هذا، ولعل هذا الكلام قد صدر من الإمام «عليه السلام» على وجه الامتحان والاختبار كما قد يدل عليه قول الحوراء: «هل اختبرت أصحابك»؟! فإن الظاهر: أن جوابه «عليه السلام» يشير إلى هذه الواقعة، إن لم يحصل بحسب الظاهر اختبار جدي في غيرها.. والله أعلم.

ويجاب:

بأن مطلوب الإمام «عليه السلام» هو: أن لا تكون البيعة بمجردها سبباً وداعياً للنصرة، وذلك:

أولاً: لأن ذلك لا يمنح هذا الناصر درجة الشهيد، بل يكون مجرد قتيل.

وثانياً: إنه «عليه السلام» كان يعرف درجة الوعي لدى اصحابه، وأنهم مدركون لحقيقة مراميه وأهدافه من إحلالهم من بيعته، وأنهم كانوا على دراية تامة بالملزمات الأخرى، غير البيعة له بالنصر..

ولذا أجمعوا على نصرته، بالرغم من أنه أحلهم من بيعته، والشواهد التالية تشهد على ما نقول..

ثالثاً: إن هذا الاختبار منه «عليه السلام» لا يريد به أن يعرف حقيقة موقفهم، بل كان لأجل أن تعرف الأجيال هذا الأمر فيهم.

أما من يقاتل لمجرد وعد قطعه على نفسه يرى أنه مكره على الوفاء به، لكي لا يلحق به عار نقضه مثلاً، فلعله لا يكون شهيداً إذا قتل.

نصوص وشواهد:

وفي كلمات الأصحاب «رضوان الله تعالى عليهم» التي قالوها بمحضر الإمام «عليه السلام» وغيرها إشارات إلى هذه الملزمات المتنوعة والمختلفة التي خضعوا لها، والتزموا بها، ولم نجدهم أشاروا إلى البيعة، ولو بكلمة واحدة، بل دلت كلماتهم على أن القبول بالإحلال من موجبات الإخلال بالواجب العقلي، والشرعي، والأخلاقي، والإنساني، والعرفي، والإجتماعي، والعاطفي، وغير ذلك.

ونعيد الإشارة لبعض هذه النصوص، وهي التالية:

١ ـ قال علي الأكبر في جملة رجز له:

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالنبي

أطعنكم بالرمح حتى ينثني أضربكم بالسيف أحمي عن أبي

ضرب غلام هاشمي علوي والله لا يحكم فينا ابن الدعي

فهو يرى: أن بره بأبيه «عليه السلام» يفرض عليه، لزوم المحاماة عنه، ويفرضه عليه أيضاً أصالته، ومحتده، فإنه هاشمي عربي، وكذلك رفض حكومة الظالمين ـ إن ذلك كله ـ قد ألزمه بهذا الموقف.

ولو أن والداً يتعرض للقتل، ثم أذن لولده بترك الدفاع عنه، للامه الناس، ولم يقبلو منه هذا العذر.

وارتجز عبد الله بن الحسن، أو القاسم بن الحسن، فقال:

إن تنكروني فأنا فرع الحسن ... سبط النبي المصطفى

هذا حسين كالأسير المرتهن ... بين أناس لا سقوا صوب

وهذا يدل على أن التوهج العاطفي والإنساني تجاه الإمام الحسين «عليه السلام» كان له الأثر في الإقدام على الشهادة أيضاً، فضلاً عن الشعور بالواجب العقلي والشرعي وغير ذلك.

بل إن كلمات أصحاب الحسين «عليه السلام» حين أذن لهم بالانصراف تكفي للدلالة على ما ذكرناه.

فقد قال مسلم بن عوسجة: «أنخليك، ولم نعذر إلى الله فيك»؟!

أي أنه يريد أن يقاتلهم قتالاً يمنحه العذر بين يدي الله تعالى.

كما أن أبناء مسلم بن عقيل حين قال لهم الحسين «عليه السلام»: حَسبُكُم مِنَ القَتلِ بِمُسلِمٍ، اذهَبوا قَد أذِنتُ لَكُم، قالوا: فَما يَقولُ النّاسُ؟! يَقولونَ: إنّا تَرَكنا شَيخَنا وسَيِّدَنا، وبَني عُمومَتِنا خَيرَ الأَعمامِ، ولَم نَرمِ مَعَهُم بِسَهمٍ، ولَم نَطعَن مَعَهُم بِرُمحٍ..

إلى أن قالوا: لا وَاللهِ، لا نَفعَلُ، ولكِن تَفدِيكَ أنفُسُنا وأموالُنا وأهلُونا، ونُقاتِلُ مَعَكَ حَتّى نَرِدَ مَورِدَكَ، فَقَبَّحَ اللهُ العَيشَ بَعدَكَ..

فهم لو قبلوا بأن استشهاد مسلم كان كافياً عن بذل المزيد، فإنهم

أعلنوا أيضاً: أن هناك ما يلزمهم بعدم التخلي عن الحسين «عليه السلام»، وهو كون العيش بعده وبدونه سيكون قبيحاً وممجوجاً. ولاسيما مع ما يصاحبه من الشعور بالذنب والتقصير، والحرج بسبب عدم تحملهم مسؤولياتهم تجاهه.

وقال مسلم بن عوسجة: أَنَحنُ نُخَلّي عَنكَ ولَمّا نُعذِر إلَى اللهِ في أداءِ حَقِّكَ؟!

فالذي يلزمه بالقتال معه هو: أنه يرى أن للحسين «عليه السلام» حقاً لا بد له من الوفاء به.

وقال له مسلم بن عوسجة أيضاً: وَاللهِ، لا نُخَلّيكَ حَتّى يَعلَمَ اللهُ أنا حَفِظنا غَيبَةَ رَسولِ اللهِ «صلى الله عليه وآله» فيكَ، وَاللهِ، لَو عَلِمتُ أنّي أُقتَلُ، ثُمَّ أُحيا، ثُمَّ أُحرَقُ حَيّاً، ثُمَّ أُذَرُّ، يُفعَلُ ذلِكَ بي سَبعينَ مَرَّةً ما فارَقتُكَ، حَتّى أَلقى حِمامي دونَكَ، فَكَيفَ لا أفعَلُ ذلِكَ! وإنَّما هِيَ قَتلَةٌ واحِدَةٌ، ثُمَّ هِيَ الكَرامَةُ الَّتي لا انقِضاءَ لَها أَبَداً؟!

وفي نص آخر عنه «رحمه الله»: والله لأكسرن في صدورهم رمحي، ولأضربن أعناقهم بسيفي حتى ألقى الله عز وجل، ليعلم الله أنَّا قد حفظنا عترة رسوله.

فترى أنه قد ذكر: أن ما يدعوه للإصرار على الشهادة معه «عليه السلام»، بالإضافة إلى أنه يريد أن يعذر إلى الله تعالى في الدفاع عنه، ـ ذكر ـ أموراً أخرى، هي:

١ ـ أن يعذر إلى الله في أداء حق الحسين «عليه السلام».

٢ ـ حفظ غيبة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الحسين «عليه السلام».

أو حفظ عترة رسول الله «صلى الله عليه وآله». ولعل كلمة «غيبة» مصحفة عن كلمة «عترة».. ولعل.. ولعل..

٣ ـ بلوغ منازل الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

وقالَ سَعيدُ بنُ عَبدِ اللهِ الحَنَفِيُّ: لا وَاللهِ يَا ابنَ رَسولِ اللهِ، لا نُخَلّيكَ أبداً، حَتّى يَعلَمَ اللهُ أنا قَدْ حَفِظنا فيكَ وَصِيَّة رَسولِ اللهِ مُحَمَّدٍ «صلى الله عليه وآله».. إلى أن قال: وَكَيفَ لا أفعَلُ ذلِكَ! وإنَّما هِيَ قَتلَةٌ واحِدَةٌ، ثُمَّ نَنَالُ الكَرامَةُ الَّتي لَا انقِضاءَ لَها أبَداً؟!

فذكر «رحمه الله»:

أولاً: أن وصية النبي في الحسين «عليه السلام» تلزمه بالبقاء معه.

ثانياً: قد أخبر عن مدى استعداده لتحمل المشاق الهائلة من أجله «عليه السلام»، ليدل على شدة تعلقه به، وحرصه على البقاء معه، فإن هذا العامل النفسي القوي ملزم له باتخاذ هذا الموقف والإصرار عليه..

ثالثاً: إنه يريد أن ينال بذلك الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

رابعاً: لقد قال له أيضاً: فَإذا نَحنُ قُتِلنا قَضَينا ما عَلَينا مِنْ وَاجِبِ حَقِكُمْ.

لماذا أحلهم × من بيعته؟!:

ويبدو: أن سبب إحلال الإمام الحسين «عليه السلام» أصحابه، وأهل بيته من بيعته قد أصبح واضحاً، فقد أراد «عليه السلام» للأجيال أن تعرف:

أن أصحابه الذين استشهدوا معه، مع أنهم كانوا يعرفون أن بقاءهم إلى جانبه سيجلب لهم الموت المحتم، لم يفعلوا ذلك بداعي الوفاء للبيعة، فها هو قد أحلهم منها. فلا مجال بعد لتوهم أنهم ملزمون بمقتضياتها، فلا بيعة له بعد في أعناقهم، ولا ذمام له عليهم.

وقد سبق أن اعتذر الأنصار عن أمر السقيفة، ثم عن قعودهم عن نصرة علي أمير المؤمنين «عليه السلام»: بأن بيعتهم لأبي بكر قد سبقت، ولا مجال لنقضها.

وقد نسوا: أن بيعتهم يوم الغدير لعلي «عليه السلام» قبل حوالي سبعين يوماً من وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» قد سبقت بيعتهم لأبي بكر.

ومع الإغماض عن ذلك، فإن البيعة للغاصب محرمة وباطلة، ولا تنفذ من الأساس، كما أنه لا بيعة مع وجود النص من الله ورسوله على الإمام.

والخلاصة:

١ ـ إن أصحابه «عليه السلام» لم يصروا على البقاء معه بداعي الوفاء بالبيعة.. كما أن أهل بيته لم يصروا على الاستشهاد بين يديه

بداعي العصبية العشائرية، والوفاء بالالتزامات القبلية، أو استجابة لدواعي الغضب والحمية، أو لأجل أنهم كانوا قد أعطوه وعداً، أصبح التراجع عنه صعباً ومحرجاً.

فها هو «عليه السلام» يحلُّهم من بيعته، ولا يلزمهم بأي ذمام.. وهو يأذن لهم بالانصراف، ويذكر لهم أموراً تسهل عليهم فعل ذلك، فظلام الليل يسترهم، وقرارهم بيدهم. ومطلوب الأعداء هو قتل الحسين «عليه السلام»، فإذا ظفروا به لم يفكروا بسواه.

٢ ـ يظهر لنا مما تقدم: أنه لا مجال لادِّعاء: أن الإقدام على الموت كان هو الخيار الوحيد لهم، لأن الفخ قد أطبق عليهم، والسبل قد سدت في وجوههم، ولم يعد لهم خلاص ولا مناص. فهم مجبرون على مواجهة الموت الذي لم يعد يمكنهم التفكير بغيره.

نعم، لا مجال لهذا الادِّعاء، فإنه باطل بلا ريب، كما أوضحه «عليه السلام» وأعلنه للأجيال كلها من ساحة المعركة مباشرة، مع إشارات ودلائل وشواهد تؤكد: أن من يريد إعادة النظر في قراره، فلا شيء يمنعه من ذلك، كما لا يوجد أي عائق أمام تنفيذ القرار الذي يتخذه.

٣ ـ إن هذا الموقف له «عليه السلام» مع أصحابه موقف تربوي، يهدف إلى زيادة يقينهم ووعيهم، ورفع مستوى الإيمان والإخلاص، والخلوص لديهم، ويجعلهم أكثر صلابة وقوة، وحزماً، وشجاعة وإقداماً.

٤ ـ لو أن بعضهم قرر الإنسحاب من المعركة، فإن كربلاء والإمام الحسين «عليه السلام» في غنى عنه، لأن انسحابه هذا يدل على أنه ليس مؤهلاً لنيل هذا الشرف، وتلك الكرامة في حرب شهداؤها أفضل الشهداء وقائدها إمام معصوم، وهو أقدس أهل الأرض، بل إنه لو بقي وقتل في غير سبيل الدفاع عن الدين وعن إمامه، فإنه سيكون قتيلاً لا شهيداً.

فتصفية الحركة الحسينية ممن هم ليسوا من أهلها، ولا من مستواها، وعياً وإخلاصاً ويقيناً، وما إلى ذلك، كان ضرورة لا بد منها.

أحمده على السراء والضراء:

قد يتوهم متوهم: أن الحمد الذي هو الثناء على الفعل الجميل الاختياري، لا يكون على الضراء، لأن ما فيه ضرر لا يكون فعلاً جميلاً، ليكون مورداً للحمد.

ويجاب:

بأن الله تعالى لا يفعل إلا الحسن الجميل. ولكن هذا الحسن قد لا يلائم طبع الإنسان، فينزعج منه، ويكرهه، ويرفضه، وذلك لجهله بما له من فوائد وعوائد. فالدواء المر يشفي الإنسان من مرضه، وإن كان يكره شربه.

وقد يحتاج الإنسان إلى بتر أحد أطرافه المبتلى بمرض خطير. وربما دفع الأموال الطائلة من أجل ذلك، وقد يقدم على إجراء جراحة فيها من الآلام ما لم يكن يشعر بالقليل منه قبل إجرائها.

وعلى كل حال، فإن الله تعالى يقول: **(وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)**(١).

كما أن الآلام التي يتعرض لها الإنسان مهما كانت شديدة، فإنها نِعَمٌ عليه، لأنها تدل على مواضع الخلل في جسده، وتفرض عليه السعي في إصلاحه.. ولولا هذه الآلام، فإنه قد يتعرض لتلف بعض أعضائه، من دون أن تكون أية فرصة لإعادة الحياة إليها.. بل قد يخسر حياته دون أن يشعر، أو دون أن يملك القدرة أو الوسيلة التي يتمكن بها من التدارك.

وقد أشارت زينب «عليها السلام» إلى هذا المعنى أيضاً، وهو أن الله تعالى لا يفعل إلا الحسن الجميل، حين قال لها ابن زياد: «كيف رأيت صنع الله بأخيك، وأهل بيتك»؟!

قالت: ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلج. هبلتك أمك يا ابن مرجانة(٢).

---

(١) الآية ٢١٩ من سورة البقرة.

(٢) الملهوف ص٢٠١ و (نشر أنوار الهدى) ص٩٤ و (ط أخرى) ص٦٧ ومثير الأحزان (ط المكتبة الحيدرية) ص٧١ وبحار الأنوار ج٤٥ ص١١٥ و ١١٦ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٨٣ ولواعج الأشجان ص٢٠٩ وقاموس الرجال ج١٢ ص٢٧٢ والمجالس الفاخرة ص٣٤٣ وراجع: شجرة طوبى ج٢ ص٣٤٩.

الحمد الحسيني على ماذا؟!:

وقد رأينا: أن الحسين «عليه السلام» قد حمد الله على الأمور التالية:

١ ـ السراء والضراء.

٢ ـ أن الله أكرمهم بالنبوة.

٣ ـ أنه تعالى فقههم في الدين.

٤ ـ أنه علمهم القرآن.

٥ ـ أن إكرامهم من كرامة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

٦ ـ أنه جعل لهم أسماعاً، وأبصاراً، وأفئدة.

٧ ـ أنه جعلهم من الشاكرين.

٨ ـ أنه لم يجعلهم من المشركين.

ولم يشر بشيء إلى ما أنعم عليه به من الأموال، أو الأولاد، أو المناصب الدنيوية، ولا إلى كثرة في العشيرة، أو نفوذ كلمة في الناس، أو إلى فروسية، أو قوة جسدية، أو إلى جمال صورة، أو أي شيء من أمور الدنيا.. باستثناء الحديث عن جعل الأسماع والأبصار، والأفئدة التي هي وسائل التصرف الصحيح بالنعم المعنوية التي ذكرها.

ويلاحظ: أن أكثر الأمور التي حمد الله تعالى عليها هي مما يتيسر لكل أحد أن يحصل عليه لو احسن ظنه بالله، وتعامله معه

سبحانه، وكان في موقع المطيع له، والطالب لرضاه.

فلجميع الناس أسماع وأبصار وأفئدة. وكلهم يستطيع أن يكون مؤمناً، ولا يكون من المشركين. وكلهم يستطيع أن يتعلم القرآن، ويتفقه في الدين.. وأن يكون في جملة الشاكرين.

أظن يومنا غداً:

وتقدم: أنه «عليه السلام» قال لأصحابه: «وإنّي أظُنُّ يَومَنا مِن هؤُلاءِ الأعداءِ غَداً».. فيرد سؤال يقول: لماذا قال: أظن، ولم يقل: أتيقن؟! أو لماذا لم يقل: إن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً؟! مع أنه إنما خاطب أصحابه بهذا بعد أن أخذ وعداً بتأجيل هجوم أعدائه عليه إلى اليوم التالي..

ونجيب بما يلي:

ألف: إنه «عليه السلام» لو قال: أتيقن، أو أعلم، أو أطلق الكلام، فربما سوغ بعضهم لنفسه أن يقول: إنه «عليه السلام» هو الذي حدد ساعة الصفر للحرب، فهو المدبر والمخطط والمنفذ.

مع أنه «عليه السلام» لم يأت للحرب، ولا كان هو الذي جمع الجيوش وجاء بها.

ب: لعل هذا الوهم يتنامى إلى الحد الذي يطرح المقولة المكذوبة التي تقول: إنه «عليه السلام» هو الذي ألقى بيده إلى التهلكة، لأنه لم يتصرف بروية وحكمة، بل ارتجل الأمور ارتجالاً أدى به إلى مواجهة هذا المصير.

ج: يضاف إلى ما تقدم: أنه لا يريد أن يتوهم أحد أيضاً: أن قوله هذا معناه: أنه يحدد يوم وساعة قتله، وهذا لا يحق له، فإن أمر الآجال بيد الله، وهو تعالى يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب.

وقد قال تعالى: **(وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ)**(١).

وقد يجاب عن هذا: بأنه «عليه السلام» قد حدد مكان قتله فور نزوله في أرض كربلاء، فكيف جاز له ذلك؟!

ويرد على هذا: أنه «عليه السلام» ليس له تحديد ذلك من خلال قدراته الذاتية، ولم يفعل «عليه السلام» ذلك، بل أخبر عن النبي «صلى الله عليه وآله» عن جبرئيل، عن الله بمكان وزمان قتله أيضاً.

د: إن كلمته هذه تشير إلى أن قرار الحرب كان في أيدي أعدائه.. والحال أن النوايا تتبدل، والأمور تتحول، وقانون البداء حاكم.

هـ: إنه «عليه السلام» قد ألمح بكلمته هذه إلى أن نتيجة هذه الحرب ستكون مصرعه ومصرع أهل بيته وأصحابه.

وقال بعض الإخوة الأكارم:

قد يطلق الظن ويراد به اليقين، إذا كان ناشئاً عن أمور حدسية، وقرائن تراكمت حتى أوجبت القطع، دون ما يحصل من الرؤية والسماع وغير ذلك من الوسائل الحسية.

ويشهد لذلك قوله تعالى: **(مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا**

---

(١) الآية ٣٤ من سورة لقمان.

قَتَلُوهُ يَقِينًا)(١). مع أن الله تعالى يقول حكاية عنهم: **(وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ)**(٢). فحددوه باسمه واسم أمه، وبصفته الرسولية. مع التاكيد على فعلهم، وكان ظاهر حالهم أنهم سيبادرون إلى ارتكاب جريمتهم في اليوم التالي. وهو يوم العاشر من المحرم، فقوله «عليه السلام»: «أظن» يراد به اليقين الحاصل من القرائن وظواهر الأحوال.

ونجيب:

بأن هذه القرائن لا تفيد اليقين، لأن الإنسان متقلب الأحوال غالباً.. وقد تستجد ظروف، كموت الخليفة، أو عامله، أو حصول يقظة ضمير لدى طائفة من الناس، وغير ذلك من أمور وأحوال تقلب المعادلات..

بل قد يتغير رأي الحكام أنفسهم بعد حسابات الربح والخسارة، وما إلى ذلك..

يا دهر أفٍّ لك من خليل:

١ ـ عن الحارث بن كعب وأبي الضّحاك عن عليّ بن الحسين بن عليّ [زين العابدين] «عليه السلام»: إنِّي جالِسٌ في تِلْكَ العَشِيَةِ التي قُتِلَ أبي صَبيحَتَها، وعَمَّتِي زَيْنَبُ عِنْدِي تُمَرِّضُنِي، إذْ اعتَزَلَ أبي

---

(١) الآية ١٥٧ من سورة النساء.

(٢) الآية ١٥٧ من سورة النساء.

بأصحَابِهِ في خِبَاءٍ لَهُ، وعِنْدَهُ حُوَيٌّ مَوْلَى أبي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ، وَهُوَ يُعَالِج سَيْفَهُ وَيُصْلِحُهُ، وأبي يَقُولُ:

يـا دَهـرُ أُفٍّ لَـكَ مِـن خَليـلِ … كَـم لَـكَ بالإشـراقِ وَالأصـيلِ

مِـن صـاحِبٍ أو طالِـبٍ قتيـلِ … وَالـدَّهرُ لا يَقنَـعُ بالبَـديلِ

وإنَّمَـا الأمـرُ إلَـى الجَليـلِ … وكُـلُّ حَـيٍّ سـالِكُ السَّـبيلِ

قالَ: فَأعادَها مَرَّتَينِ أو ثَلاثاً حَتّى فَهِمتُها، فَعَرَفتُ ما أرادَ، فَخَنَقَتني عَبرَتي، فَرَدَدتُ دَمعي، ولَزِمتُ السُّكونَ، فَعَلِمتُ أنَّ البَلاءَ قَد نَزَلَ.

فَأمّا عَمَّتي فَإنَّها سَمِعَت ما سَمِعتُ، وهِيَ امرَأةٌ، وفِي النِّساءِ الرِّقَّةُ وَالجَزَعُ، فَلَم تَملِك نَفسَها أن وَثَبَت تَجُرُّ ثَوبَها، وإنَّها لَحاسِرَةٌ حَتّى انتَهَت إلَيهِ، فَقالَت: وَا ثُكلاه! لَيتَ المَوتَ أعدَمَنِي الحَياةَ! اليَومَ ماتَت فاطِمَةُ أمّي، وعَلِيٌّ أبي، وحَسَنٌ أخي! يا خَليفَةَ الماضي، وثِمالَ(١) الباقي(٢).

---

(١) الثِمالُ: الملجأ والغياث، وقيل: هو المُطْعِم في الشِّدَة. راجع: النهاية ج١ ص٢٢٢ مادة «ثمل».

(٢) كذا في المصدر، وفي الملهوف ص١٣٩ و (نشر أنوار الهدى) ص٥٠ ومثير الأحزان (ط المكتبة الحيدرية) ص٣٥ وأنساب الأشراف ج٣ ص٣٩٣ (ط دار التعارف) ج٣ ص١٨٦ وإعلام الورى ج١ ص٤٥٧: يا خليفة الماضين، وثمال الباقين!

قالَ: فَنَظَرَ إلَيهَا الحُسَينُ «عليه السلام» فَقالَ: يا أُخَيَّةُ، لا يُذهِبَنَّ حِلمَكِ الشَّيطانُ.

قالَت: بِأَبي أنتَ وأُمّي يا أبا عَبدِ اللهِ، استَقتَلتَ نَفسي فِداكَ!

فَرَدَّ غُصَّتَهُ، وتَرَقرَقَت عَيناهُ، وقالَ: لَو تُرِكَ القَطا لَيلاً لَنامَ.

قالَت: يا وَيلَتي [وَيلَتَا]، أفَتُغصَبُ نَفسُكَ اغتِصاباً، فَذلِكَ أقرَحُ لِقَلبي، وأشَدُّ عَلى نَفسي! ولَطَمَت وَجهَها، وأهوَت إلى جَيبِها وشَقَّتهُ، وخَرَّت مَغشِيّاً عَلَيها.

فَقامَ إلَيهَا الحُسَينُ «عليه السلام»، فَصَبَّ عَلى وَجهِهَا الماءَ، وقالَ لَها: يا أُخَيَّةُ، اتَّقِي اللهَ، وتَعَزَّي بِعَزاءِ اللهِ، وَاعلَمي أنَّ أهلَ الأَرضِ يَموتونَ، وأنَّ أهلَ السَّماءِ لا يَبقَونَ، وأنَّ كُلَّ شَيءٍ هالِكٌ إلّا وَجهَ اللهِ الَّذي خَلَقَ الأَرضَ بِقُدرَتِهِ، ويَبعَثُ الخَلقَ فَيَعودونَ، وهُوَ فَردٌ وَحدَهُ، أبي خَيرٌ مِنّي، وأُمّي خَيرٌ مِنّي، وأخي خَيرٌ مِنّي، ولي ولَهُم ولِكُلِّ مُسلِمٍ بِرَسولِ اللهِ أُسوَةٌ.

قالَ: فَعَزّاها بِهذا ونَحوِهِ، وقالَ لَها: يا أُخَيَّةُ، إنّي أُقسِمُ عَلَيكِ فَأَبِرّي قَسَمي، لا تَشُقّي عَلَيَّ جَيباً، ولا تَخمُشي عَلَيَّ وَجهاً، ولا تَدعي عَلَيَّ بِالوَيلِ وَالثُّبورِ إذا أنَا هَلَكتُ.

قالَ: ثُمَّ جاءَ بِها حَتّى أجلَسَها عِندي، وخَرَجَ إلى أصحابِهِ، فَأَمَرَهُم أن يُقَرِّبوا بَعضَ بُيوتِهِم مِن بَعضٍ، وأن يُدخِلوا الأَطنابَ بَعضَها في بَعضٍ، وأن يَكونوا هُم بَينَ البُيوتِ إلّا الوَجهَ الَّذي يَأتيهِم

مِنهُ عَدُوُّهُم(١).

٢ ـ قال ابن طاووس:

نزل الحسين وأصحابه ناحية، وجلس الحسين «عليه السلام» يصلح سيفه، ويقول:

يا دَهرُ أفٍّ لَكَ مِن خَليلِ كَم لَكَ بالإِشراق وَالأصيلِ

مِن طالِبٍ وصاحِبٍ قتيلِ وَالدَّهرُ لا يَقنَعُ بالبَديلِ

---

(١) موسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٧٤ ـ ٧٦ عن المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤٢٠ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١٨ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٨ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٨ كلاهما من دون إسناد إلى أحد من أهل البيت «عليهم السلام»، والبداية والنهاية ج٨ ص١٧٧ والإرشاد ج٢ ص٩٣ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٤٣ وليس فيه ذيله من «فأمرهم»، وإعلام الورى ج١ ص٤٥٦ كلها نحوه، وروضة الواعظين ص٢٠٣ و (ط دار إحياء التراث العربي) ص١٨٤ وليس فيه ذيله من «فأما عمتي»، وبحار الأنوار ج٤٥ ص١ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٤٥ ولواعج الأشجان ص١٠٣ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١١٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٦٠١ وج٧ ص١٣٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٢٢٥ وراجع: تذكرة الخواص ص٢٤٩ والأمالي للشجري ج١ ص١٧٧.

وراجع: مقاتل الطالبيين ص١١٣ وراجع: أنساب الأشراف ج٣ ص٣٩٣ (ط دار التعارف) ج٣ ص١٨٦.

وإنَّمَا الأمرُ إلَى الجَليلِ وكُلُّ حَيٍّ فَإلى سَبيلِ

ما أقرَبَ الوَعدَ إلَى الرَّحيلِ إلَى جِنانٍ وإلَى مَقيلِ

قالَ الرّاوي: فَسَمِعَت زَينَبُ ابنَةُ فاطِمَة «عليها السلام» ذلِكَ فَقالَت: يا أخي! هذا كَلامُ مَن قَد أيقَنَ بِالقَتلِ.

فَقالَ: نَعَم يا أُختاه! فَقالَت زَينَبُ «عليها السلام»: وا ثُكلاه، يَنعى إلَيَّ الحُسَينُ «عليه السلام» نَفسَهُ!!

قالَ: وبَكَى النِّسوَةُ، ولَطَمنَ الخُدودَ، وشَقَقنَ الجُيوبَ، وجَعَلَت أمُّ كُلثومٍ تُنادي: وا مُحَمّداه! وا عَلِيّاه! وا أُمّاه! وا فاطِمَتاه! وا حَسَناه! وا حُسَيناه! وا ضَيعَتاه بَعدَكَ يا أبا عَبدِ اللهِ!

قالَ: فَعَزّاهَا الحُسَينُ «عليه السلام» وقالَ لَها: يا أُختاه تَعَزَّي بِعَزاءِ اللهِ، فَإنَّ سُكّانَ السَّماواتِ يَموتونَ، وأهلَ الأرضِ لا يَبقَونَ، وجَميعَ البَرِيَّةِ يَهلِكونَ.

ثُمَّ قالَ: يا أُختاه يا أُمَّ كُلثومٍ! وأنتِ يا زَينَبُ! وأنتِ يا رُقَيَّةُ! وأنتِ يا فاطِمَةُ! وأنتِ يا رَبابُ! أنظُرنَ إذا أنَا قُتِلتُ، فَلا تَشقُقنَ عَلَيَّ جَيباً، ولا تَخمُشنَ عَلَيَّ وَجهاً، ولا تَقُلنَ عَلَيَّ هُجراً.

ثم ذكر ابن طاووس «رحمه الله» نصاً آخر، وفيه: أن الحسين «عليه السلام» قال لأخته زينب «عليها السلام»: «يا أُخَتاهُ، لا يَذْهَبَنَّ حِلمُكِ»(١).

---

(١) الملهوف ص١٣٩ و (نشر أنوار الهدى) ص٤٩ و ٥٠ والفتوح لابن أعثم

٣ ـ وعند أبي الفرج، عن الإمام زين العابدين «عليه السلام»: إني والله لجالس مع أبي في تلك الليلة، وأنا عليل، وهو يعالج سهاماً له، وبين يديه جون مولى أبي ذر الغفاري، إذ ارتجز الحسين «عليه السلام»:

يـا دَهـرُ أُفٍّ لَـكَ مِـن خَليـلِ الـــــــــــــــــــخ..(١)

ونقول:

لا بأس بالإشارة إلى الأمور التالية:

إن إنشاد الإمام «عليه السلام» الأبيات المتقدمة:

يـا دَهـرُ أُفٍّ لَـكَ مِـن خَليـلِ الـــــــــــــــــــخ..

يأتي في سياق الاقتراب خطوة خطوة نحو الحدث الأخطر والأكبر، الذي يحتاج إلى الإعداد النفسي لمواجهته بالروحية التي ينبغي أن يواجه بها، من خلال إزالة حجب الغفلة عن واقع هذه الدنيا، وتقلباتها، وما يجري فيها من المكاره على أهلها، فليلاحظ قوله أخيراً..

مـا أقـرَبَ الوَعـدَ إلَى الرَّحيـلِ إلـــى جِنـــانٍ وإلـــى مَقيـــلِ

ج٥ ص٨٤ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٣٧ عن السجاد «عليه السلام».

(١) مقاتل الطالبيين ص١١٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٧٥ وراجع: بحار الأنوار ج٤٥ ص١ و ٢.

فهو في حين يخبر بقرب موعد الرحيل عن الدنيا.. يصرح: بأنه رحيل محبوب ورضي، ومن موجبات السرور والراحة، والشعور بالسعادة للراحلين، لأنهم يرحلون إلى الجنان وإلى مقيل.

وقد كرر «عليه السلام» هذه الأبيات إيذاناً منه بأنه يريد من سامعه أن يتمعن في دلالاتها، ويستفيد منها الفكرة والعبرة، من خلال مقارنة مضامينها مع حركة الواقع المعاش. ثم ما يتوقعونه في المراحل التالية..

ويلاحظ: أن هذه الأبيات قد جاءت على شكل قواعد قابلة للاستفادة منها في فهم مختلف الحالات التي هم فيها، وفي سائر التحولات التي يتوقع أن يواجهوها.

تصحيف لا تحريف:

تقدم: أن هناك من صرح بأن الذي كان بين يدي الإمام هو جون مولى أبي ذر. فما ورد في بعض المصادر من أنه «حوي» أو جوين، يكون تصحيفاً لجون، كما هو المظنون حين تشابه رسم الكلمتين. مع ملاحظة عدم الاهتمام بنقط الحروف في تلك الأزمنة.

ويشهد لذلك: التصريح في كلا الموردين: بأن حوياً أو جوناً هو مولى أبي ذر.

من الذي كان يعالج السهام؟!:

لم يتضح من النصوص المتقدمة من الذي كان يعالج السهام، هل هو الإمام الحسين «عليه السلام» كما هو صريح كلام أبي الفرج..

أو هو جون مولى أبي ذر كما قد يفهم من النص الأول المنقول عن الطبري، وغيره.

غير أننا نقول:

إن من يتوقع هجوم الأعداء عليه، يجد نفسه ملزماً بإعدادوسائل الدفاع عن نفسه. ولا يمكنه أن يترك الأمور للصدف، ولا أن يستهين بقدرات عدوه، لأن نفس النكاية في العدو المهاجم، وإلحاق الضرر بقواته من شأنه أن يسلي المعتدى عليه، ويشفي بعض غليل صدره، الذي يذكيه شعوره بالغبن والمظلومية. فإذا رأى أن ثمة تهاوناً وعزوفاً عن الإعداد والاستعداد، فإن حسرته تزداد، وألمه يتضاعف.

وقد دلت عبارة أبي الفرج على أن الحسين «عليه السلام» هو الذي كان يعالج سهاماً له. وهذا هو المتوقع من القائد الحكيم والمسؤول. ولذا نحن نرجح صحة هذا النص الصريح على الآخر الذي له ظهور بخلافه، ولا ينفي إمكانية التأويل.

هل وثبت زينب حاسرة؟!:

وتصرح رواية الطبري المتقدمة برقم [١]، المروية عن الإمام زين العابدين «عليه السلام»: بأن زينب «عليها السلام» لما سمعت أخاها يردد تلك الأبيات، «وَثَبَت تَجُرُّ ثَوبَها، وإنَّها لَحاسِرَةٌ حَتَّى انتَهَت إلَيهِ».

فهل يعقل أن تخرج زينب «عليها السلام» حاسرة تجر ثوبها؟!

ويجاب:

بأنه من غير المعقول أن تظهر زينب «عليها السلام» حاسرة أمام الرجال الأجانب؟!

ويبدو من مسار الكلام في الرواية: أنه لم يكن عند الإمام الحسين «عليه السلام» أحد سوى جون، فإن النص يقول: إن الإمام زين العابدين «عليه السلام» قال: «إذْ اعتَزَلَ أبي بأصحَابِهِ في خِبَاءٍ لَهُ، وعِنْدَهُ حُوَيٌّ مَوْلَى أبي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ».

والظاهر: أن الباء في قوله: بأصحَابِهِ زائدة من النساخ. بل إننا لم نجد كلمة «بأصحَابِهِ» في رواية المفيد وغيره. مع أن النص هو النص من أوله إلى آخره.

ويؤيد ما نقول: إنه لا معنى لأن يكون «عليه السلام» قد اعتزل بأصحابه، ثم تذكر أن جوناً فقط كان عنده «عليه السلام».

وعلى هذا، فإن من الطبيعي أن يكون جون حين شعر أن زينب تتجه نحو المكان الذي هو فيه أراد أن يفسح المجال لها، يتنحى ويبتعد عنها لكي تخاطب أخاها بما تريد.

كما أن من المفترض أنها كانت تتحرك في خباء لها، ولا يجب عليها التستر داخل الخباء، لأنها تشعر بأنها في مأمن من الناظرين الأجانب.

لا يُذهِبَنَّ حِلمَكِ الشَّيطانُ:

وذكرت رواية الطبري المتقدمة: أن الإمام الحسين «عليه السلام» قال لأخته زينب «عليها السلام»: «لا يُذهِبَنَّ حِلمَكِ

الشَّيطانُ»، فهل للشيطان سلطة على زينب «عليها السلام»، ليتمكن من أن يذهب بحلمها، ويخرجها عن جادة الصواب؟!

ونجيب:

أولاً: بأن الله تعالى يقول عن الشيطان: (**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**)(١). وزينب هي من هؤلاء، كما تدل عليه سيرتها العطرة، وثناء النبي «صلى الله عليه وآله»، والأئمة الطاهرون عليها.

ثانياً: إن ذهاب الشيطان بحلمها يحتاج إلى أن يزين لها القبيح حسناً، وعكسه، أو أن يضخم لها الأمور، ويثير أمامها الأوهام من خلال المبالغات وسواها.

وذهاب الحلم هنا ليس لذلك، وإنما هو بسبب شدة الجزع والحزن الذي يؤدي إلى فقدان القدرة على الصبر، وتحمل الفاجعة.. ولا يحتاج إلى التزيين والخداع الشيطاني ليكون الشيطان هو الذي يذهب بالحلم.

ثالثاً: في نصوص أخرى لم ترد كلمة «الشيطان»، بل قال لها «عليه السلام»: «يا أُخْتَاه، لا يَذهَبَنَّ حِلمُكِ». فلعل الناقلين أضافوا كلمة «الشَّيطانُ» جرياً على السجية التي اعتادوها في تعابيرهم عن هذه الحالات.

رابعاً: قد يحتمل البعض أيضاً: أن يكون «عليه السلام» قد

---

(١) الآية ٩٩ من سورة النحل.

خاطبها بذلك، وفقاً لما يقتضيه ظاهر حالها، ـ والإمام إنما يتعامل مع الأمور من خلال الظاهر ـ على سبيل التحذير لها، أو لأجل أن لا يفسر الناس حزنها الشديد، وجزعها الأكيد على هذا النحو السيئ والمغلوط.. فإنها لم تكن لترتكب هذه المخالفة بعد تحذيرها، ولفت نظرها إليها من قبل إمامها، ومن تجب طاعته عليها.

فصب الماء على وجهها:

وقد ذكرت رواية الطبري: أنه قد أغمي على زينب «عليها السلام»، «فَقامَ إلَيهَا الحُسَينُ «عليه السلام»، فَصَبَّ عَلى وَجهِهَا الماءَ». مع أنهم يقولون: إن منع الماء عن الإمام الحسين «عليه السلام» وأصحابه قد بدأ في اليوم السابع من محرم. فمن أين جاء بالماء ليصبه على وجهها؟!

ويمكن أن يجاب:

بأنه قد تقدم: أن العباس «رضوان الله تعالى عليه»، ومعه جماعة من الأصحاب قد جاؤوا بالماء بعد اليوم السابع، فلعله قد بقيت من ذلك الماء بقية استفاد منها الإمام «عليه السلام» في هذا المورد.

ملاحظة: إن سائر ما ورد في هذه الرواية قد مر معنا الحديث عنه في موارد سبقت من هذا الكتاب، فلا ضرورة لإعادة ذلك.

يا زينب، ويا رقية:

وذكرت الرواية المتقدمة عن ابن طاووس وغيره: أنه «عليه السلام» خاطب النساء قائلاً: «وأنتِ يا زَينَبُ! وأنتِ يا رُقَيَّةُ! وأنتِ يا

فاطِمَةُ! وأنتِ يا رَبابُ! أُنظُرنَ إذا أنَا قُتِلتُ، فَلا تَشُقُقنَ عَلَيَّ جَيباً الخ..».

والظاهر: أن المقصود برقية هي أخته رقية، وهي زوجة مسلم بن عقيل، وقد ذكرنا ذلك في البحث المتقدم في هذا الكتاب عن رقية بنت الحسين، فلا حاجة إلى الإعادة.

رواية تفسير العسكري:

وقالوا:

قال «عليه السلام»: ولمّا امتحن الحسين «عليه السلام»، ومن معه بالعسكر الذين قتلوه، وحملوا رأسه، قال لعسكره: أَنْتُمْ في حِلٍّ مِنْ بَيْعَتي، فَالْحَقُوا بِعَشائِرِكُمْ وَمَوالِيكُمْ.

وقال لأهل بيته: قَدْ جَعَلْتُكُمْ في حِلٍّ مِنْ مُفارَقَتي، فَإِنَّكُمْ لا تُطيقُونَهُمْ لِتَضاعُفِ أَعْدادِهِمْ وَقُواهُمْ، وَمَا الْمَقْصُودُ غَيْري، فَدَعُوني وَالْقَوْمَ، فَإِنَّ الله عزَّ وجلَّ يُعينُني وَلا يُخَلّيني مِنْ حُسْنِ نَظَرِهِ، كَعادَتِهِ في أَسْلافِنَا الطَيِّبينَ.

فأمّا عسكره ففارقوه.

وأمّا أهله والأدنون من أقربائه فأبوا، وقالوا: لا نفارقك، ويحل بنا ما يحل بك، ويحزننا ما يحزنك، ويصيبنا ما يصيبك، وإنّا أقرب ما نكون إلى الله إذا كنّا معك.

فقال لهم: فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ وَطَّنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ عَلى ما وَطَّنْتُ نَفْسي عَلَيْهِ فَاعْلَمُوا أَنَّ الله إِنَّما يَهَبُ الْمَنازِلَ الشَّريفَةَ لِعِبادِهِ بِاحْتِمالِ الْمَكارِهِ.

وَأَنَّ الله وَإِنْ كانَ خَصَّني ـ مَعَ مَنْ مَضى مِنْ أَهْلي الَّذينَ أَنَا آخِرُهُمْ بَقاءً في الدُّنْيا ـ مِنَ الْكَراماتِ بِما يَسْهَلُ عَلَيَّ مَعَها احْتِمالُ الْكَريهاتِ [الْمَكْرُوهاتِ]، فَإِنَّ لَكُمْ شَطْرَ ذلِكَ مِنْ كَراماتِ اللهِ تَعالى.

وَاعْلَمُوا أَنَّ الدُّنْيا حُلْوُها وَمُرُّها حُلُمٌ، وَالانْتِباهُ فِي الآخِرَةِ، وَالْفائِزُ مَنْ فازَ فيها، وَالشَّقيُّ مَنْ شَقيَ فيها(١).

ونقول:

فأما عسكره ففارقوه:

إن أول ما يلفت النظر في هذه الرواية: أنها ذكرت أنه «عليه السلام» بعد أن حلل من معه من بيعته، وأذن لأهل بيته بالانصراف، قال: «فأما عسكره ففارقوه».

وهذا كلام مبهم، فإن الإمام «عليه السلام» لم ينشئ عسكراً، وإنما توجه نحو العراق بسبب ملاحقة بني أمية له لقتله، وقد أخبر الناس بأن بني أمية يريدون قتله، وقال لهم: إن الله شاء أن يراه قتيلاً، وأن يرى النساء سبايا.

فصار الناس يلتحقون به في الطريق إلى أن جاء خبر استشهاد مسلم بن عقيل، وأعلنه «عليه السلام» على جميع من معه، وأحلهم من

---

(١) التفسير المنسوب للإمام العسكري ص٢١٨ و ٢١٩ وراجع: بحار الأنوار ج١١ ص١٤٩ وج٤٥ ص٩٠ وج٢٦ ص٣٢٦ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٤٦ وتأويل الآيات ج١ ص٤٤.

بيعته، وأذن لهم بالانصراف، فتفرق عنه معظم من كانوا معه، وكان ذلك في زبالة كما تقدم.

فإن كان المراد بالعسكر الذي تفرق عنه هو هذا، فلا إشكال فيه..

وإن كان المراد: أنه حين وصل إلى كربلاء قد أحل في ليلة العاشر من بقي معه من أصحابه من البيعة، وأذن لمن معه من أهل بيته بالإنصراف.. فلا يصح القول بأنهم قد تفرقوا عنه، بل الصحيح أنهم أكدوا بقاءهم معه، وقد بقوا حتى نالوا درجة الشهادة..

وإن كان المراد: أنه لما وصل إلى كربلاء تفرق عنه الجمالون الذين استأجرهم لحمل أثقاله، فهؤلاء لم يكونوا من عسكره، ولعلهم تركوه حين وصوله إلى كربلاء، ولم يكن أحد منهم حاضراً ليلة العاشر ليقال: إنه لما أحلهم تركوه.

تفسير العسكري في الميزان:

قد أوردنا في كتابنا: «الصحيح من سيرة الإمام علي» بحثاً عن كتاب التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري «عليه السلام»، وقلنا: إنه كتاب رواية جمعه أحد المحدثين، وقد اقتصر فيه على الروايات التي رأى أنها منسوبة إلى الإمام العسكري.

مما يعني: أنه ليس من تأليف الإمام «عليه السلام».

وهذا الكتاب كسائر الكتب الروائية فيه الغث والسمين، وفيه ما لا ضير في قبوله، وفيه أيضاً الكثير مما لا يمكن الأخذ به أو الاعتماد عليه..

فلا بأس بمراجعة ما ذكرنا.

رواية الخصيبي:

ونذكر هنا رواية الخصيبي عن الثمالي.. ولكننا نأخذ النص من مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني، لأنه أسلم من نص كتاب الهداية المطبوع، فنقول:

روى الحسين بن حمدان، عن الحسين بن محمد بن جمهور، عن محمد بن علي، عن علي بن الحسن، عن علي بن محمد، عن عاصم الخياط، عن أبي حمزة الثمالي قال:

سمعت عليّ بن الحسين زين العابدين «عليهما السلام» يقول:

لمّا كان اليوم الذي استشهد فيه أبي، جمع أهله وأصحابه في ليلة ذلك اليوم، فقال لهم: يا أَهْلي وَشيعَتي، اتَّخِذُوا هذَا اللَّيْلَ جَمَلاً لَكُمْ، فَانْهَجُوا (لعل الصحيح: فَانْجُوا) بِأَنْفُسِكُمْ، فَلَيْسَ الْمَطْلُوبُ غَيْري، وَلَوْ قَتَلُوني ما فَكَّرُوا فيكُمْ، فَانْجُوا رَحِمَكُمُ اللهُ، فَأَنْتُمْ في حِلّ وَسَعَة مِنْ بَيْعَتي، وَعَهْدي الَّذي عاهَدْتُمُوني.

فقال إخوته، وأهله، وأنصاره، بلسان واحد: والله، يا سيّدنا يا أبا عبد الله ! لا خذلناك أبداً.

والله! لا قال الناس: تركوا إمامهم وكبيرهم وسيّدهم وحده حتّى قتل، ونبلوا بيننا وبين الله عذراً، ولا نخلّيك أو نقتل دونك.

فقال «عليه السلام» لهم: يا قَوْمِ! إنّي في غَد أُقْتَلُ وَتُقْتَلُونَ كُلُّكُمْ مَعي، وَلا يَبْقى مِنْكُمْ واحِدٌ.

فقالوا: الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك، وشرّفنا بالقتل معك، أو لا ترضى أن نكون معك في درجتك يا ابن رسول الله؟!

فقال «عليه السلام»: جَزاكُمُ اللهُ خَيْراً، ودعا لهم بخير.

فأصبح وقتل، وقتلوا معه أجمعون.

فقال له القاسم بن الحسن «عليه السلام»: وأنا فيمن يقتل؟!

فأشفق عليه، فقال له: يا بُنَيَّ! كَيْفَ الْمَوْتُ عِنْدَكَ؟!

قال: يا عمّ! أحلى من العسل!

فقال «عليه السلام»: إي وَاللهِ! فِداكَ عَمُّكَ، إنَّكَ لَأحَدُ مَنْ يُقْتَلُ مِنَ الرِّجالِ مَعي بَعْدَ أَنْ تَبْلُو [تُبْلى] بِبَلاء عَظيم، وَابْني عَبْدُ اللهِ!

فقال: يا عمّ! ويصلون إلى النساء حتّى يقتل عبد الله وهو رضيع؟

فقال «عليه السلام»: فِداكَ عَمُّكَ! يُقْتَلُ عَبْدُ اللهِ إذ جَفَّتْ روُحي عَطَشاً، وَصِرْتُ إلى خِيَمِنا، فَطَلَبْتُ ماءً وَلَبَناً، فَلا أَجِدُ قَطُّ، فَأَقُولُ: ناوِلُوني إبْني لِأَشْرَبَ مِنْ فيهِ!

فَيَأْتُوني بِهِ، فَيَضعُونَهُ عَلى يَدي، فَأَحْمِلُهُ لِأُدْنِيَهُ مِنْ فيَّ، فَيَرْمِيَهُ فاسِقٌ بِسَهْمٍ فَيَنْحَرُهُ وَهُوَ يُناغي! فَيَفيضُ دَمُهُ في كَفّي، فَأَرْفَعُهُ إلى السَّماءِ وَأَقُولُ: أللّهُمَّ صَبْراً وَاحْتِساباً فيكَ. فَتَعْجَلُني الأسِنَّةُ مِنْهُمْ، وَالنّارُ تَسْتَعِرُّ في الْخَنْدَقِ الَّذي في ظَهْرِ الْخِيَمِ، فَأَكُرُّ عَلَيْهِمْ في أَمَرِّ أَوْقات فِي الدُّنْيا، فَيَكُونُ ما يُريدُ اللهُ.

فبكى وبكينا، وارتفع البكاء والصراخ من ذراري رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الخيم.

ويسئل زهير بن القين وحبيب بن مظاهر عنّي، فيقولون: يا سيدنا، فسيّدنا عليّ «عليه السلام»، فيشيرون إلىّ ماذا يكون من حاله؟

فيقول، مستعبراً: ما كانَ اللهُ لِيَقْطَعَ نَسْلي مِنَ الدُّنْيا، فَكَيْفَ يَصِلُونَ إِلَيْهِ؟ وَهُوَ أَبُو ثَمانِيَةِ أَئِمّة(١).

ونقول:

إنه وإن كان راوي هذه الرواية هو الخصيبي، وهو أحد الغلاة، ولكننا لا نجد فيها ما يوجب ردها، أو الشك في صحة مضامينها، لأن أكثر ما جاء فيها مروي في المصادر الأخرى أيضاً.. وقد تحدثنا عن أكثر الفقرات التي وردت فيها في مواضع مختلفة من هذا الكتاب، ولذا فنحن نكتفي هنا بالإشارة إلى الأمور التالية:

القتل مع الحسين شرف:

تقول الرواية: إن أصحابه «عليه السلام» قالوا له: الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك، وشرفنا بالقتل معك.

وهذا غاية الوفاء، ومنتهى الإخلاص، وأعلى درجات الوعي والبصيرة، التي بلغت بهم حداً أدركوا معه أن القتل مع الحسين شرف، ونصره توفيق إلهي.

وهذا الفهم يجعلهم يندفعون إلى تحصيل هذا الشرف، ويهمهم

---

(١) مدينة المعاجز ج٤ ص٢١٤ ـ ٢١٦ والهداية الكبرى للخصيبي ص٢٠٤ و ٢٠٥.

الحصول على هذه الكرامة الإلهية. وللشرف لذته، وبهجته، ورونقه الذي ترغب فيه النفوس، وتحن وتشتاق إليه القلوب، وتسهِّل العسير، وتحمل على بذل الكثير.

التفاصيل والجزئيات:

رأينا أن الإمام يذكر للقاسم، وللحاضرين معه تفاصيل دقيقة عما سيجري له ويكون منه في اليوم التالي.. وبذلك يربط على قلوبهم، ويرسخ يقينهم، ويرضي به نفوسهم. وقد أشرنا إلى ذلك أكثر من مرة..

وسنتكلم عن هذه الكلمة إن شاء الله، حينما نصل إلى الحديث عن استشهاد القاسم «رضوان الله عليه».

الفصل الثالث:

ليلة العبادة والإستعداد..

بداية:

نذكر في هذا الفصل ما ذكرته النصوص المختلفة من نشاط متعدد الوجوه في المعسكر الحسيني، في ليلة عاشوراء، من حيث هيمنة الأجواء الروحية، نتيجة للجهد الذي بذلوه في العبادة والصلاة، والدعاء، والاستغفار.

ثم من حيث الاجراءات التي أمر الحسين «عليه السلام» باتخاذها في سياق العمل المرتبط بالجهد الحربي الهادف لسد الثغرات، والاحتياط، والتهيؤ لمواجهة الاحتمالات.. وغير ذلك من أمور حدثت في تلك الليلة، فنقول:

النزول في قصباء:

قلنا في فصل سابق في هذا الجزء: إن الإمام الحسين «عليه السلام» حين وصل إلى كربلاء اختار أن ينزل في قصباء، وخلا. أو: حلفاً. أو نحو ذلك. وذلك لكي لا يتمكن العدو من مهاجمتهم إلا من وجه واحد. فإن آجام القصب، تعيق حركة المهاجم لاسيما إذا كانت المياه تغمر المكان، ونزيز الماء مستمر، والأرض رخوة لا تثبت

عليها الأقدام، ولا تتوفر فيها عوامل تساعد على سرعة الحركة.

تشابك الخيام وتقاربها:

وتقدم أيضاً حين الحديث عن إنشاد الحسين «عليه السلام» ليلة العاشر من المحرم الأبيات:

يـا دَهـرُ أفٍّ لَـكَ مِـن خَليـلِ كَـم لَـكَ بالإشـراق الـخ..

وسمعته أخته زينب، وأغمي عليها، تقول الرواية عن الإمام زين العابدين «عليه السلام»: ثم جاء بها حتى أجلسها عندي. ثم خرج إلى أصحابه، فأمرهم:

- أن يقرب بعضهم بيوتهم من بعض.

- وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض.

- وأن يكونوا بين البيوت.. فيستقبلون القوم من وجه واحد، والبيوت من ورائهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم قد حفت بهم، إلا الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم.

ليلة العبادة:

وقالوا: إنه بعد أن أصدر الحسين «عليه السلام» أوامره لأصحابه بما تقدم:

١ ـ رجع «عليه السلام» إلى مكانه، فقام الليل كله، يصلي، ويستغفر، ويدعو ويتضرع، وقام أصحابه كذلك، يصلون، ويدعون،

ويستغفرون(١).

٢ ـ عن الحارث بن كعب، وأبي الضحاك، عن عليّ بن الحسين [زين العابدين] «عليه السلام»: باتَ الحُسَينُ «عليه السلام» وأصحابُهُ طولَ لَيلِهِم يُصَلّونَ، ويَستَغفِرونَ، ويَدعونَ ويَتَضَرَّعونَ، وخُيولُ حَرَسِ عَدُوِّهِم تَدورُ مِن وَرائِهِم، عَلَيها عَزرَةُ بنُ قَيسٍ الأَحمَسِيُّ، وَالحُسَينُ «عليه السلام» يَقرَأُ: **(وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)**(٢) الآيَةَ(٣).

٣ ـ وباتَ الحُسَينُ «عليه السلام» وأصحابُهُ تِلكَ اللَّيلَةَ ولَهُم دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحلِ، ما بَينَ راكِعٍ وساجِدٍ، وقائِمٍ وقاعِدٍ، فَعَبَرَ عَلَيهِم في تِلكَ اللَّيلَةِ مِن عَسكَرِ عُمَرَ بنِ سَعدٍ اثنانِ وثَلاثونَ رَجُلاً.

وكَذا كانَت سَجِيَّةُ الحُسَينِ «عليه السلام» في كَثرَةِ صَلاتِهِ، وكَمالِ

(١) الإرشاد للمفيد ج٢ ص٩٤ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٣ والعوالم، الإمام الحسين ص٢٤٦ وإعلام الورى ج١ ص٤٥٧ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤٢٠ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١٩ والكامل في التاريخ ج٤ ص٥٩ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٣٧ وإبصار العين ص١٢٢ والمجالس الفاخرة ص٢٤٠ ومصادر كثيرة أخرى تقدمت في فصل سابق.

(٢) الآيتان ١٧٨ و ١٧٩ من سورة آل عمران.

(٣) البداية والنهاية ج٨ ص١٧٧ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٩٢.

صِفاتِهِ(١).

ونقول:

يلاحظ ما يلي:

١ ـ تقدم بعض الحديث عن طلب الإمام الحسين «عليه السلام» من الأعداء تأجيل هجومهم عليه وعلى أصحابه تلك الليلة، لأنه كان يحب الصلاة والدعاء، ولغير ذلك من أسباب.. سنشير إلى بعضها إن شاء الله..

وقد بات «عليه السلام» وأصحابه تلك الليلة، ما بين راكع وساجد، وقائم وقاعد، لهم دوي كدوي النحل، وكانوا طول ليلهم على هذه الحال.

ولسنا بحاجة إلى الحديث عن الآثار العظيمة لهذه الأجواء على نفوس هذه الصفوة الطاهرة، تزكية، وتطهيراً، وسمواً، وصفاء ونقاء،

---

(١) الملهوف (نشر أنوار الهدى) ص٥٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٩٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٤٥ وشجرة طوبى ج١ ص١٤٨ ولواعج الأشجان ص١٢٠ وراجع: مثير الأحزان ص٥٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٣٨ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٩ والمجالس الفاخرة ص٢٧١ وراجع حول عبادتهم وتهجدهم: أنساب الأشراف ج٣ ص٣٩٤ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٨ ومقتل الحسين للخوارزمي ج٤ ص٢٥١ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٩ وينابيع المودة ج٣ ص٦٥.

واستغراقاً وفناء في حب الله، وشعوراً عارماً بتجليات حبه لهم، ومننه عليهم.. الأمر الذي له بالغ الأثر في تعميق وترسيخ معنى الاستشهاد فيهم، وشدة تفاعلهم معه.

٢ ـ إن هذه الأجواء الزاخرة بالفيوضات والبركات، كانت بمرأى ومسمع من الأعداء، الذين كانوا طيلة تلك الليلة يراقبون حركتهم، ويرصدون حالاتهم، فأثمرت مشاهداتهم عبور إثنين وثلاثين رجلاً من جيش عمر بن سعد إليهم.

٣ ـ إن ما جرى في تلك الليلة كان فرصة لتسجيل ملاحظة مفادها: أن المشهد الذي ظهر فيه الإمام الحسين «عليه السلام» تلك الليلة، لم يكن غريباً عليه إذا قورن بسائر أيام حياته «عليه السلام»، وقد كانت نتيجة هذه المقارنة أمرين:

أولهما: أن كثرة الصلاة والعبادة هي سجية معروفة وظاهرة في حياة الإمام الحسين «عليه السلام». وقد تقدم معنا: أن الجاسوس الذي اسمه معقل، وكان مكلفاً من قبل عبيد الله بن زياد بكشف أمر مسلم بن عقيل قد استدل عليه بما رآه من مسلم بن عوسجة من كثرة العبادة والصلاة، فعرف أنه يتشيع لأهل البيت، لأن كثرة العبادة من سمات الشيعة.

الثاني: كمال صفاته «عليه السلام»، والإنسان ـ بطبعه ـ يحب المال، ويصبو ويرتاح إليه، ويرغب فيه، ولاسيما حين يراه متجسداً أمامه تتجلى له محاسنه بصورة فعلية وظاهرة.

٤ ـ فكان من ثمرات هذا وذاك تحول إثنين وثلاثين رجلاً من جيش ابن سعد ليكونوا مع الإمام الحسين «عليه السلام». واختاروا أن يكونوا مع الصادقين على الكون من أعوان الظلمة الجبارين.. لأن الإنسان ـ بطبعه ميال إلى الكمال، وهو يصبو إليه، ويشعر بالراحة معه.

٥ ـ ولعل مما ساهم في تحول هؤلاء إلى جانب الحق وأهله: تلاوة الإمام الحسين «عليه السلام» قوله تعالى: **(وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ)** الآية[١].

حيث سمعها بعض الذين كانوا في جيش ابن سعد، في ضمن الفرقة التي تتجول حول معسكر الحسين لمراقبة ما يجري فيه في تلك الليلة. فتفوه بغير الحق، وما يغضب الله سبحانه، فواجهه برير بن خضير. والقصة هي التالية:

برير: نحن الطيبون، وأنتم الخبيثون:

عن الضحّاك بن عبد الله المشرقيّ: لَمّا أمسى حُسَينٌ «عليه السلام» وأصحابُهُ قامُوا اللّيلَ كُلَّهُ يُصَلّونَ ويَستَغفِرونَ، ويَدعونَ ويَتَضَرَّعونَ، قالَ: فَتَمُرُّ بِنا خَيلٌ لَهُم تَحرُسُنا، وإنَّ حُسَيناً «عليه السلام» لَيَقرَأُ: **(وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا**

(١) الآية ١٧٨ من سورة آل عمران.

أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ)[١].

فَسَمِعَها رَجُلٌ مِن تِلكَ الخَيلِ الَّتي كانَت تَحرُسُنا، فَقالَ: نَحنُ ورَبِّ الكَعبَةِ الطَّيِّبونَ، مُيِّزنا مِنكُم.

قالَ: فَعَرَفتُهُ، فَقُلتُ لِبُرَيرِ بنِ حُضَيرٍ: تَدري مَن هذا؟

قالَ: لا.

قُلتُ: هذا أبو حَربٍ السَّبيعِيُّ، عَبدُ اللهِ بنُ شَهرٍ [وعند المفيد: بن سمير]، وكانَ مِضحاكاً بَطّالاً، وكانَ شَريفاً شُجاعاً فاتِكاً، وكانَ سَعيدُ بنُ قَيسٍ رُبَّما حَبَسَهُ في جِنايَةٍ.

فَقالَ لَهُ بُرَيرُ بنُ حُضَيرٍ: يا فاسِقُ! أنتَ يَجعَلُكَ اللهُ فِي الطَّيِّبينَ!

فَقالَ لَهُ: مَن أنتَ؟ [في الإرشاد: ويلك]

قالَ: أنَا بُرَيرُ بنُ حُضَيرٍ.

[في الإرشاد: فتسابا].

قالَ: إنّا للهِ! عَزَّ عَلَيَّ! هَلَكتَ وَاللهِ، هَلَكتَ وَاللهِ يا بُرَيرُ!

قالَ: يا أبا حَربٍ، هَل لَكَ أن تَتوبَ إلَى اللهِ مِن ذُنوبِكَ العِظامِ! فَوَاللهِ، إنّا لَنَحنُ الطَّيِّبونَ، ولكِنَّكُم لَأَنتُمُ الخَبيثونَ.

قالَ: وأنَا عَلى ذلِكَ مِنَ الشّاهِدينَ.

قُلتُ: وَيحَكَ؟ أفَلا يَنفَعُكَ مَعرِفَتُكَ؟

---

(١) الآيتان ١٧٨ و ١٧٩ من سورة آل عمران.

قالَ: جُعِلتُ فِداكَ! فَمَن يُنادِمُ يَزيدَ بنَ عَذرَةَ العَنَزِيَّ؟! مِن عَنَزِ بنِ وائِلٍ!

قالَ: ها هُوَ ذا مَعي.

قالَ: قَبَّحَ اللهُ رَأيَكَ عَلى كُلِّ حالٍ! أنتَ سَفيهٌ.

قالَ: ثُمَّ انصَرَفَ عَنّا.

وكانَ الَّذي يَحرُسُنا بِاللَّيلِ فِي الخَيلِ عَزرَةُ بنُ قَيسٍ(١).

ونقول:

لاحظ الأمور التالية:

إنقلاب المفاهيم:

إن أول ما يطالعنا في هذا النص وفي نصوص وأحداث عديدة أخرى بروز ظاهرة انقلاب المفاهيم لدى العديد من أفراد وقادة ورموز الفئات الضالة، ومنهم جيش يزيد هذا..

ولكن القضية المذكورة آنفاً تمتاز عن كثير غيرها بخصوصية ذات مغزى، وهي:

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤٢١ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١٩ والبداية والنهاية ج٨ ص١٧٧ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٩٢ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١١٢ والمجالس الفاخرة ص٢٤٠ والإرشاد ج٢ ص٩٤ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٣ و ٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٤٧ وإبصار العين ص١٢٢.

أن الآية التي كان الإمام الحسين «عليه السلام» يقرؤها تشير إلى هذا الموضوع بالذات، فإنها تحدثت عن الذين كفروا وهم يحسبون إملاء الله تعالى لهم، وعدم أخذهم بذنوبهم، فور حصولها من دلائل حسن تلك الأعمال. ومن إمارات قربهم من الله تعالى.

وقد خطأهم الله تعالى في هذا الظن، وبيَّن: أن الأمر ليس كما يظنون، بل هو إملاء ستكون عاقبته أن يزداد إثماً، بسوء اختيارهم، وأن عدم المؤاخذة المباشرة، إنما هي بسبب غضب الله عليهم، لا لأجل رضاه عنهم. وأن عليهم أن يواجهوا العذاب المهين الذي ينتظرهم في الآخرة.

ثم ذكرت الآية التالية: أن الله تعالى لن يترك الأمور على هذه الحال، بل هو سوف يرفع هذا الوهم، من خلال إظهار خبث الخبيث، وتمييزه عن الطيب. وليعيد بذلك المفاهيم التي يتم التلاعب بها إلى ما كانت عليه من صفاء ونقاء.

ولكن اللافت هنا: أن البعض في جيش أهل الشام ـ وهو أبو حرب السبيعي ـ حين سمع الآية بادر إلى تطبيقها على الحسين «عليه السلام» ومن معه، مدعياً أنهم هم الخبيثون. مدَّعياً أن ابن سعد وجيشه وحزبه، ومؤيديه هم الطيبون.

ولست أدري كيف يكون الفسقة الفجرة، وقتلة أبناء الأنبياء، وذباحو الأبرياء، والأئمة الأتقياء، ومعاقرو الخمور كيف يكونون من الطيبين، ثم يكون الأئمة الأتقياء، والعلماء الحكماء، وأقدس من على

الأرض، وتحت السماء هم الخبيثون؟!

هذا.. وقد أثمرت كلمات برير مع ذلك الرجل الخبيث، أبي حرب السبيعي، حتى جعله يعترف بصحة ما قاله برير.. ولكنه حين دعاه للتوبة تلكأ، وتملص وتخلص، خالطاً الجد بالهزل كما رأينا.

ولكن اعترافه لبرير بصحة كلامه يبقى حجة عليه يوم القيامة، لأنه أصبح من مصاديق قوله تعالى: **(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ)**(١).

كانت تلك الخيل تحرسنا؟!:

وقال الضحاك المشرقي عن خيل عمر بن سعد التي كانت تطيف بالحسين وأصحابه، وكانت بقيادة عزرة بن قيس: «فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت تحرسنا».

وهذا كلام غير دقيق.. فإن تلك الخيل لم يرسلها عمر بن سعد لتحافظ على الحسين «عليه السلام» وأصحابه، وتمنع من لحوق الأذى بهم، ولتحرسهم من شر الأغيار والأشرار.

وإنما أرسلها لسببين:

أحدهما: أن تراقب حركتهم بدقة، وترصد أحوالهم، وتخبر بما يكون منهم.

الثاني: أن ابن سعد يريد أن لا يفلتوا من يده، لأن إفلاتهم قد

---

(١) الآية ١٤ من سورة النمل.

يفوِّت عليه ولاية الري. ويمنع نفسه وسائر الأنفس الخبيثة التي جاءت معه من التلذذ بالفتك به «عليه السلام» وبمن معه، والتنفيس عن أحقادهم.

إلا أن المقصود ـ كما قال بعض الإخوة الأكارم ـ: ما يكون من قبيل حراسة السجان سجنه.

برير.. والشمر:

ويقول نص آخر يرتبط بالآية التي تقدم ذكرها: أن الإمام الحسين «عليه السلام» تلاها، وسمعها بعض الأعداء:

أقبَلَ الشِّمرُ بنُ ذِي الجَوشَنِ ـ لَعَنَهُ اللهُ ـ في نِصفِ اللَّيلِ، ومَعَهُ جَماعَةٌ مِن أصحابِهِ، حَتّى تَقارَبَ مِن عَسكَرِ الحُسَينُ «عليه السلام»، وَالحُسَينُ «عليه السلام» قَد رَفَعَ صَوتَهُ وهُوَ يَتلو هذِهِ الآيَةَ: **(وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ)**، إلى آخِرِها.

قالَ: فَصاحَ لَعينٌ مِن أصحابِ شِمرِ بنِ ذِي الجَوشَنِ: نَحنُ ورَبِّ الكَعبَةِ الطَّيِّبونَ، وأنتُمُ الخَبيثونَ! وقَد مُيِّزنا مِنكُم.

قالَ: فَقَطَعَ بُرَيرٌ الصَّلاةَ، فَناداهُ: يا فاسِقُ! يا فاجِرُ! يا عَدُوَّ اللهِ! أمِثلُكَ يَكونُ مِنَ الطَّيِّبينَ؟! ما أنتَ إلّا بَهيمَةٌ ولا تَعقِلُ، فَأَبشِر بِالنّارِ يَومَ القِيامَةِ وَالعَذابِ الأَليمِ.

قالَ: فَصاحَ بِهِ شِمرُ بنُ ذِي الجَوشَنِ ـ لَعَنَهُ اللهُ ـ وقالَ: أيُّهَا المُتَكَلِّمُ، إنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى قاتِلُكَ وقاتِلُ صاحِبِكَ عَن قَريبٍ.

فَقالَ لَهُ بُرَيرٌ: يا عَدُوَّ اللهِ! أبِالمَوتِ تُخَوِّفُني، وَاللهِ، إنَّ المَوتَ

أحَبُّ إلَينا مِنَ الحَياةِ مَعَكُم! وَاللهِ، لا يَنالُ شَفاعَةَ مُحَمَّدٍ «صلى الله عليه وآله» قَومٌ أراقوا دِماءَ ذُرِّيَّتِهِ وأهلِ بَيتِهِ.

قالَ: وأقبَلَ رَجُلٌ مِن أصحابِ الحُسَينِ «عليه السلام» إلى بُرَيرِ بن حُضَيرٍ، فَقالَ لَهُ: رَحِمَكَ اللهُ يا بُرَيرُ! إنَّ أبا عَبدِ اللهِ يَقولُ لَكَ: اِرجِع إلى مَوضِعِكَ ولا تُخاطِبِ القَومَ، فَلَعَمري لَئِن كانَ مُؤمِنُ آلِ فِرعَونَ نَصَحَ لِقَومِهِ، وأبلَغَ فِي الدُّعاءِ، فَلَقَد نَصَحتَ وأبلَغتَ فِي النُّصحِ(١).

ونقول:

قضيتان، لا قضية واحدة:

يبدو: أن القضية بين برير، وأبي حرب السبيعي، هي غير هذه القضية التي هي بين برير، وشمر بن ذي الجوشن، للاختلاف الظاهر بين ما جرى هنا، وما جرى هناك..

ولأن من القريب جداً أن يكون الذين سمعوا الإمام «عليه السلام» يتلو الآية أكثر من واحد، فإن الخيل التي تطوف بالليل حول منازل الحسين «عليه السلام» وأصحابه لا تسير متفرقة، ليقال: إن أحدهم سمع الآية، ولم يسمعها غيره لبعدهم عنه، بل كانوا يسيرون على شكل جماعات، فإذا سمع أحد الجماعة شيئاً، فمن المتوقع أن يكون آخرون قد

---

(١) موسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٧٣ و ٧٤ عن الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٩ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٥١ نحوه.

سمعوا ذلك الشيء أيضاً..

الإمام يتدارك الموقف:

يلاحظ: أن الإمام «عليه السلام» حين رأى أن الأمور بين شمر وبرير تتطور نحو الأسوأ، بادر إلى حسم الأمر بالطلب من برير أن يرجع إلى موضعه، حتى لا يستفزه الأعداء بكلماتهم الجارحة، ولا يخاطب القوم. لكي لا يعطيهم ذريعة لشيء من ذلك أيضاً.

ولعله «عليه السلام» أراد أن لا يعطي الأعداء الفرصة لتوظيف هذه المشادة للعدوان، بحجة أن بريراً استفزهم، وأغلظ لهم في القول. وقد قلنا: إنه «عليه السلام» يريد أن تجري الأمور من ألفها إلى يائها في وضح النهار، ليمنع من تسرب أي شبهة أو شك في أي من حوادث هذه الملحمة، التي يحتاج البشر إلى كل صغيرة وكبيرة منها.

ولكنه «عليه السلام» لم يخطئ بريراً «رحمه الله» فيما قال أو فعل، بل جعله بمثابة مؤمن آل فرعون، من حيث كونه نصح لقومه، وأبلغ في النصح.

الحسين × يري أصحابه منازلهم في الجنة:

١ ـ عن محمّد بن عمارة، عن أبي عبدالله [الصادق] «عليه السلام»: قُلتُ لَهُ: أخبِرني عَن أصحابِ الحُسَينِ «عليه السلام»، وإقدامِهِم عَلَى المَوتِ.

فَقالَ: إنَّهُم كُشِفَ لَهُمُ الغِطاءُ حَتّى رَأَوا مَنازِلَهُم مِنَ الجَنَّةِ، فَكانَ الرَّجُلُ مِنهُم يُقدِمُ عَلَى القَتلِ، لِيُبادِرَ إلى حَوراءَ يُعانِقُها، وإلى مَكانِهِ

مِنَ الجَنَّةِ(١).

٢ ـ عن أبي حمزة الثمالي: قالَ عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ: كُنتُ مَعَ أبِيَ اللَّيلَة الَّتي قُتِلَ صَبيحَتَها، فَقالَ لِأصحابِهِ: هذا اللَّيلُ فاتَّخِذوهُ جَمَلاً؛ فَإنَّ القَومَ إنَّما يُريدونَني، ولَو قَتَلوني لَم يَلتَفِتوا إلَيكُم، وأنتُم في حِلٍّ وسَعَةٍ.

فَقالوا: لا وَاللهِ، لا يَكونُ هذا أبَداً.

قالَ: إنَّكُم تُقتَلونَ غَداً كَذلِكَ، لا يُفلِتُ مِنكُم رَجُلٌ.

قالوا: الحَمدُ للهِ الَّذي شَرَّفَنا بِالقَتلِ مَعَكَ.

ثُمَّ دَعا، وقالَ لَهُم: اِرفَعوا رُؤوسَكُم، وَانظُروا.

فَجَعَلوا يَنظُرونَ إلى مَواضِعِهِم ومَنازِلِهِم مِنَ الجَنَّةِ، وهُوَ يَقولُ لَهُم: هذا مَنزِلُكَ يا فُلانُ، وهذا قَصرُكَ يا فُلانُ، وهذِهِ دَرَجَتُكَ يا فُلانُ.

فَكانَ الرَّجُلُ يَستَقبِلُ الرِّماحَ وَالسُّيوفَ بِصَدرِهِ، ووَجهِهِ، لِيَصِلَ إلى مَنزِلِهِ مِنَ الجَنَّةِ(٢).

وعن الإمام السجاد «عليه السلام» في رواية أخرى: أنه «عليه السلام» قال لهم: وأنتم في حل، فإنكم إن أصبحتم معي قتلتم كلكم(٣).

---

(١) علل الشرايع ص٢٢٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٩٧ ومدينة المعاجز ج٤ ص٢١٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٥٠.

(٢) الخرائج والجرائح ج٢ ص٨٤٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٩٨ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٥٠.

(٣) الخرائج والجرائح ج١ ص٢٥٤ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٨٩ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٤٤.

ونقول:

الإمام لا يستغل غفلة الناس:

ولأن النبي والإمام، لا يمكن أن يخدع الناس، ولا أن يستغل غفلتهم، فقد رأينا: أن الإمام الحسين «عليه السلام» يكرر على مسامع أصحابه وأهل بيته: أنهم إن بقوا معه، فإنهم سوف يقتلون.. ربما لكي لا يتوهم أحد منهم أو من غيرهم: أن أموراً قد استجدت، قد أبعدت شبح القتل عنهم، أو عن بعضهم. فيكون عدم تذكيره لهم بمصيرهم من قبيل الإغراء لهم، أو الإيحاء بأمر لا واقع له.

لماذا يريهم منازلهم؟!:

وربما كان من فوائد وثمرات إراءة الإمام أصحابه منازلهم في الجنة: أنها تأتي على قاعدة: **(أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي)**(١)، فإنهم «رضوان الله تعالى عليهم» كانوا قد حسموا أمرهم، واتخذوا قرارهم عن قناعة وإدراك ووعي تام. ولم يكن لإراءتهم منازلهم في الجنة دور في تكوين هذه القناعة. وإن كان لهما أثر في تأكيد الطمأنينة والسكينة في قلوبهم، كما هو حال إبراهيم «عليه السلام». ولذا نقول: إنها كانت تؤثر في زيادة يقينهم ـ بمعنى طمأنينة القلب ـ بإمامته، ووجوب معونته، والكون تحت جناحه.. وزيادة تعلقهم به، وتأكيد ثقتهم بصوابية وصدقية كل ما يقوله، ويفعله، ويخبر

(١) الآية ٢٦٠ من سورة البقرة.

به. وبأنه إنسان إلهي خالص، قد منحه الله من المقامات، والقدرة على التصرفات، ما يزيل كل شبهة، ويقطع كل عذر.

ولو كانت إراءتهم منازلهم في الجنة من أسباب حصول القناعة واتخاذ القرار، لكان ذلك من مفردات القهر والجبر الإلهي، وفرض الأمر عليهم بقوة لا يملكون دفعها. وهي قوة المعجزة والغيب، لو حصل ذلك لأصحاب الحسين «عليه السلام»، وأمكن أن يحصل لطائفة من جيش يزيد لاحتج عليه أتباع يزيد بأنك لو أريتنا منازلنا في الجنة لنصرناك وحاربنا أعداءك، فحرمانك لنا ظلم، وتمييز اقتراحي لا مبرر له.

ونضيف إلى ما تقدم: أن ذلك يزيد في شوقهم إلى تلك المنازل التي رأوها، بعد أن تم نقلها من دائرة التخيل، والتصورات المستندة إلى مقارنات ذهنية بين ما عاينوه في دنياهم، وبين ما يسمعون البشائر به، مما أعده الله لهم في الآخرة..

وسيدركون مدى التفاوت بين الخبر والعيان. إذ «ما راء كمن سمعا».

رأيت كلاباً تنهشني!:

وقال في المناقب: فَلَمّا كانَ وَقتُ السَّحَرِ خَفَقَ الحُسَينُ «عليه السلام» بِرَأسِهِ خَفقَةً، ثُمَّ استَيقَظَ، فَقالَ: أتَعلَمونَ ما رَأيتُ في مَنامِي السّاعَةَ؟

قالوا: ومَا الَّذي رَأيتَ يَا ابنَ بِنتِ رَسولِ اللهِ «صلى الله عليه

وآله»؟

فَقالَ: رَأَيتُ كَأَنَّ كِلاباً قَد شَدَّت عَلَيَّ لِتَنْهَشَنِي [في الفتوح: تُناشِبُني]، وفيها كَلبٌ أبقَعُ رَأَيتُهُ أشَدَّها عَلَيَّ.

وأظُنُّ الَّذي يَتَوَلّى قَتلي رَجُلٌ [في الفتوح: أبقَعُ و] أبرَصُ مِن هؤُلاءِ القَومِ.

ثُمَّ إنّي رَأَيتُ بَعدَ ذلِكَ جَدّي رَسولَ اللهِ «صلى الله عليه وآله»، ومَعَهُ جَماعَةٌ مِن أصحابِهِ، وهُوَ يَقولُ لي: يا بُنَيَّ، أنتَ شَهيدُ آلِ مُحَمَّدٍ! وقَدِ استَبشَرَت بِكَ أهلُ السَّماواتِ، وأهلُ الصَّفيحِ الأَعلى، فَلْيَكُن إفطارُكَ عِندِي اللَّيلَة، عَجِّل، ولا تُؤَخِّر! فَهذا أثَرُكَ قَد نَزَلَ مِنَ السَّماءِ لِيَأخُذَ دَمَكَ في قارورَةٍ خَضراءَ.

فَهَذا ما رَأَيتُ، وقَد أزِفَ الأمرُ، وَاقتَرَبَ الرَّحيلُ مِن هذِهِ الدُّنيا، لا شَكَّ في ذلِكَ(١).

ونقول:

الصفيح: من أسماء السماء(٢).

---

(١) بحار الأنوار ج٤٥ ص٣ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٩ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٥١ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٤٧.

(٢) النهاية في اللغة ج٣ ص٣٥ ولسان العرب ج٢ ص٥١٦ وتاج العروس ج٤ ص١٢٢.

الكلب الأبقع:

ذكر النص المتقدم اثنتين من الرؤى التي رآها الإمام الحسين «عليه السلام» ليلة عاشوراء..

الرؤيا الأولى: رؤيا الكلاب، والكلب الأبقع.

وقد لاحظنا: أن فيها إشارات إلى عدة أمور نذكر منها ما يلي:

١ ـ قال الإمام الحسين «عليه السلام» للذين كانوا حوله: أتعلمون ما رأيت في منامي الساعة؟! فإن الهدف من هذا السؤال هو لفت نظر الحاضرين إلى أن ما رآه ليس أمراً عادياً، لكي تتركز أنظارهم على دلالاته ومراميه.

كما أن نفس شعورهم بأنه «عليه السلام» يولي هذا الأمر أهمية، ويريد منهم الإصغاء إليه لسماعه، يزيد من اهتمامهم به، ولاسيما وهم في ظرف بالغ الحساسية والخطورة.

٢ ـ ثم إن هذه الرؤيا، بما لها من تأويل مثير قد عقَّب به الإمام «عليه السلام» من شأنها أن تزيد في التهيؤ النفسي لهؤلاء الصفوة لمواجهة ذلك الحدث الكبير والخطير، وتدعوهم إلى كمال الانقطاع إلى الله تعالى، والتعلق به..

٣ ـ ويزيد في أهمية هذه الرؤيا بالنسبة إلى هؤلاء الأصحاب: أن مرتكزها ومحورها هو الإمام الحسين «عليه السلام» نفسه، وما يجري عليه. ولا بد أن يرى الأصحاب في قتله «عليه السلام» الكارثة والمصيبة العظمى، التي تهون عندها كل مصيبة، وتصغر

أمامها كل كارثة. ولا بد أن تشخص أبصارهم إليها، وأن ينسوا مصابهم في أنفسهم، أو أن تتضاءل أهميته في أعينهم، ويهون، ويسهل وقعه عليهم.

٤ ـ إن الإمام «عليه السلام» قد عرض لهم هذه الرؤيا لكي تحكي لهم الوقائع الفجيعة التي سوف يواجهها.. فليست القضية مجرد ضربة بسيف، وينتهي الأمر، بل هناك آلام وشدائد، وكلاب مسعورة سوف تتناهشه وتقطع أوصاله، وسيكون أشدَّ هذه الكلاب فتكاً فيه، وحرصاً على تناهب أشلائه كلب أبقع..

وقد فسر «عليه السلام» الكلب الأبقع برجل أبرص أبقع يكون في معسكر الأعداء، وكان هذا الرجل هو شمر بن ذي الجوشن كما دلت عليه الوقائع والأحوال.

٥ ـ إنه «عليه السلام» قد قال عن الكلب الأبقع: وأظن أن الذي يتولى قتلي رجل أبرص أبقع الخ..

فاستفاد في تعبيره للرؤيا وتفسير الكلب الأبقع بالرجل الأبرص من كلمة «أظن»، ولم يورد الكلام على سبيل القطع واليقين، مع أن تأويل وتعبير النبي والإمام للرؤيا صادق بلا ريب، وليس هذا من التظني والحدس لسببين:

أولهما: أن الظن مرتبة تسانخ اليقين، وتلائمه، ولا تنافيه. وهي من درجاته.. فهو كشف عن الواقع، وإن كان ناقصاً، بل عامة الناس يعتبرون بعض مراتب الظن، كالإطمئنان من اليقين أيضاً.. فيصح

للإمام أن يكتفي بذكر هذا المقدار، كما يجوز لمن معه مئة درهم مثلاً أن يخبر ويقول: لدي خمسون أو ثمانون درهماً، كما أن له أن يخبر عن المئة درهم..

الثاني: إنه «عليه السلام» إنما يستعمل التعابير التي يستعملها الناس في مثل هذا المورد، ويلتزم أساليب الخطاب المتداولة بينهم. وهم بالنسبة لتأويل الرؤيا لا يصرحون باليقين، بل غاية ما لديهم ادعاء الظن بهذا التأويل أو بذاك.

الرؤيا الثانية: شهيد آل محمد..

وحول الرؤيا الثانية نلاحظ الأمور التالية:

١ ـ أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال للإمام الحسين «عليه السلام» في عالم الرؤيا: يا بني، أنت شهيد آل محمد. فقوله «صلى الله عليه وآله»: «يا بني..» تذكير وتأكيد على أمر كان بنو أمية يحاولون إنكاره. وهو أن يكون الحسنان «عليهما السلام» ابني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسبب هذا الارتكاز هو:

أولاً: أنه يأتي إنسجاماً، وتكريساً، وانسياقاً مع منطق الجاهلية الذي لا يعترف بأن أبناء البنت ينسبون إلى أبيها، ويرثونه، بل يقولون:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

ثانياً: ليسهل عليهم تبرير العدوان على ذرية الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»، والتنكيل بهم، وقتلهم، وإقصاؤهم..

فقوله «صلى الله عليه وآله» للحسين «عليه السلام»: يا بني، إبطال لهذه المقولات الخبيثة، وهو أيضاً يؤسس للمقولة الخالدة التالية، وهي قوله: «أنت شهيد آل محمد» التي من شأنها تكريس وتعميق معنى أن العدوان على الحسين «عليه السلام» عدوان على شخص الرسول «صلى الله عليه وآله»..

٢ ـ إن اعتبار الحسين «عليه السلام» شهيد آل محمد، معناه أن القضية التي استشهد «عليه السلام» من أجلها، هي نفسها قضية آل محمد جميعهم.

وهذا يسقط كل ادعاء يحاول أن يعطي القضية بعداً شخصياً له «عليه السلام»، وأنه قد تفرد في قراره، ولم يحسن الاختيار.

بل إن القضية ما هي إلا جريمة خطط لها، وصمم عليها، ونفذها الفريق الأموي في حقه «عليه السلام» لإبطال أطروحته، والتخلص من نهجه، الذي هو نهج وأطروحة آل محمد. واستبداله بنهج الباطل، وبالاطروحات الشيطانية.

وهذا المعنى قد أصبح من الوضوح بمكان، ولم يعد يمكن لأحد إنكاره أو التستر عليه.

ملحق للفصول السابقة..

التحقوا بالحسين في الطريق، وفي كربلاء:

ونذكر هنا لائحة بأسماء الذين التحقوا بالإمام الحسين «عليه السلام»، وهو في الطريق إلى كربلاء، وإلى مطلع اليوم العاشر. ونرتب أسماءهم وفق حروف المعجم.

أما الذين التحقوا بالإمام «عليه السلام» في اليوم العاشر، مثل الحر الرياحي، وسعد الخارجي وأخيه المسمى بأبي الحتوف، وسواهم، فنؤجل الحديث عنهم إلى الفصول التالية..

واللائحة التي نحن بصدد إيرادها هنا هي التالية:

١ ـ أمية بن سعد الطائي: قالوا: لما سمع بقدوم الحسين «عليه السلام» إلى كربلاء خرج من الكوفة مع من خرج أيام المهادنة، حتى جاء إلى الحسين «عليه السلام» ليلة الثامن من المحرم[1].

٢ ـ أنس بن الحارث الكاهلي: التقى بالحسين «عليه السلام» في قصر بني مقاتل، ثم لحق بالحسين إلى كربلاء، والتقى به «عليه السلام» ليلاً[2].

---

(١) إبصار العين ص١٩٨ وأعيان الشيعة ج٣ ص٤٩٨.

(٢) إبصار العين ص٩٩ وأعيان الشيعة ج٣ ص٥٠٠.

٣ ـ بشر بن عمرو الحضرمي: وهو الذي قال للإمام الحسين «عليه السلام»: أكلتني السباع حياً إن فارقتك[(١)].

٤ ـ جابر بن الحجاج: كان في الكوفة مع مسلم، فلما جرى على مسلم ما جرى اختفى عند قومه، فلما سمع بمجيء الحسين إلى كربلاء، خرج مع عمر بن سعد. ثم التحق بالحسين «عليه السلام» أيام المهادنة، حين سنحت له الفرصة[(٢)].

٥ ـ جوين بن مالك: خرج مع قومه إلى حرب الحسين «عليه السلام»، فلما ردت الشروط على الحسين «عليه السلام» مال معه في من مال، وكان ذلك ليلاً[(٣)].

٦ ـ الحارث بن امرئ القيس: كان في جيش عمر بن سعد، فلما ردوا الشروط على الحسين «عليه السلام» التحق به[(٤)].

ولكن التعبير برد الشروط غير سديد، ولا سليم إن كان المراد بالشروط ما زعموه، من أن من جملتها: أن يذهب إلى يزيد ويضع يده بيده، وقد كذب ذلك عقبة بن سمعان، كما تقدم. وإن كان المراد

(١) راجع: بحار الأنوار ج٤٥ ص٧٠ وج٩٨ ص٢٧٢ والمزار لابن المشهدي ص٤٩٣ وإقبال الأعمال ج٣ ص٧٧ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٣٨ وأعيان الشيعة ج٣ ص٥٧٥.

(٢) وسيلة الدارين ص١١١ وإبصار العين ص١٩٣.

(٣) إبصار العين ص١٩٤ وأعيان الشيعة ج٤ ص٢٩٩.

(٤) وسيلة الدارين ص١١٦ و١١٧ وأعيان الشيعة ج٤ ص٣٠٢.

بالشروط هو أن يدعوه يرجع إلى حرم جده، فله وجه.

٧ ـ حبشي بن قيس: جاء إلى الحسين «عليه السلام» أيام الهدنة أيضاً(١).

٨ ـ حبيب بن مظاهر: الصحابي الجليل. وكانت عشيرته قد حبسته (أو فقل: أخفته) حين جرى في الكوفة على مسلم ما جرى، وقد حصل مثل ذلك لمسلم بن عوسجة، فلما ورد الحسين كربلاء خرجا إليه(٢).

ونلفت النظر إلى الفرق بين خروج حبيب إلى الحسين «عليه السلام» الذي كان بعهد معهود، والتحاق غيره بالحسين بعد أن كان مع أعدائه.

٩ ـ الحلاس بن عمرو: خرج مع عمر بن سعد، فلما رد ابن سعد شروط الحسين «عليه السلام»، التحق بالحسين ليلاً(٣).

ونعيد تحفظنا على موضوع الشروط.

١٠ ـ حنظلة بن أسعد الشبامي: التحق بالحسين «عليه السلام» حين ورد كربلاء. وكان الحسين يرسله في مكاتباته إلى عمر بن

---

(١) إبصار العين ص١٣٤ وأعيان الشيعة ج٤ ص٣٨٦ وراجع: وسيلة الدارين ص١٤٥.

(٢) إبصار العين ص١٠٠ ـ ١٠٢ وأعيان الشيعة ج٤ ص٥٥٤.

(٣) إبصار العين ص١٨٧ عن الحدائق الوردية ص١٢٢.

سعد[١].

١١ ـ رافع بن عبد الله: خرج إلى الحسين «عليه السلام»، وقتل معه[٢].

١٢ ـ زهير بن سليم: جاء إلى الحسين «عليه السلام» ليلة العاشر[٣].

١٣ ـ زياد بن عريب[٤].

١٤ ـ سالم بن عمرو: خرج إلى الحسين «عليه السلام» أيام المهادنة، واستشهد معه[٥].

١٥ ـ سوار بن منعم (المنعم): التحق بالحسين «عليه السلام» أيام الهدنة. وقد جرح في الحملة الأولى، فأراد ابن سعد قتله، فشفع فيه قومه، فبقي عندهم جريحاً حتى توفي على راس ستة أشهر[٦].

---

(١) إبصار العين ص١٣٠ وأعيان الشيعة ج٦ ص٢٥٨.

(٢) إبصار العين ص١٨٥ وأعيان الشيعة ج٦ ص٤٤٨.

(٣) إبصار العين ص١٨٦ ووسيلة الدارين ص١٣٩.

(٤) إبصار العين ص١٣٤ ومستدركات علم رجال الحديث ج٣ ص٤٥٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٦١١ و ج٧ ص٧٧.

(٥) إبصار العين ص١٨٢ و١٨٣ ووسيلة الدارين ص١٤٥ و ١٤٦ وأعيان الشيعة ج٧ ص١٧٨.

(٦) بحار الأنوار ج٩٨ ص٢٧٣ وج٤٥ ص٧٣ ومستدركات علم رجال الحديث ج٤ ص١٦٤

١٦ ـ سيف بن الحرث بن سريع[١].

١٧ ـ شبيب مولى الحرث بن سريع[٢].

١٨ ـ ضرغامة بن مالك: خرج في جيش ابن سعد، ومال إلى الحسين «عليه السلام» فاستشهد معه[٣].

١٩ ـ عبد الرحمان بن عروة[٤].

٢٠ ـ عبد الرحمان بن مسعود: خرج مع أبيه في جيش ابن سعد، ثم جاءا الإمام الحسين «عليه السلام» يسلمان عليه، فبقيا عنده، واستشهدا معه[٥].

٢١ ـ عبد الله بن بشر: خرج مع ابن سعد، ثم صار إلى الحسين

---

(١) إبصار العين ص١٣٢ و١٣٣ ووسيلة الدارين ص١٥٤ ومثير الأحزان ص٤٩ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٣١ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٧٤ وأنساب الأشراف (ط دار التعارف) ج٣ ص١٩٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٣٣٧ والكامل في التاريخ ج٤ ص٧٢ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١٥١ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٥٣.

(٢) إبصار العين ص١٣٣ والمزار لابن المشهدي ص٤٩٥ وإقبال الأعمال ج٣ ص٧٩ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٧٣ وج٩٨ ص٢٧٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٤٠ ومستدركات علم رجال الحديث ج٤ ص١٩٩.

(٣) إبصار العين ص٩٩.

(٤) إبصار العين ص١٧٥ و ١٧٦ ومعجم رجال الحديث ج١٠ ص٣٦٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٦١١.

(٥) إبصار العين ص١٩٣ و ١٩٤.

«عليه السلام»[١].

٢٢ ـ عبد الله بن عروة[٢].

٢٣ ـ عبد الله بن عمير: رأى القوم بالنخيلة يعرضون، ليسرحوا إلى الحسين «عليه السلام»، فسأل عنهم، فقيل له: يسرحون إلى الحسين بن فاطمة بنت رسول الله.

فقال: والله لقد كنت على جهاد أهل الشرك حريصاً. وإني لأرجو ألا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيهم أيسر ثواباً عند الله من ثوابه إياي في جهاد المشركين.

فدخل إلى امرأته، فأخبرها بما سمع، وأعلمها بما يريد.

فقالت له: أصبت. أصاب الله بك أرشد أمورك. إفعل وأخرجني معك.

قال: فخرج بها ليلاً حتى أتى حسيناً، فأقام معه الخ..[٣].

٢٤ ـ عمار بن أبي سلامة: أتى إلى الحسين «عليه السلام» في

---

(١) إبصار العين ص١٧٠.

(٢) راجع: إبصار العين ص١٧٥ و ١٧٦ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٦٠ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٤١.

(٣) إبصار العين ص١٧٩ ووسيلة الدارين ص١٦٨ و ١٦٦ ولواعج الأشجان ص١٣٨ وقاموس الرجال ج١٢ ص٢٢٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٣٢٦.

كربلاء، واستشهد معه(١).

٢٥ ـ عمر بن ضبيعة: خرج مع عمر بن سعد إلى حرب الحسين «عليه السلام»، فلما ردوا الشروط على الحسين «عليه السلام» مال إليه، واستشهد معه(٢).

ونذكر القارئ مرة أخرى بتحفظنا على موضوع الشروط.

٢٦ ـ عمرو بن عبد الله الجندعي: أتى إلى الإمام الحسين «عليه السلام» أيام المهادنة، وجرح، واستشهد بعد سنة(٣).

٢٧ ـ عمرو بن قرظة الأنصاري: جاء إلى الحسين «عليه السلام» أيام المهادنة في كربلاء. وكان الحسين «عليه السلام» يرسله إلى ابن سعد في بعض المكالمات، فيأتيه بالجواب، فلما وصل الشمر انقطع ذلك.

وكان ابن قرظة قد جاء إلى الحسين «عليه السلام» يوم السادس من المحرم(٤).

٢٨ ـ قاسط بن زهير: جاء الحسين «عليه السلام» إلى كربلاء

---

(١) الإصابة ج٣ ص١١٢ و (ط دار الكتب العلمية) ج٥ ص١٠٧ ومقتل الحسين للمقرم ص١٩٩ ومعجم رجال الحديث ج١٣ ص٢٦٥ واللباب في تهذيب الأنساب ج٢ ص٤٠.

(٢) وسيلة الدارين ص١٧٧ وراجع: إبصار العين ص١٩٤.

(٣) إبصار العين ص١٣٦ و١٣٧ وراجع: وسيلة الدارين ص١٧٨.

(٤) إبصار العين ص١٥٥ ووسيلة الدارين ص١٧٤ ـ ١٧٦.

ليلاً، واستشهد معه(١).

٢٩ ـ القاسم بن حبيب: خرج مع ابن سعد، فلما صار إلى كربلاء، مال إلى الحسين أيام المهادنة(٢).

٣٠ ـ كردوس بن زهير: لما ورد الحسين كربلاء جاءه ليلاً، وبقي معه حتى استشهد(٣).

٣١ ـ كنانة بن عتيق: جاء إلى الحسين في كربلاء أيام المهادنة، واستشهد معه(٤).

٣٢ ـ مالك بن عبد الله بن سريع: جاء إلى الحسين «عليه السلام» وانضم إليه، واستشهد معه(٥).

٣٣ ـ مسعود بن الحجاج: خرج مع ابنه، مع ابن سعد ثم جاء إلى الحسين يسلم عليه، وبقي عنده، واستشهد معه(٦).

٣٤ ـ مسلم بن عوسجة: التحق بأهله بالحسين «عليه السلام»،

---

(١) إبصار العين ص٢٠٠.
(٢) وسيلة الدارين ص١٨٦.
(٣) إبصار العين ص٢٠٠.
(٤) وسيلة الدارين ص١٨٤ و ١٨٥ وراجع: إبصار العين ص١٩٩ ومستدركات علم رجال الحديث ج٦ ص٣١٥.
(٥) إبصار العين ص١٣٢ و ١٣٣ وراجع: معجم رجال الحديث ج١٥ ص١٧٤.
(٦) إبصار العين ص١٩٣ و ١٩٤.

بعد أن أخفاه قومه في الكوفة حتى لا يأخذه إبن زياد[1].

٣٥ ـ مسلم (أو أسلم) بن كثير: خرج من الكوفة إلى الحسين في كربلاء، واستشهد معه[2].

٣٦ ـ مقسط بن زهير: خرج إلى الحسين «عليه السلام» في كربلاء، فوافاه ليلاً، وقتل بين يديه[3].

٣٧ ـ النعمان بن عمرو الأزدي: خرج في جيش عمر بن سعد، فلما رد ابن سعد الشروط جاء إلى الحسين «عليه السلام» ليلاً (ليلة الثامن من المحرم)، واستشهد معه[4].

وكلامنا حول رد الشروط هو ما تقدم.

٣٨ ـ رجل من بني أسد:

فقد حدث العريان بن الهيثم، قال: كان أبي يتبدى (أي يخرج إلى البادية)، فينزل قريباً من الموضع الذي كان فيه معركة الحسين، فكنا لا نبدو إلا وجدنا رجلاً من بني أسد هناك، فقال له أبي: أراك ملازماً هذا المكان؟!

قال: بلغني أن حسيناً يقتل هاهنا، فأنا أخرج إلى هذا المكان لعلي أصادفه فأقتل معه.

---

(١) راجع: إبصار العين ص١٠٨ و ١٠٩.

(٢) إبصار العين ص١٨٥.

(٣) إبصار العين ص٢٠٠.

(٤) إبصار العين ص١٨٧ ووسيلة الدارين ص٢٠٠.

قال ابن الهيثم: فلما قتل الحسين، قال أبي: انطلقوا ننظر هل الأسدي فيمن قتل مع الحسين؟

فأتينا المعركة، وطوفنا، فإذا الأسدي مقتول[1].

ونقول:

إننا وإن كنا لم نجد ما يشير إلى أسدي مجهول الاسم قد استشهد مع الإمام الحسين «عليه السلام» في كربلاء. ولكننا لا نستطيع اعتبار ذلك دليلاً على وهن هذه الرواية، فإن كثيراً من المصادر لم تصل إلينا، ولم نطلع على جميع مضامين ما وصل إلينا منها، ولا يدعي أحد أنه محيط بجميع ما روي عن أحداث عاشوراء حول الحسين «عليه السلام»، وحول أصحابه..

كما أنه ليس في هذا النص أي غرابة توجب الشك في صحته، فإن علياً «عليه السلام» قد وقف في كربلاء، وعرف الناس ـ وهو في طريقه إلى صفين ـ بما يجري على الحسين في تلك البقعة.

ومن الطبيعي: أن يفشو هذا الخبر في الناس. ويصل إلى مسامع هذا الأسدي وغيره. ويكون هذا الأسدي ممن شملته الرحمات الإلهية الغامرة. بنيله درجة الشهادة.

(١) ترجمة الإمام الحسين لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ص٣١٠ و٣١١ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢١٦ و ٢١٧ وبغية الطلب في تاريخ حلب ج٦ ص٢٦١٩ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٥٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٣٠٥.

الفهـــارس

١ ـ الفهرس الإجمالي
٢ ـ الفهرس التفصيلي

الفهرس الإجمالي:

الفصل السابع: هل قتل الشيعة إمامهم؟!.................................٥

الباب الخامس: حتى اليوم التاسع......................................٢٧

الفصل الأول: الجهاد والثورة.. للتمهيد فقط...........................٢٩

الفصل الثاني: هنا كربلاء...٤٣

الفصل الثالث: الحسين في كربلاء......................................٨٧

الفصل الرابع: ابن سعد المخذول المرذول.............................١٠٥

الفصل الخامس: لماذا هذه الحشود؟! ١٢٩

الفصل السادس: سياسة سحب الذرائع..............................١٦١

الفصل السابع: لعنك الله ولعن أمانك..............................٢٠١

الباب السادس: اليوم التاسع وليلة العاشر.. ....٢١٩

الفصل الأول: من أحداث اليوم التاسع ٢٢١

الفصل الثاني: ليلة العاشر.. مع أصحابه وأهل بيته.................. ٢٧٣

الفصل الثالث: ليلة العبادة والإعداد ٣٠١

ملحق للفصول السابقة...٣٢٣

الفهرس التفصيلي:

الفصل السابع: هل قتل الشيعة إمامهم؟! ٥
مما سبق: ٧
تشيع أهل الكوفة إلى أي مدى؟!: ٩
الشيعة لم يقتلوا الحسين ×: ١٠
تشيّع أهل الكوفة: ١٣
حال البلدان الرئيسية: ١٥
ماذا أراد الكوفيون من الحسين ×:................................ ١٧
القيادات العشائرية:.. ١٨
الكوفة هي الخيار: ١٩
الإخبار بالشهادة سياسة صحيحة:................................ ٢٠
التركيبة السكانية للكوفة: ٢٢
المكرهون على القتال يهربون:.................................... ٢٥
الباب التاسع: حتى اليوم التاسع.. .... ٢٨
الفصل الأول: الجهاد والثورة.. للتمهيد فقط.. .... ٣٠
الحسين × مجاهد أم ثائر؟!: ٣٢
فوارق بين الجهاد والثورة: ٣٤
الفصل الثاني: هنا كربلاء.. ٤٣

يا نار كوني برداً وسلاماً: ٤٥
ستساق إلى العراق: ٤٦
كربلاء أرض التقى فيها النبيون: ٤٦
ثلاث بشائر، لا بشارتان:.. ٤٧
من قائمكم يا ابن رسول الله؟!: ٥٠
هاهنا مناخ ركابنا:... ٥٢
وعن كربلاء أيضاً:... ٦٠
تحشيد النصوص:... ٦٤
هلال؟! أم نافع بن هلال؟!: ٦٥
رسالة الحسين إلى أهل الكوفة:... ٦٦
توهم باطل: ٦٧
لا يُشرب الله الخلائق محبة نبيه:.. ٦٨
لماذا قال نافع هذا الكلام؟!: ٦٩
هذا موضع كرب وبلاء:... ٧٠
هاهنا.. وهاهنا:... ٧١
الحسين يخبر عن مكان موته:... ٧٢
كربلاء سنة إحدى وستين: ٧٣
الأربعاء أو الخميس:... ٧٤

أهذه كربلاء؟!: ٧٤
لطم الخدود، وخمش الوجوه: ٧٧
سكان السماوات يفنون: ٧٨
ابن زياد يجعل رقيباً على الحر: ٨٠
أكره أن أبدأهم بقتال: ٨١
الحسين يروي عن أبيه حديث كربلاء: ٨٢
قصباء.. وخلا: ٨٤
أما من الدنيا فنعم: ٨٦
الضبي ترك الحسين × ولحق بأهله: ٨٧
خذ من هذا المال قبل أن يحرم عليك: ٨٨
لا آخذ مالك وأخذلك: ٨٩
موقف فراس بن جعدة: ٨٩
الفصل الثالث: الحسين في كربلاء.. .... ٩٣
رسالة ابن زياد للإمام ×: ٩٥
كتاب الإمام إلى بني هاشم: ٩٧
مخيم الحسين ×: ١٠٠
لا أرى الموت إلا سعادة: ١٠٢
الحسين يشتري أرض كربلاء: ١٠٤
لا يقاتل معنا من عليه دين: ١٠٥
السجاد يقضي دين أبيه: ١٠٩

الفصل الرابع: ابن سعد المخذول المرذول........................ ١١٢

ابن سعد وملك الري:.. ١١٤

ابن سعد يختار النار:.. ١١٩

مثبطات لم يتأثر بها ابن سعد: ١٢٣

حديث التهديد لماذا؟!:.. ١٢٤

حمزة بن المغيرة ناصحاً: ١٢٥

المنطق العشائري لبني زهرة:.. ١٢٧

نصيحة غالية من صديق: ١٢٧

ابن العاص، ابن سعد، ويزيد: ١٣٣

الفصل الخامس: لماذا هذه الحشود؟!............................. ١٣٨

الجيش اليزيدي إلى كربلاء: ١٤٠

عدد أنصار الإمام الحسين ×: ١٤٦

حبيب يطلب المدد من قومه:... ١٥٢

جيش يزيد لعنه الله: ١٥٧

آلة الحرب وعدد المحاربين:... ١٦١

سوق الحدادين:... ١٦٥

أهل الشام في جيش ابن سعد:....................................... ١٦٦

الفصل السادس: سياسة سحب الذرائع.. .... ١٧٢

رسول ابن سعد إلى الحسين: ١٧٤

ابن سعد يخشى العواقب: ١٧٦
لا حياء من الحسين، بل خوف من السلطان: ١٧٧
قرة بن قيس مخذول: ١٧٨
لا مبرر لهذه الجيوش: ١٧٩
في الشعير كفاية: ١٨٠
سحب الذرائع: ١٨٦
أكثر من لقاء: ١٨٨
الخصال الثلاث: ١٨٨
ذبحك الله على فراشك: ١٩٤
ثلاثون التحقوا بالحسين ×: ١٩٦
منع الماء في اليوم السابع: ١٩٨
الحسنان أوصلا الماء لعثمان: ٢٠١
الكرامة الإلهية: ٢٠٢
عين الماء التي أظهرها الإمام ×: ٢٠٣
بين برير.. وابن سعد: ٢٠٥
يزيد بن حصين أم برير بن خضير؟!: ٢٠٧
إفساح المجال لجهود الأصحاب: ٢٠٧
الحق يعطي الحرب مشروعية: ٢٠٨
قتال المحقين: ٢١٠

العباس يأتي بالماء:... ٢١١
الفصل السابع: لعنك الله ولعن أمانك.. .... ٢١٥
أجيبوه، وإن كان فاسقاً:.. ٢١٧
هذه سياسة، وليست خلقاً ومبادئ: ٢٢٢
الأمان لأربعة أشخاص: ٢٢٤
متى تزوج علي × أم البنين؟!:..................................... ٢٢٤
توضيحان: ٢٢٥
إياكم والمثلة: ٢٢٦
أجيبوه، فإنه من أخوالكم:.. ٢٢٨
الحسين × عاق، شاق قاطع ظلوم: ٢٣٠
الباب العاشر: اليوم التاسع وليلة العاشر.......................... ٢٣٤
الفصل الأول: من أحداث اليوم التاسع.. .... ٢٣٦
بداية:... ٢٣٨
متى بدأت المواجهة؟!:.. ٢٣٨
هل هذا تصحيف؟!: ٢٤١
التكرار في النصوص:... ٢٤١
عجلة ابن زياد:.. ٢٤٢
هل حصلت حرب في اليوم التاسع؟!:............................. ٢٤٣
من المكلف بقتل ابن سعد؟!: ٢٤٥

لا نذر ولا عهد في معصية الله: ٢٤٦
يا خيل الله اركبي: ٢٤٧
إنقلاب المفاهيم: ٢٥٣
السكينة والرضا: ٢٥٤
رؤى الإمام الحسين ×: ٢٥٤
بنفسي أنت يا أخي: ٢٥٥
إطراقة الإمام × لها مغزى: ٢٥٨
هل كان زهير عثمانياً؟!: ٢٥٩
إنصرفوا حتى أنظر في الأمر: ٢٦٠
من أسباب طلب الحسين التأجيل: ٢٦١
ابن سعد يشاور الشمر: ٢٦٥
صوم تاسوعاء وعاشوراء: ٢٦٧
الحصار واجتماع الجيوش عليه: ٢٦٨
بأبي المستضعف الغريب: ٢٦٩
هل كان الأصحاب عراة؟!: ٢٧٠
الفصل الثاني: ليلة العاشر.. مع أصحابه وأهل بيته.. .... ٢٧٣
خطبة الحسين × ليلة عاشوراء: ٢٧٥
أصحابه × أوفى أصحاب: ٢٨١
أوفى الناس كان عثمانياً قبل أيام!!: ٢٨٤
هذا الليل، فاتخذوه جملاً: ٢٩٠

نصوص وشواهد: ٢٩٤

لماذا أحلهم × من بيعته؟!: ٢٩٨

أحمده على السراء والضراء: ٣٠٠

الحمد الحسيني على ماذا؟!:... ٣٠٢

أظن يومنا غداً:.. ٣٠٣

يا دهر أفٍّ لك من خليل: ٣٠٥

تصحيف لا تحريف: ٣١١

من الذي كان يعالج السهام؟!:...................................... ٣١١

هل وثبت زينب حاسرة؟!: ٣١٢

لا يُذهِبَنَّ حِلمَكِ الشَّيطانُ:... ٣١٣

فصب الماء على وجهها:... ٣١٥

يا زينب، ويا رقية: ٣١٥

رواية تفسير العسكري:... ٣١٦

فأما عسكره ففارقوه: ٣١٧

تفسير العسكري في الميزان: ٣١٨

رواية الخصيبي:.. ٣١٩

القتل مع الحسين شرف: ٣٢١

التفاصيل والجزئيات: ٣٢٢

الفصل الثالث: ليلة العبادة والإعداد.. .... ٣٢٣

بداية:.. ٣٢٥
النزول في قصباء:.. ٣٢٥
تشابك الخيام وتقاربها:.. ٣٢٦
ليلة العبادة:.. ٣٢٦
برير: نحن الطيبون، وأنتم الخبيثون: ٣٣٠
إنقلاب المفاهيم:.. ٣٣٢
كانت تلك الخيل تحرسنا؟!:....................................... ٣٣٤
برير.. والشمر: ٣٣٥
قضيتان، لا قضية واحدة: ٣٣٦
الإمام يتدارك الموقف:.. ٣٣٧
الحسين × يري أصحابه منازلهم في الجنة:.................... ٣٣٧
الإمام لا يستغل غفلة الناس: ٣٣٩
لماذا يريهم منازلهم؟!:... ٣٣٩
رأيت كلاباً تنهشني!: ٣٤٠
الكلب الأبقع:.. ٣٤٢
ملحق للفصول السابقة.. .... ٣٤٧
التحقوا بالحسين في الطريق، وفي كربلاء:.................... ٣٤٩
الفهرس الإجمالي:... ٣٦١
الفهرس التفصيلي: ٣٦٤
كتب مطبوعة للمؤلف ٣٧٥

كتب مطبوعة للمؤلف

١ ـ الآداب الطبية في الإسلام

٢ ـ ابن عباس وأموال البصرة

٣ ـ ابن عربي سنيّ متعصب

٤ ـ أبو ذر لا إشتراكية.. ولا مزدكية

٥ ـ أحيـوا أمـرنا

٦ ـ إدارة الحرمين الشريفين في القرآن الكريم

٧ ـ إسرائيل.. في آيات سورة بني إسرائيل.. تفسير ثمان آيات..

٨ ـ الإسلام ومبدأ المقابلة بالمثل

٩ ـ الإعتماد في مسائل التقليد والإجتهاد (صدر منه جزء واحد)

١٠ ـ أفلا تذكرون «حوارات في الدين والعقيدة»

١١ ـ أكذوبتان حول الشريف الرضي

١٢ ـ الإمام علي والنبي يوشع ’

١٣ ـ أهل البيت ٨ في آية التطهير

١٤ ـ أين الإنجيل؟!

١٥ ـ بحث حول الشفاعة

١٦ ـ براءة آدم × حقيقة قرآنية

١٧ ـ البنات ربائب.. قل: هاتوا برهانكم

١٨ ـ بنات النبي ﷺ أم ربائبه؟!

١٩ ـ بيان الأئمة وخطبة البيان في الميزان

٢٠ ـ تحقيقي در باره تاريخ هجري

٢١ ـ تخطيط المدن في الإسلام

٢٢ ـ تفسير سورة ألم نشرح

٢٣ ـ تفسير سورة الضحى

٢٤ ـ تفسير سورة الفاتحة

٢٥ ـ تفسير سورة الكوثر

٢٦ ـ تفسير سورة الماعون

٢٧ ـ تفسير سورة الناس

٢٨ ـ تفسير سورة هل أتى (جزءان)

٢٩ ـ توضيح الواضحات من أشكل المشكلات

٣٠ ـ الحاخام المهزوم

٣١ ـ حديث الإفك

٣٢ ـ حقائق هامة حول القرآن الكريم

٣٣ ـ حقوق الحيوان في الإسلام

٣٤ ـ الحياة السياسية للإمام الجواد ×

٣٥ ـ الحياة السياسية للإمام الحسن ×

٣٦ ـ الحياة السياسية للإمام الرضا ×

٣٧ ـ خسائر الحرب وتعويضاتها

٣٨ ـ خلفيات كتاب مأساة الزهراء ÷ (ستة أجزاء)

٣٩ ـ دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام (أربعة أجزاء)

٤٠ ـ دراسة في علامات الظهور

٤١ ـ دليل المناسبات في الشعر

٤٢ ـ ربائب الرسول ﷺ «شبهات وردود»

٤٣ ـ رد الشمس لعلي ×

٤٤ ـ زواج المتعة (تحقيق ودراسة) (ثلاثة أجزاء)

٤٥ ـ الزواج المؤقت في الإسلام (المتعة)

٤٦ ـ زينب ورقية في الشام!!

٤٧ ـ سلمان الفارسي في مواجهة التحدي

٤٨ ـ سنابل المجد (قصيدة مهداة إلى روح الإمام الخميني وإلى الشهداء الأبرار)

٤٩ ـ السوق في ظل الدولة الإسلامية

٥٠ ـ سياسة الحرب في دعاء أهل الثغور

٥١ ـ سيرة الحسين × في الحديث والتاريخ (هذا الكتاب)

٥٢ ـ شبهات يهودي

٥٣ ـ الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة

٥٤ ـ الصحيح من سيرة الإمام علي × (ثلاثة وخمسون جزءاً)

٥٥ ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ (خمسة وثلاثون)

٥٦ ـ صراع الحرية في عصر الشيخ المفيد

٥٧ ـ طريق الحق (حوار مع عالم جليل من أهل السنة والجماعة)

٥٨ ـ ظاهرة القارونية من أين؟! وإلى أين؟!

٥٩ ـ ظلامة أبي طالب ×

٦٠ ـ ظلامة أم كلثوم

٦١ ـ عاشوراء بين الصلح الحسني والكيد السفياني

٦٢ ـ عصمة الملائكة بين فطرس.. وهاروت وماروت

٦٣ ـ علي × والخوارج (جزءان)

٦٤ ـ الغدير والمعارضون

٦٥ ـ فصل الخطاب في الميزان

٦٦ ـ القول الصائب في إثبات الربائب

٦٧ ـ كربلاء فوق الشبهات

٦٨ ـ لست بفوق أن أخطىء من كلام علي ×

٦٩ ـ لماذا كتاب مأساة الزهراء ÷؟!

٦٧ ـ ماذا عن الجزيرة الخضراء ومثلث برمودا؟!

٧١ ـ مأساة الزهراء ÷ (جزءان)

٧٢ ـ مختصر مفيد (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة)، (ثمانية عشر جزءاً).

٧٣ ـ مراسم عاشوراء «شبهات وردود»

٧٤ ـ المسجد الأقصى أين؟!

٧٥ ـ مقالات ودراسات

٧٦ ـ منطلقات البحث العلمي في السيرة النبوية

٧٧ ـ المواسم والمراسم

٧٨ ـ موقع ولاية الفقيه من نظرية الحكم في الإسلام

٧٩ ـ موقف الإمام علي × في الحديبية

٨٠ ـ ميزان الحق «شبهات وردود» (أربعة أجزاء)

٨١ ـ نقش الخواتيم لدى الأئمة ٨

٨٢ ـ وقفات مع ناقد

٨٣ ـ الولاية التشريعية

٨٤ ـ ولاية الفقيه في صحيحة عمر بن حنظلة